



ISSN: 2348-2613
No. 9-2022

دراسات عربية

[مجلة سنوية محكمة]

تصدر عن مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية اللغة
والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند
العدد التاسع 1443 هـ. الموافق 2022 م

داخل العدد:

الدراسات الإسلامية
الدراسات اللغوية والنقدية
الدراسات الأدبية والفكرية والثقافية

ISSN: 2348-2613

No. 9-2022



دراسات عربية

(مجلة سنوية محكمة)

تصدر عن مركز الدراسات العربية والإفريقية
كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو
نيودلهي، الهند

العدد التاسع 1443 هـ الموافق 2022م

داخل العدد:

الدراسات الإسلامية

الدراسات اللغوية والنقدية

الدراسات الأدبية والفكرية والثقافية

شروط النشر في المجلة

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعني المجلة بنشرها.
- أن يتحرى الباحث في عمله الجدة والعمق والقصد، والالتزام بالشروط العلمية والمنهجية المتبعة أكاديمياً.
- أن لا يكون البحث قد نُشر أو قُدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر وندوة.
- أن يُرفق مع البحث ملخص لا يزيد على 160 كلمة، وبحجم خط 14.
- أن يُرفق الملخص بكلمات مفتاحية لا تزيد على 6 كلمات ترتب هجائياً.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والصرفية والإملائية.
- أن يكون المقال مطبوعاً ببرنامج (Word)، ونوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط 18 في كتابة المتن، بمسافة 1.15 بين سطور المتن، وحجم 20 في العناوين الرئيسية والفرعية للمتن، و14 للحواشي. وفي اللغة الأجنبية، نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط 16 في المتن، وفي الهوامش نفس الخط مع حجم 12.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على 15 صفحة، بما فيها المصادر والمراجع والجداول والرسوم وكافة الملحقات.
- أن تُوضع لكل صفحة أرقام هوامشها الخاصة بها في الأسفل.
- ستخضع جميع البحوث للجنة علمية متخصصة للتحكيم وفق المعايير المعتبرة.
- للجنة العلمية الحق في الاعتذار عن قبول أي بحث ونشره دون إبداء أسباب، ودون الالتزام بإعادة البحث.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في حذف أو إعادة صياغة بعض الكلمات والعبارات التي لا تتناسب مع أسلوبها في النشر.
- تعبر الآراء العلمية المنشورة في البحوث عن آراء كاتبها، واجتهاداتهم الشخصية، ولا تمثل بالضرورة وجهات نظر هيئة التحرير أو المجلة.
- يُرجى في تدوين الهوامش في البحث مراعاة الخطوات التالية:
- عند ذكر المرجع للمرة الأولى:
- الكتب: لقب المؤلف، اسم المؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ (مكان النشر: الناشر، عدد الطبعة إن وجد، تاريخ النشر)، ج، ص. مثلاً: الندوي، أشفاق أحمد، تطور الآداب العربية ومراكزها في الهند (نيودلهي، دار عمر للطباعة والنشر، 2013) ص: 25.
- المقالات: اسم المؤلف، عنوان المقال "بين فاصلتين مزدوجتين"، اسم المجلة بخط غليظ، السنة، العدد، الصفحة.
- عند تكرار المرجع في الهامش التالي مباشرة تتبع الطريقة الآتية: المرجع نفسه، ج، ص.
- عند تكرار المرجع في موضع آخر من البحث، اسم الشهرة للمؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ أو المقال، ج، ص.
- تُخرج الآيات في متن الحديث، وليس في الهوامش، ويكون التخرج كآلاتي: (النساء: 1).
- أن تُرسل البحوث المطبوعة على عنوان المجلة: dirasatarabianju2014@gmail.com

دراسات عربية

(مجلة سنوية محكمة)

ISSN 2348-2613

No. 9-2022

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور رضوان الرحمن

رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية

هيئة التحرير

<p>د. محمد أكرم نواز مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند</p> <p>د. محمد أجمل مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند</p> <p>د. اختر عالم مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند</p> <p>د. زرنغار مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند</p>	<p>أ.د. مجيب الرحمن مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند</p> <p>أ.د. رضوان الرحمن مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند</p> <p>د. عبید الرحمن طيب مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند</p> <p>د. محمد قطب الدين مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند</p> <p>د. خورشيد إمام مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند</p>
---	--

تصدر عن:

مركز الدراسات العربية والإفريقية

كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيودلهي، الهند-110067

دراسات عربية

(مجلة سنوية محكمة)

ISSN 2348-2613

No. 9-2022

الهيئة الاستشارية	
أ.د. أحمد فرحات مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان	أ.د. خلدون سعيد صبح جامعة دمشق، سوريا
أ.د. أنيس الرحمن منظور الحق جامعة المدينة العالمية، ماليزيا	أ.د. جلال سعيد الحفناوي جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية
أ.د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي جامعة الفلوجة، العراق	أ.د. سناء الشعلان الجامعة الأردنية، عمان
أ.د. طارق ثابت جامعة باتنة، الجزائر	د. وفاء عبد الرزاق شاعرة وروائية من لندن
أ.د. أمين مصري جامعة تلمسان، الجزائر	أ.د. عبد العزيز يوسف اللودي جامعة أوبسالا، السويد

تصدر عن:

مركز الدراسات العربية والإفريقية

كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيودلهي، الهند-110067

المحتويات

رقم	البحث	الكاتب	صفحة
	كلمة العدد	أ. د. رضوان الرحمن	7
الدراسات الإسلامية			
1	المنهج الفقهي عند الشيخ يوسف القرضاوي	نيار رضا	9
الدراسات اللغوية والنقدية			
2	الرواية التاريخية: عناصرها وأصولها	د. سيد محمد شاکر	22
الدراسات الأدبية والفكرية والثقافية			
3	دور الشيخ العلامة ثناء الله الأمرتسري في تعزيز العلاقات الثقافية والأدبية بين الهند والسعودية	د. سعيد الرحمن	34
4	البحث عن وصف العيون في الشعر العربي القديم	د. محمد سليم	46
5	تصوير القيم الإنسانية في ديوان الحماسة	د. عبد الحي الحسني الندوي	66
6	دراسة في شعر نزهون الغرناطية	د. زرنكار	76
7	القيم الاجتماعية والثقافية في قصص مختارة لمصطفى لطفي المنفلوطي	د. محمد عالمغير الندوي	85
8	إبداع الشعر العربي في الفضاء الرقمي: قصيدة رقمية "شجرة البوغاز" لمنعم الأزرق أنموذجاً	د. محمد فوزك.	101
9	قضية تعليم المرأة في قصة "عائشة" لحوحو	د. محمد أكرم	110

118	أمير الدين	قصة صبحي فحماوي "ساحتفل بعيد ميلادي"	10
126	قمر الإسلام	أمل الرندي: وإسهاماتها في قصص الأطفال الكويتية	11
136	محمد مظهر	محمد جمال عمرو وأثر شعره في تربية الأطفال "دراسة موضوعية"	12
157	محمد آفاق قريشي	مساهمة مسعود عالم الندوي في تطوير الصحافة العربية في الهند	13
170	محمد عبد الواحد	إسهامات "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية" بفرانكفورت في توثيق التراث العربي	14
182	د. أختار عالم	دراسة نماذج المرأة وصورها الإيجابية في الروايات العربية الواقعية	15

كلمة العدد

يسرني أن أتواصل معكم بالعدد التاسع من مجلة "دراسات عربية"، الذي يتوجه إليكم بأبوابه المتنوعة. ستجدون في هذا العدد مواضيع شيقّة ومفيدة ستنال إعجابكم. يناقش البحث للدكتور محمد شاكر موضوع الرواية التاريخية ويلقي ضوءاً مستفيضاً على عناصر الرواية التاريخية ومفهومها وظهورها في الأدب العالمي. وتحاول مداخلة الدكتور سعيد الرحمن إبراز ما قام به العلامة ثناء الله الأمرتسري من دور كبير في تعزيز العلاقات الثقافية والأدبية بين جمهورية الهند والمملكة العربية السعودية وذلك في ضوء كتاباته المختلفة ومقالاته المتنوعة، كما تعرض جهود العلامة الأمرتسري في مناصرة الدعوة السلفية التي ظهرت في نجد والحجاز على يد محمد بن عبد الوهاب وأتباعه. ويشارك الدكتور محمد سليم بدراسة تهدف إلى إبراز وصف العين في الشعر العربي القديم، وأهمية الإشارة بالعين ودورها في الإيحاء بما في قلب صاحبها حينما تكون الأفواه صامتة، وتشتمل الدراسة على دلالات العين في التشبيه والاستعارة والكناية كما وردت في التراث الشعري العربي القديم. ويتطرق الدكتور عبد الحي الحسني الندوي إلى موضوع القيم الإنسانية في ديوان الحماسة لأبي تمام فيعالج بحثه بعض القيم الإنسانية النبيلة التي كانت سائدة في المجتمع العربي وأوردها الشاعر أبو تمام في ديوانه.

وتشارك الدكتورة زرنغار بدراسة تقدم قراءة تحليلية لشعر نزهون الغرناطية التي قرضت الشعر في جميع موضوعات الشعر العربي، وحضرت مجالس شعراء عصرها وساجلت معهم حتى عدت شاعرة كبيرة ولم تكن في بلدها من يشابهها في قرص الشعر وإجادة الأمثال والنوادر. ويركز بحث الدكتور محمد عالمغير الندوي على القيم الاجتماعية والثقافية في قصص مصطفى لطفى المنفلوطي، فتناول بعض قصصه وقام بتحليلها وحاول إبراز القيم الاجتماعية والثقافية المتواجدة في تلك القصص.

ويشارك الدكتور محمد فواز بدراسة تدور حول الأشكال الشعرية المتنوعة في الفضاء الرقمي وظهورها على الساحة العربية بالتركيز الخاص على تحليل قصيدة رقمية بعنوان "شجرة البوغاز" للشاعر منعم الأزرق من ناحية الشكل والعناصر الفنية فيها. ويستعرض الدكتور محمد أكرم في مقالته المشاكل التعليمية للمرأة في الجزائر في ضوء قصة "عائشة" لأحمد رضا حوحو. ويقوم أمير الدين بتحليل قصة "سأحتفل

بعيد ميلادي" لصبحي فحماوي بالتركيز الخاص على الزمان والمكان والشخصيات في هذه القصة. وتسعى دراسة نيار رضا لإبراز إسهامات الشيخ يوسف القرضاوي في مجال الفقه الإسلامي، إلى جانب التطرق إلى مختلف جوانب حياته. ويسلط قمر الإسلام في بحثه الضوء على إسهامات كاتبة الأطفال الكويتية أمل الرندي في مجال فن القصة للصغار، ويناقش بعض أهم القصص لأمل الرندي بالتحليل الوصفي. بينما تتناول مقالة محمد مظهر أديب الأطفال البارز محمد جمال عمرو وأعماله الشعرية للصغار في محاولة لقراءة أعماله الإبداعية وإلقاء الضوء على أبعادها المختلفة وأثر إنتاجاته الشعرية في تكوين شخصية الأطفال وتربيتهم. وتناقش دراسة محمد عبد الواحد "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية" الواقع في فرانكفورت، وتركز على ما حققه هذا المعهد من إنجازات علمية في مجالات البحث والتحقيق والنشر، إضافة إلى دراسة محمد آفاق القرشي التي تتحدث عما بذله الأستاذ مسعود عالم الندوي من جهود ملموسة في مجال تطور الصحافة العربية في الهند بالتركيز الخاص على مجلة "الضياء" التي نالت قبولاً واسعاً لدى الأوساط العلمية والأدبية في الهند وخارجها بفضل صحة لغتها وجمال أسلوبها وتنوع موضوعاتها. كما تتحدث هذه الدراسة عن أسلوب الندوي في اللغة العربية ومزاياه اللغوية.

وما زلنا نأمل أن تزودونا بما لديكم من بحوث أدبية وثقافية وإسلامية قيمة ليصار إلى نشرها في الأعداد القادمة، فأنتم مستقبل اللغة العربية وآدابها. وأخيراً، أشكر جميع المشاركين في هذا العدد، والشكر موصول أيضاً إلى أعضاء اللجنة الاستشارية ولجنة التحكيم وهيئة التحرير على ما يبذلونه من جهود مخلصية في الارتقاء بمستوى المجلة وإخراج أعدادها. ولكم كل المحبة والتقدير، راجياً أن تستمتعوا بما في هذا العدد من مواد علمية مفيدة.

أ.د. رضوان الرحمن

رئيس التحرير

الدراسات الإسلامية

المنهج الفقهي عند الشيخ يوسف القرضاوي

نيارضا

المنهج الفقهي عند الشيخ يوسف القرضاوي

نيار رضا*

nayyarreza88@gmail.com

ملخص البحث: لقد ظهرت في العصر الراهن كثير من الأحداث والقضايا الاجتماعية والاقتصادية التي تفرض على المسلمين أن يلتمسوا الحلول السديدة في ضوء الشريعة الإسلامية؛ ولكي يتأكدوا أنهم يسرون على طريق الصواب ويتعدون عن الخطأ. وكانت هناك ظواهر أخرى عديدة اجتماعية واقتصادية، طفت على سطح الحياة العامة مثل ما يسمى بقضايا البنوك والفوائد والاستثمار، وأوضاع المسلمين في الدول الغير الإسلامية، وكيفية التعرف على أمور دينهم في هذه البلدان، والتوافق مع المجتمعات الأجنبية، والظروف المختلفة في بعض بلدان العالم مثل طول النهار وقصر الليل، وعلاقة ذلك بفريضة الصوم وما إلى ذلك من الأمور التي نشأت نتيجة لاختلاف الزمان والمكان.

وكان القرضاوي- رحمه الله- في تلك المعمة- إذا صح التعبير- فارساً لا يشق له غبار؛ حيث تصدى للإجابة عن كثير من الأمور المتعلقة بهذه الأحداث والظواهر والأحوال منطلقاً من وعيه بالشريعة الإسلامية وقائماً بدوره كعالم إسلامي في زمانه، من خلال توظيفه لعلمه وثقافته ومهارته في الفقه المعاصر، مما جعل لفتاوى الشيخ القرضاوي ومواقفه حضوراً قوياً في أوساط العلماء والفقهاء في العالم الإسلامي كلها.

كلمات مفتاحية: الشريعة، الفقه، الفوائد، الفتاوى، المنهج، الوسطية.

المقدمة: أنجبت أرض مصر كثيراً من الأدباء والشعراء والكتاب الذين لهم إسهامات جليلة وأعمال بديعة في الدراسات العربية والإسلامية، ونالوا مكانة مرموقة في الأوساط العلمية والأدبية والثقافية. وكذلك لهم دور كبير في إثراء الدراسات العربية والإسلامية، ولا يستطيع أحد أن ينسى فضلهم وجهدهم، ومن هنا أتبع الناس آثار خطواتهم وسلوكوا مسلكهم. ومن بين هؤلاء العباقرة، الفقيه الإسلامي الكبير يوسف القرضاوي- رحمه الله-، الذي أثرى الدراسات الإسلامية والعلوم الأخرى بكتبه القيمة، التي تشمل الأدب والشعر والسياسة والاجتماع والاقتصاد وما إلى ذلك.

* باحث الدكتوراه، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

والشيخ يوسف القرضاوي -رحمه الله- اهتمَّ بقضايا العصر الحديث واتهامات الغرب، وأوضح شمولية الإسلام العادلة في ضوء نصوص الشريعة والفقهاء الإسلامي الدائر بين المذاهب الأربعة. وكل ما كتبه القرضاوي -رحمه الله- حظى باهتمام كبير، وخاصة لدى شباب الذين كانوا يتلقون كتاباته بوصفها توجيهات رشيدة.

ولا ريب أن العهد الراهن شهدت ازدهار الشيخ القرضاوي -رحمه الله- في مجال الحركة الإسلامية بوصفه حجة في الفتوى، وموجهًا للحركة الإسلامية، وصاحب رأي فيما يجري من أحداث عامة، تخص الإسلام والمسلمين، وعزز ذلك عدم ارتباطه بنظام سياسي أو سلطة حكومية، تتدخل عادة في الفتوى، أو ترعى فريقاً من علماء الدين الذين أطلق عليهم في مرحلة ما، علماء السلطة وفقهاء الشرطة. أضف إلى ذلك أن الشيخ القرضاوي يملك قدرة على التعبير ومخاطبة الجمهور بمستوياته المتعددة، والذي جعله يصبح المرجعية شبه الوحيدة خاصة بعد رحيل عدد من العلماء المرموقين أمثال الشيخ سيد سابق، والشيخ الغزالي والشيخ الشعراوي والشيخ عطية صقر وأمثالهم.

القرضاوي -رحمه الله- يتميز بتكوينه الفكري والثقافي الذي مكّنه من رؤية العالم الإسلامي بصورة مغايرة، من خلال العلوم الإسلامية التي تخصص وتمهر فيها؛ ليقوم بدوره في خدمة العصر أو ليقدم فقه المعاصرة دون أن يكتفي بالوقوف على النتائج التي وصل إليها علماء السلف الصالح خاصة بزمانهم ومكانهم. فالواقع العربي والإسلامي يمتلئ بكثير من القضايا والظواهر التي تحتاج إلى عقل جريء، يناقش ويحلل، ويفكر ويقدر، ويقيس ويستنبط، ويواجه ما يجري بروح الفقيه الأصولي الذي ينطلق من وعي عميق بعلم الأصول.

ولادته ونشأته: لم يشأ له القدر أن يولد وينشأ في مدينة كالقاهرة وغيرها من المدن العريقة، ولكنه وُلد ونشأ في قرية متواضعة صغيرة من قرى الريف المصري، خالية من كل أسباب المدنية الحديثة، مما تزخر بها المدن القديمة من الكهرباء، والشوارع المرصوفة، والأبنية الشامخة، والمنتزهات الواسعة، ومجمعات التجارة الخلابية، والآثار القديمة الساحرة، والمستشفيات والمكتبات والمتاحف. وهي قرية صفت تراب التي تقع على بعد نحو 21 كيلو متر من طنطا ونحو 9 كيلومتر من مدينة المحلة الكبرى. وهي قرية عريقة، دفن فيها الصحابي عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن

معديكرب الزبيدي الذي روى عدة روايات عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كما أخرجها له أبو داؤد، والترمذي، وابن ماجه.

وكانت أسرة القرضاوي أسرة صغيرة، حيث تتكون من ذرية رجل واحد، وهو الحاج علي القرضاوي، الذي هاجر إلى هذه القرية من بلدته، التي تسمى "القرضة". وهو أول من سكن قرية صفط تراب، وتزوج عائشة عجيز، وأنجب منها سائر أولاده، وهم الخمسة، وكان والد العلامة القرضاوي رابع خمسة. وهو عبد الله بن علي القرضاوي الذي ولد له الشيخ يوسف القرضاوي في عام 1926 / 9 / 9. وتوفي والده وهو في الثانية من عمره، فكفله عمه أحمد. ثم مات جده لأمه، الذي يحبه حباً جماً وهو في السابعة من عمره، فأصابته الغموم وسادته الأحزان والهموم. ومات أمه وهو في الخامسة عشر من عمره. فنشأ يتيماً في أكناف عمه وخالاته¹.

ثقافته وتعليمه: التحق العلامة القرضاوي-رحمه الله- في صباه بكتاب الشيخ يماني مراد، بإغراء من أحد أقربائه، الذي كان من تلاميذ هذا الكتاب، ولكنه انتسب إليه يوماً واحداً فقط ولم يعد إليه بعد ذلك؛ لأن الشيخ يماني ضرب التلاميذ جميعاً لتنشيطهم. فعز عليه أن يُضرب ظلماً وبلا سبب وفي أول قدومه. وهذا الضرب جعله ينقطع عن الذهاب إلى أي كتاب مدة من الزمن، حتى حرضته والدته على الذهاب إلى كتاب الشيخ حامد، الذي يأخذ من الطلاب نصف قرش في كل يوم الأربعاء من كل أسبوع. لكنه تسامح معه لئتمه ونجابهته بين التلاميذ، فيأخذ منه نصف قرش كل أسبوعين. وأتم حفظ القرآن الكريم في التاسعة من عمره. وإلى جانب ذلك، كان يذهب إلى المدرسة الإلزامية الحكومية لقراءة العلوم الأخرى من الحساب والجغرافية والتاريخ والسيرة والعلوم وما إلى ذلك². ثم التحق بمعهد طنطا الديني، وتعلم فيه المرحلة الابتدائية والثانوية، وتلقى من المصائب ما يتلقى الطلاب الفقراء في المدارس من الفقر والجوع، ثم حصل على المنحة الدراسية التي تكفي له، وكان دائماً في الطليعة في الصف، ماعدا السنة التي اعتقل فيها في نهاية الثانوية، فكان فيها ترتيبه الثاني. وبدأ يخطو الخطوات الأولى في نظم وقرض الشعر، وأول أبيات نظمها كان موضوعها "صفارة الإنذار" والمسرحية الشعرية "يوسف الصديق" قبل أن يلتحق بالأزهر الشريف³.

وبعد الحصول على الشهادة الثانوية، التحق بكلية أصول الدين في الأزهر الشريف، وتعلم فيها العلوم الإسلامية، من التاريخ، والفلسفة الإسلامية، وعلم العقائد

والتوحيد، والحديث، والتفسير، والمنطق، ما عدا الفقه الذي يدرس في كلية الشريعة. وتخرج في هذه الكلية أي كلية أصول الدين، حاملاً الشهادة العالمية. ثم حصل على دبلوم في اللغة والأدب في معهد الدراسات العليا عام 1958م، كما حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين عام 1960م⁴.

وبعد الحصول على دبلوم في اللغة والأدب، أراد أن يستمر الدراسة لنيل الماجستير في الأدب واللغة، وحدد الموضوع لرسالة الماجستير، ثم ترك المعهد والتحق بكلية أصول الدين في قسم علوم القرآن والسنة في الأزهر، وحصل على شهادة "تمهيد الدراسات العليا" سنة 1960م. وحصل على الدكتوراه في نفس الجامعة على موضوع "الزكاة في الإسلام" وأثرها في حل المشكلات الاجتماعية" عام 1973م. وعانى من المشاكل الكثيرة لنيلها، فإن الموضوع الذي عينه للكتابة، كان يتعلق بقسم الفقه، وقد كان ملتحقاً بقسم علوم القرآن والسنة، فرفض الجميع أن يشرف عليه في هذا الموضوع، وبقي أمره معلقاً في السنوات العديدة. فأشار عليه أحد من أساتذته أنه لا بد له أن يحصل على الدكتوراه أولاً على أي موضوع يتفق عليه القسم، ثم يكتب كل ما شاء وفي أي موضوع شاء. وأثناء هذه المدة، أراد الشيخ القرضاوي أن يحصل على الدكتوراه من جامعة بنجاب لاهور، لكن أساتذة قسم الفقه في جامعة بنجاب ما كانوا مؤهلين للإشراف على هذا الموضوع، وعلى الرجل الذي أعلى منهم علماً وثقافة. فبقي الأمر على هذا حتى وافق القسم في الأزهر على الإشراف عليه. وقبل القسم رسالته 1973م وأصدر له شهادة الدكتوراه تحت إشراف الشيخ أحمد علي⁵.

انتماء الشيخ إلى الإخوان المسلمين: بينما كان الشيخ يوسف القرضاوي -رحمه الله- في السنة الثانية الابتدائية في معهد طنطا الديني، التابع للأزهر الشريف، سمع عن الشيخ حسن البنا، أنه سيحضر في طنطا ويلقي الخطبة في الليل، فحضر مع الطلاب الآخرين وسمع خطبة الشيخ وتأثر بدعوته كثيراً فمال إلى دعوته، ثم انضم إلى الإخوان في السنة الرابعة الابتدائية عام 1941م، حينما كانت الحرب العالمية الثانية على شبابها، وكان عمره في ذلك الوقت خمسة عشر، وشارك بالفعل في العمل الدعوي للإخوان منذ انتمائه، وقربه الشيخ البنا، وألقى القرضاوي قصيدة في مدح الشيخ حسن البنا،

فشجعه على مواهبه، وإخلاصه للدعوة، وتفوقه في التعلم وذكائه وصلاحه. وازداد الشيخ البنا حباً به. وصار القرضاوي عضواً فعالاً في الإخوان منذ انتمائه 6. درّس القرضاوي-رحمه الله- في هذه المدرسة الخاصة أكثر من شهر، حتى حدث "العدوان الثلاثي" الشهير على مصر انتقاماً لتأميم قناة السويس. فقد هاجم بريطانيا وفرنسا وإسرائيل منطقة القناة وخصوصاً مدينة بورسعيد، وأمطرتها بوابل من القنابل، فعطلت جميع المدارس، وبقي الشيخ بلا عمل. ثم جاءته برقية من وزارة الأوقاف؛ ليتسلم منبر المسجد بالزمالك ويخطب فيه لرفع الروح المعنوية في الشعب في هذه المرحلة الخطيرة على مكافأة اثني عشر جنيهاً مصرياً. وظل الشيخ القرضاوي يخطب في هذا المسجد أكثر من سنة بعد انتهاء الحرب. ثم لاحظ رجال المباحث أن هذا المسجد أصبح مدرسة دعوية، أجبرت وزارة الأوقاف أن تمنعه من الخطابة 7. ثم عقدت المسابقة لتعيين الوعاظ والخطباء، فقدم القرضاوي طلباً، ونجح في المسابقة وتم تعيينه؛ لكن رجال الأمن عارض الشيخ الباقوري على هذا التعيين، واضطر الشيخ إلى أن يسند إليه الإشراف على معهد الأئمة. ثم نقل إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية في الأزهر للإشراف على مطبوعاتها والعمل في المكتب الفني للدعوة والإرشاد. فعمل في هذه الإدارة العامة منذ ثلاث سنوات قبل الإعادة إلى قطر سنة 1961م. المواطن الثاني والجنسية القطرية: في سنة 1961م، تم تعيينه كأستاذ مبعوث للعمل في وزارة المعارف القطرية من قبل فغادر إلى دولة قطر، ولبت هناك كمواطن مصري؛ حتى أعلن الحكومة المصرية اعتقال جميع من اعتقلوا من قبل، في عهد الثورة أو في عهد الملكية، ولو كان اعتقاله خطأ. ويجب أن يعتقل كل من يحوم حوله شبهة من قريب أو من بعيد. فقد اعتقل كثير من الإخوان في هذه المرة واعتقل عشرة من الإخوان الذين يعملون في قطر، وكانوا يقضون الإجازة الصيفية في مصر. وطلبت الحكومة المصرية من دولة قطر إرجاع الشيخ القرضاوي إلى مصر بعد انتهاء مدة الإعادة، ولكن قطر رفضت طلب السلطات المصرية، بناءً على أنها تعاقبت معه للعمل في وزارة المعارف. فهددت السلطات المصرية لعدم تجديد جواز السفر، ونسخ الجواز المصري، فأعطته قطر الجواز القطري، وانتهت المحاولات بالإخفاق نتيجة لموقف قطر الشجاع. فكان الشيخ يسافر بعد ذلك بوثيقة قطرية حتى أجري له الجواز القطري الكامل في عام 1969، بحكم الحاكم خليفة ابن حكم آل ثاني 8.

انتقل إلى رحمة الله، سماحة الإمام يوسف القرضاوي الرئيس المؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الذي وهب حياته، مبينا لأحكام الإسلام. وفقدت الأمة الإسلامية عالماً محققاً من علمائها المخلصين الأفاضل نسأل الله العلي القدير أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة ويدخله في جنات النعيم.

منهج الشيخ القرضاوي في الفقه الإسلامي: تمهر القرضاوي-رحمه الله- في الفقه الإسلامي وعُني به عناية كبيرة منذ البداية، ومارس الإفتاء في مرحلة مبكرة من حياته، حينما كان طالباً في الأزهر وظهر كتابه الشهير "الحلال والحرام في الإسلام" سنة 1960. وممارسة الإفتاء لم يكن بالأمر التقليدي والاكتفاء بالإجابة عن السؤال فحسب، بل كان يعتبر الفتوى وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وفن يصل به إلى قلوب الناس. وهذا شأن الداعية الحريص على هداية الناس ودفع الشبهات عن تعاليم وأحكام الإسلام. ويصف لنا القرضاوي منهج هذا الفن قائلاً: "أرى الفتوى عندي لونها من الدعوة، فهي تتضمن إلى جانب بيان الحكم الشرعي من الوجوب والاستحباب والكراهة أو الحرمة أو الإباحة، وفناً لا بد منه من تصحيح المفاهيم وبيان الحقائق ورد الأباطيل ودفع الشبهات، وتوضيح الحكم والأسرار، حرصاً على إضاءة العقول، وإحياء العقول وترشيد المسيرة"⁹.

منهج القرضاوي في الفقه والإفتاء: اجتهد الشيخ القرضاوي ووضع لنفسه منهجاً علمياً معاصراً يسير عليه في الفقه الإسلامي، بعد قراءة للمصادر الفقهي والتراث الإسلامي القديم ونظراً إلى الواقع ولعصر. وأعلن هذا صراحة في مقدمة الفتاوى المعاصرة وبعض الكتب الأخرى، ضمن شرح المنهج الوسطي الذي يقوم على الاستدلال والترجيح والبيان. وهذا المنهج يقوم على جملة من الأسس والقواعد، وهي فيما يلي:

الأول التحرر من العصبية المذهبية والتقليد الأعمى: درس الشيخ القرضاوي-رحمه الله- الفقه، وفق المذهب الحنفي، والذي مهّد له التوسع والوسطية في الفن وسعى منذ شهرته في مجال الدعوة، إلى تحرير العقول من قيود التعصب المذهبي. وكان يكره التعصب الممقوت في بعض المذاهب، وهذا أمر واضح عند الشيخ منذ البداية؛ إذ يقول في كتابه "الحلال والحرام": "و لم أرض لعقلي أن أقلد مذهبا معينا في كل القضايا والمسائل ولم أحاول أن أقيد نفسي بمذهب فقهي من المذاهب السائدة في العالم الإسلامي".¹⁰ وذلك أن الحق لا ينحصر في مذهب واحد أو المذاهب المتبوعة. ولم يدع

الأئمة لأنفسهم العصمة والحقية، وإنما هم مجتهدون في تعرف الحق، ولأن الشريعة الإسلامية لا يمثلها مذهب معين، وإنما يمثلها مجموع من المذاهب والمدارس الفقهية المتبوعة والمنقرضة وأقوال العلماء الذين لم يعرف لهم مذهب. وإلى هذا يشير القرضاوي بقوله: "لابد من اعتبار المذاهب المعتمدة عند الأمة، كلها مدارس فقهية، وطرق لمعرفة أحكام الشريعة الإسلامية، وكلها على هدى وعلى خير في مجموعها وجملتها، لا في جميع جزئياتها وتفصيلاتها." وهي من هذه الحيثية متساوية في نسبتها إلى الكتاب والكريم والسنة المطهرة والشريعة الإسلامية. وأما من حيث التفصيل، فلا يوجد مذهب إلا وفيه مسائل كثيرة يستند إلى الأدلة الضعيفة غير المقنعة، وهذا بمقتضى البشرية.

وهذا التحرر من المذهبية لا يتنافى مع التوقير والاحترام للعلماء والأئمة والتراث الفقهي، بل إنما هو تنفيذ لوصاياهم لأنهم وصوا الأمة بالنظر في الآراء الفقهية والأخذ بكل ما يوافق الكتاب والسنة وترك ما يخالفهما فقال الإمام أبو حنيفة: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"¹¹ وأيضا قال: إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فاتركوا قولي.

وقال الإمام مالك: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

وقال الإمام الشافعي: مهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صل الله عليه وسلم لخلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله صل الله عليه وسلم وهو قولي.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا. وأيضا قال: رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء وإنما الحجّة في الآثار.

بناء على ذلك، يرى الإمام القرضاوي أن التحرر من المذهبية ضروري للوصول إلى ما هو أصوب في ضوء الكتاب والسنة، ولكن هذا لا ينقص من قيمة المذهب ولا من قدر صاحبه، لأن المجتهد مأجور حتى على خطائه في ضوء الحديث عن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"¹² في هذا الحديث، يخبر النبي صلى الله عليه وسلم

عمن كان جامعاً لآلة الاجتهاد و عارفاً بالأصول و عالماً بوجوه القياس و أما من لم يكن محلاً للاجتهاد و غير أهل له فهو متكلف و لا يعذر على الخطاء بل هو متوعد بالنار بمقتضى ما رواه أبو بريدة الأسلمي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "القضاة ثلاثة: واحد في الجنة و اثنان في النار؛ فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار"¹³.

فالحديث الأول ورد في العالم الذي يعرف الأحكام الشرعية و ليس جاهلاً، و لكن قد تخفى عليه بعض الأمور و تشتبه عليه بعض الأشياء فيجتهد و يتحرى الحق و ينظر في الأدلة الشرعية من القرآن و السنة و يتحرى الحكم الشرعي لكنه لم يصبه، فهذا له أجر الاجتهاد و يفوته أجر الصواب، و خطؤه مغفور؛ لأنه عالم عارف بالقضاء و لكن في بعض المسائل قد يغلط بعد الاجتهاد و التحري و النية الصالحة فهذا يعطى أجر الاجتهاد و يفوته أجر الصواب. و من اجتهد في طلب الحق و اعتنى بالأدلة الشرعية ليس له قصد سيئ، بل هو مجتهد طالب للحق، فوفق له و اهتدى إليه و حكم بالحق فهذا له أجران: أجر الإصابتة، و أجر الاجتهاد. و أما الحديث الثاني فقد ورد فيمن قضى للناس على جهل ليس عنده علم لشرع الله يقضي به بين الناس فهو متوعد بالنار؛ لقوله: على الله بغير علم، و هكذا الذي يعلم الحق و لكن يجور من أجل الهوى لمحبته لشخص أو لرشوة أو ما أشبه ذلك، فيجور في الحكم فهذان في النار.

و يرى الإمام القرضاوي أن مخالفة الأئمة الأربعة كلهم أو بعضهم ليست طعناً في إمامتهم، و لا حطاً من شأنهم و لا قدحاً في سعة علمهم، و صحة اجتهادهم و صدق تحريهم للحق. و من ظن ذلك فقد جهل حقيقة هذه الأمة و تاريخها، بل حب هؤلاء و توقيرهم و الثناء عليهم من صميم دين الإسلام. و الفقه هو ليس بالشرعية الإسلامية في ذاته بل هو عمل العقل الإسلامي في استنباط أحكام الشريعة إلا أن الشريعة لا توجد إلا في داخل الفقه الإسلامي الذي يشمل جميع المذاهب المتبوعة و المنقرضة. و العصبية المذهبية سجن ضيق في جنة الشريعة الفياض الواسعة. و التعصب لواحد من الأئمة هو بمنزلة التعصب لواحد من الصحابة دون الباقيين و مرفوض و مذموم و خارج عن الشريعة و المنهاج الذي بعث الله به رسوله.

و الشيخ القرضاوي يرى أن المفتي لا يتطلب منه أن يكون بالغاً درجة الاجتهاد المطلق، بل يكفي له عدة أمور فحسب وهي:

الأول ألا يلتزم رأياً في قضية بدون دليل أقوى، سالم من معارض معتبر. فيجب على المفتي أن يغوص في أعماق التركة الفقهية ويطلع على خباياها وينقب في زواياها ويقارن بين الأدلة والحجج دون تعصب لرأي.

الثاني أن يكون قادراً على الترجيح بين الأقوال المختلفة والآراء المتعارضة بالموازنة بين أدلتها وفقاً لمعايير الترجيح العلمي.

الثالث أن يكون أهلاً للاجتهد الجزئي بمعنى أن يكون الفقيه واسع الاطلاع وقادراً على الاجتهاد في باب خاص دون الأبواب الأخرى.

وهذا مما جعله يقدر على إصدار فتاوى وسطية تيسر على الناس وترفع عنهم الحرج بعد النظر في أقوال العلماء والتمحيص في أقوالها والترجيح بما يراه مناسباً بناء على قوة الأدلة ولا يدعي بحصر الحق فيه مثل المسح على الجورب لا يجوز عند مالك ويجوز عند الشافعية وفيه تفصيل عند الأحناف، لكن القرضاوي يرى جواز المسح على الجورب مطلقاً ويرجع مذهب الشافعية في هذه المسئلة تحرراً من العصبية وبناء على الدليل الأقوى على حسب رأيه وتيسيراً للناس ورفع الحرج عنهم في أمكنة لا يتيسر له غسل القدمين.

الثاني التيسير والتخفيف مقابل التشديد والتعسير: الأحكام الشرعية مبنية على اليسر ورفع الحرج عن المكلفين وهذا يعد من مزايا الشريعة الإسلامية، فالدين يسر ولا يكلف الله تعالى الإنسان بما لا يطيقه وقد يسر للناس في أمكنة مختلفة من القرآن والسنة. والرخصة والتيسير مبدأ أصيل في الشريعة الإسلامية ومقصد أعلى من مقاصد التشريع الإسلامي فما من حكم من الأحكام الشرعية الإسلامية إلا والتيسير لحمته وسداه، والذي يتأمل التشريع الإسلامي يوقن بهذه الحكمة يقينا لا يتطرق إليه أدنى شك وريب.

وقد تبنى الشيخ القرضاوي منهج التيسير والتخفيف على التشديد والتعسير وهو المنهج الوسطي عنده، ولكن يجب أن نعلم جيداً أن التيسير ليس معناه أن يعرض عن النصوص لترجيح رأي على غيره أو أن تفسر الأدلة قسراً على تأييد الوجهة والرأي التي رآها أحد صحيحاً، بل منهجه هو اتباع الدليل حيث كان ورد المتشابهات إلى المحكمات والظنيات على القطعيات والفروع إلى الأصول لكي يجد الدليل الراجح للتيسير المطلوب، والذي يتضمن المصلحة والحكمة الحقيقية لا المصالح الموهومة.

ووجب أن يتذكر هنا جيداً أن المفتي يجب أن يكون ممن يوثق بعلمه ودينه ويعلم ضوابط الأخذ بالرخصة وأصول الأخذ باليسر، وذلك أن لا يعارض مصادر الشريعة القطعية، وأصولها ومبادئها ولا يترخص فيما لا يجوز الترخيص فيه. فالتيسير والرخصة يوازن بميزان الشرع ومقاصده وقواعده رعاية لمصلحة الناس، وترغيباً في الدين، وتثبيتاً لأقدامهم على الطريق القويم. وليس معنى التيسير تتبع الرخص مما يؤدي إلى التلذيق الممنوع القائم على التشهي والتلهي واتباع الهوى، فإن تتبع الرخص والبحث عن الأسهل وعمما يحلو له، دون مراعاة لأي دليل هو اتباع الهوى وغير جائز ولهذا قال السلف من تتبع رخص المذاهب فسق. وهذا ما يؤكد الإمام الشاطبي إذ يقول إن تتبع الرخص ميل مع أهواء النفوس، والشرع جاء بالنهاي عن الهوى.

وأما الأخذ بالأحوط فهو محمود وفي بعض المسائل ضروري لدرء المفساد و سد الذريعة وبه قال القرضاوي. ولما سئل الشيخ عن حكم تناول وأخذ الأبر والحقن في الصيام وهذا أمر مستحدث واختلف فيه العلماء فيراه البعض مفطراً والآخر غير مفطر والقرضاوي يميل إلى أنه غير مفطر لأنه لا يصل إلى المعدة إلا أنه أفتى بالأحوط سدا للذريعة فإن هذه الإبر وإن لم تكن تغذي بالفعل كتغذية الطعام والشراب لكنه على الأقل يسبب نوعاً من الانتعاش بزوال التعب؛ لكي لا يتناول الناس هذه الإبر بالنهار للحصول على نوع من القوة وقدر من الانتعاش ولكي لا يحسوا كثيراً بألم الجوع. وأفتى بتوسيع زمن رمي الجمار في الحج لعموم البلوى واشتداد الزحام مما أدى إلى التدافع الناتج عن وفاة كثير من الحجاج¹⁴.

يرى الشيخ يوسف القرضاوي أن الطلاق عند الضرورة، وهي وسيلة أخيرة شرعها الإسلام كحل للمشكلات التي لا يحلها إلا الفراق بالمعروف وهو الوسيلة الأخيرة التي يلجأ إليها الزوجان بعد إجراء كافة المحاولات التي من شأنها إصلاح الحال بينهما، وأجاز الإسلام اللجوء إلى هذه الوسيلة على كره وهي أبغض الحلال عند الله تعالى. وهي رخصة شرعت للضرورة حين تسوء العشرة وتستحكم النفرة بين الزوجين ويتعذر عليهما البقاء على زواجهما. وهو محرم محظور في الإسلام بغير ضرورة تقتضيه. ويرى أيضاً أن الجمع بين الطلقات الثلاث في مرة واحدة أو لفظاً واحدة غير مشروع، وانحراف عن الصراط المستقيم ولا تقع إلا واحدة منها مخالفاً لجمهور العلماء والأئمة الأربعة المتبوعين لما فيه من التيسير والتسهيل للمسلمين وقد أفتى به بعض كبار أهل

العلم أمثال العلامة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى بناء على بعض الأحاديث الواردة التي تؤيده 15 .

الثالث الإعراض عما لا ينفع: من منهجه أنه لا يشغل نفسه إلا بما ينفع الناس ويحتاجون إليه في واقع حياتهم، فأسئلة الناس لا تنتهي وكثير من المسائل بقيت في الكتاب ولم يبق لها أي ضرورة في الواقع فلا يتوجه إليه وما إلى ذلك من الأمور التي لا صلة لها بالناس في الحاضر ولا في المستقبل.

الرابع: التزام روح الوسط بين المتحللين و المترمتين والاعتدال بين التفريط والإفراط: إن منهج الوسطية في كل الأمور منهج شرعي يعصم الناس من الغلو، وسياج منيع يحفظ الناس من الوقوع في مهاوى الإفراط والتفريط، و هي ليست محصورة في جزئية من الجزئيات أو ركن من الأركان، بل إنما هي منهج متكامل شامل لا ينفصل بعضه عن بعض، فالإسلام هو دين الوسطية ويجب أن يتجنب الناس من الذين يريدون أن يتحللوا من عرى الأحكام الثابتة بدعوى مسايرة التطور، وأيضا من الذين يريدون أن يظل كل ما كان على ما كان من الفتاوى والأقوال، لأن التوسط والاعتدال هو الذي يتفق مع الفطرة الإنسانية، فالإنسان خلق ضعيفا يعتره الكسل والفطور ويتقلب بين قوة وضعف، وصحة ومرض، فكان الاعتدال هو المناسب له والمتفق مع حاله. ولذلك يطلب القرضاوي من المفتيين والقضاة أن يتبعوا هذا المنهج الوسطي في كل باب من أبواب الفقه الإسلامي، من الطهارة والصلاة والصوم والحج والزكاة، وفي العبادات والمعاملات والفقه الجنائي والمالي والسياسي والإداري. وهذا المنهج جعل الشيخ يوظف أدلة اليسر ورفع الحرج، ويضيق في الإيجاب والتحريم، ويرفض التشديد والتضييق المؤدي إلى الانغلاق والتحجر، ويختار التوسع فيما لا نص فيه من المسائل والقضايا عملاً باستصحاب الحال، والاستصلاح والاستحسان ورعاية العرف وسد الذريعة، وبمقتضى اختلاف الزمان والمكان 16 .

الخامس: إعطاء الفتوى حقها من الشرح والإيضاح: الشيخ القرضاوي يرفض طريقة بعض العلماء في جواب السائلين بطريقة مقتضبة ومقتصرة مثل هذا حلال وهذا حرام، ولكنه يفضل الإجابات المفصلة ويجتهد أن يجمع من الأدلة مايقنع المستفتي ويشفي غلتهم. وكذلك يخاطب الناس بلغة العصر السهلة السلسة وبالمنطق والدليل ولا يعتمد على إثارة العواطف ويتجنب التكلف في استخدام العبارات والأساليب 17 .

الخاتمة: لا شك أن الشيخ يوسف القرضاوي استطاع أن يُفيد من دراسته المتخصصة للفقه وأصوله، في خدمة المسلمين من خلال ما نُسمّيه فقه المعاصرة، وهو فقه يتجاوز من قضايا العبادات والمعاملات، إلى القضايا المعاصرة بما فيها من مواقف وظروف مختلفة تمامًا عن المواقف والظروف التي عرفها القدماء؛ وهذا مما جعله يقدر على إصدار فتاوى وسطية تيسر على الناس وترفع عنهم الحرج، بعد النظر في أقوال العلماء والتمحيص في أقوالها والترجيح بما يراه مناسباً، بناء على قوة الأدلة، ولا يدعي بحصر الحق فيه. وهو في الحقيقة يرجح القول الأيسر للأمة في القضايا المختلف فيها، إما بناء على الضرورة، أو على التيسير، أو تحميلاً على اختلاف الزمان والمكان، أو التأويل والقياس والاستنباط من الكتاب والسنة ومن المسائل المتفق عليها في القضايا المستحدثة.

الهوامش

- 1 القرضاوي، يوسف عبد الله. **ابن القريّة والكتاب**. ج 1، ص: 75.
- 2 المرجع نفسه، ج 1، ص: 94-95.
- 3 المرجع نفسه، ج 1، ص: 112-167.
- 4 المرجع نفسه، ج 2، ص: 231.
- 5 المرجع نفسه، ج 2، ص: 150.
- 6 المرجع نفسه، ج 1، ص: 277.
- 7 المرجع نفسه، ج 2، ص: 261.
- 8 المرجع نفسه، ج 3، ص: 11.
- 9 القرضاوي، يوسف عبد الله. **الفتوى بين الانضباط والتسيب**. ص: 07.
- 10 القرضاوي، يوسف عبد الله. **الحلال والحرام في الإسلام**. ص: 11.
- 11 ابن القيم. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. ص: 209.
- 12 أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.
- 13 أخرجه أبو داود في سننه، كتاب القضاة، باب في القاضي يخطئ.
- 14 القرضاوي، يوسف عبد الله. **فتاوى معاصرة**. ج 1، ص: 551.
- 15 القرضاوي، يوسف عبد الله. **الحلال والحرام في الإسلام**. ص: 191.
- 16 القرضاوي، يوسف عبد الله. **فتاوى معاصرة**. ص: 35.
- 17 المرجع نفسه، ص: 46.

المصادر والمراجع

- ابن القيم. **إعلام الموقعين**. بيروت: دار الجيل، 1973 م.
- ابن حزم. **الإحكام في أصول الأحكام**. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1980 م.
- القرضاوي، يوسف عبد الله. **ابن القريّة والكتاب** (مذكرات القرضاوي) في أربع مجلدات، الموقع الإلكتروني: موقع الملفات الإسلامية.
- القرضاوي، يوسف عبد الله. **الحلال والحرام في الإسلام**، ط 2. القاهرة: مكتبة وهبة، 1997 م.
- القرضاوي، يوسف عبد الله. **الحياة الربانية والعلم**، ط 1. القاهرة: مكتبة وهبة، 1995 م.
- القرضاوي، يوسف عبد الله. **الخصائص العامة للإسلام**، ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالت، 1983 م.
- القرضاوي، يوسف عبد الله. **ظاهرة الغلو في التكفير**، ط 3. القاهرة: مكتبة وهبة، 1990 م.
- القرضاوي، يوسف عبد الله. **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ط 3. القاهرة: مكتبة وهبة، 1992 م.
- القرضاوي، يوسف عبد الله. **فقه الجهاد**، ط 4. القاهرة: مكتبة وهبة، 2014 م.
- القرضاوي، يوسف عبد الله. **فقه الزكاة**، ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالت، 1973 م.
- القرضاوي، يوسف عبد الله. **فوائد البنوك هي الربا الحرام**، ط 3. القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1994 م.
- القرضاوي، يوسف عبد الله. **في فقه الأقليات المسلمة**، ط 1. القاهرة: دار الشروق، 2001 م.

الدراسات اللغوية والنقدية

الرواية التاريخية: عناصرها وأصولها

د. سيد محمد شاكر

الرواية التاريخية: عناصرها وأصولها

د. سيد محمد شاكر*

ملخص البحث: هذا البحث يناقش عن الرواية التاريخية عناصرها ومفهومها وتاريخها في الأدب العالمي، استند الباحث على منهجية البحث التحليلي في تناول الموضوع. الرواية التاريخية تنزل مكانة مرموقة في الفن الأدبي مع اخواتها من الرواية والقصة القصيرة والشعر، والرواية التاريخية ليست محض سرد القصة لأجل المتعة، بل هي تتعدى حدود المتعة الى حدود تثقيف القيم والعبر المتراكمة عبر التاريخ. الرواية التاريخية تحتفظ وقائع التاريخ بدون أي تعديل أو تغيير للحقائق التاريخية. فالرواية التاريخية موكلة الأصالة التاريخية والتعمق الإبداعي.

كلمات مفتاحية: الرواية التاريخية، السرد، الأشخاص المتخيلة، الفن الأدبي.

المقدمة: للرواية التاريخية أهمية كبرى في جميع لغات العالم وآدابها، ودور بارز في نقل الوعي التاريخي والروح التقليدي بين أفراد المجتمع. الرواية التاريخية أداة قوية للتعبير عن الأفكار تهدف بها انتقاد النسيج الاجتماعي والثقافي السائد للمجتمع الذي يعالجه المؤلف في المعالجة الأدبية. الرواية التاريخية نوع من الروايات التي تخلق ساحة لاتقاء التاريخ بالخيال، يستهدف الروائي من خلاله تصوير واقع من وقائع العصر السالف أو حدث من أحداث التاريخ الغابر لأجل نشر العبر الكامنة في طيه بصبغة روائية مستمدة من التاريخ. مما لا يتنازع فيه العنزان، أن موضوعات الرواية التاريخية يتم اختيارها من التاريخ وتقدم بصبغة روائية يسهل بها إيصال حقائق التاريخ إلى القراء بدون ملل وسامة، كما يؤدي بهذا النمط السرد التاريخي عرض الأحداث والشخصيات والفتريات الزمنية في صورة حية وموحية مع إسقاطات معاصرة مناسبة بقصد إثارة الوعي القومي وتجسد الأمثلة البطولية وتوصيل القيم والعبر إلى الجيل الراهن والأجيال القادمة.

قد حاول النقاد والعلماء بجهودهم المكثفة في وضع تعريف جامع لهذا النوع من الأدب إلا أن إيجاد تعريف جامع ومانع في مجال العلوم الإنسانية أمر يستدعي الخلاف

* عميد كلية مدينة العلوم العربية، بوليكال، كيرلا، الهند.

والنقاش. وقد عرف جورج لوكاتش: الرواية التاريخية بأنها: رواية تاريخية حقيقية، أي رواية تثير الحاضر، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق للذات¹.

الرواية التاريخية، من حيث إنها سرد قصصي يدور حول حوادث تاريخية، تقوم بوظيفة نبيلة خلال انتشارها في المجتمع، وذلك لما فيه من محاولة لإحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقيين أو خياليين أو بهما معا². ومن هذا المنطلق تعتبر الرواية التاريخية عجلة التعليم عن طريق الأدب. الرواية التاريخية توفر للكاتب فرصة جديدة لحكاية قصة فريدة باستخدام الأشخاص والحوادث الحقيقية. ولذلك يحتاج الكاتب الى توازن عالية بين دقة البحث والإبداع. تستند الروايات التاريخية الى تفاصيل الفترة الزمنية المعينة بأكبر قدر ممكن من الدقة للأصالة، بما في ذلك الأعراف الاجتماعية، والأخلاق، والعادات، والتقاليد وما إليها.

هناك بعض الإيجابيات يتمتع بها الكتاب في الرواية التاريخية كما ان هناك بعض السلبيات أيضا. من إيجابياتها توفير جو سليم لأداء المهمة الأدبية، ولعل هذا الأديب يكون هدف العتاب بسبب انتقاده الصريح باستخدام وسيلة الأدب العام، ولكن ربما يسلم من آفات صدى كتابته وانتقاداته الاجتماعية عن الاعتماد على وسيلة الرواية التاريخية، لأنه لا يقوم بذكر أوضاع المجتمع الراهنة بأسلوب مباشر، بل يقدمها بواسطة ذكر التاريخ في مؤلفاته الأدبية " والرواية التاريخية توفر للكاتب غطاء آمنة يتنقل من خلاله، وينتقد الأوضاع السائدة، ويقدم الحلول الناجعة دون أن يضطر إلى النقد الصريح للقوى القائمة في عصره. وفي مقابل هذه الإمكانيات ان الكاتب يواجه بعض السلبيات أيضا، فعلى سبيل المثال حرية الكاتب محدودة في خلق حبكة القصة فليس له أن يغير في بنية الأحداث التاريخية، أو أن يخالف منطق الشخصيات التاريخية³. فلا يسع للكاتب خلق جو خيالي يخالف الجو الحقيقي في التاريخ، إنه مأمور بالحفاظ على الحقائق التاريخية وان يلتزم بالمتطلبات الأخلاقية الأكاديمية.

فإن كانت الرواية التاريخية توفر للكاتب فرصة لكشف جوانب التاريخ المختلفة، فإنها لا تعطي له حق التغيير والتعديل في حقائق التاريخ وتزييف الوقائع. يقول لوكاتش أنه يجب "يجب أن تكون الرواية أمينة للتاريخ، بالرغم من بطلها المبتدع وحبكتها المتخيلة"⁴.

وتتنوع مواقف النقاد من وظيفة الرواية التاريخية على أساس جوانب الأدب والتاريخ وعناصرها الأخرى، في حين يرجح بعضهم التركيز على التاريخ، ويرى آخرون منهم التأكيد على ناحية الأدب والجمال الفني، وتلاحظ الفئة الأخرى أهمية معالجة القضايا الاجتماعية من خلالها ولا تعنى الرواية التاريخية بتقديم التاريخ للقارئ بالدرجة الأولى، لأن وثائق التاريخ كفيلاً بأداء هذه المهمة، وإنما تكمن قيمتها في مدى براعة الكاتب في استغلال الحدث التاريخي واعتماده إطاراً منه لمعالجة قضية حية من قضايا مجتمعه الراهنة⁵.

لجوء الأدباء إلى التاريخ: يستحق هذا المبحث اهتماماً بالغاً لأهميتها الأساسية في مباحث الرواية التاريخية، نظراً لكون اعتماد كثير من الأدباء على التاريخ ولجوئهم إليه في قطعهم الأدبية، حيث توجد هناك أسباب كثيرة ودوافع قوية تدفعهم إلى ذلك، ومن أهمها: ما يتصل بسباق سياسي سائد في مجتمع الأديب حيث يضطر الكاتب إلى الاعتماد على أحداث التاريخ ويتخذ منها مادة تناسب لفكرته، وهو بذلك، ربما يسلم من نتائج خطيرة منتجة عن تعبيره الأدبي رسالته وأفكاره وانتقاداً بشؤون الأشخاص والمجتمع: "وغالباً ما يكثر اللجوء إلى الأسطورة في الفن إذا ما كانت الموضوعات التي يطرقها الفنان موضوعات سياسية على درجة من الثورية بحيث يصبح من الصعوبة أن يعالجها بأسلوب واضح مباشر، بل لعل الأسطورة - هنا - بما تتضمنه من رمزيات وما تتيحها من حرية في الخيال تكون أكثر فاعلية وإيجابية في التعبير عن مقاصد الفنان"⁶.

الروائي يعتبر عدداً من العناصر الأساسية حينما يكتب الرواية. هناك سبعة عناصر أساسية يجب على الكاتب اعتبارها لتكون الرواية معتبرة في ضمن الروايات الناجحة وهي الشخصية والحبكة والموضوع والحوار والإعداد والمؤامرة والصراع وبناء العالم. وإن كان نجاح أو فشل أي رواية يعتمد على هذه العناصر السبع، فالرواية التاريخية لم ينحصر تقييمها على هذه الأشياء فقط، بل يتعدى الاعتبار إلى شيء آخر وهو إعادة التاريخ إلى كائن حيوي ونشط يزود القراء ببعد جديد مزيج بالإبداع الأدبي.

تمتلك أحداث التاريخ قدرة فائقة على مساندة الكاتب في بلوغ أهدافه المنشودة أكثر من إمكانية أحداث الزمن الحاضر بأسباب شتى حيث تدفع الأنباء إلى هذا الجانب في دائرة واسعة لأن الفن عموماً، والفن المسرحي خصوصاً، ينبغي عندي أن يقوم أكثر ما يقوم على الرمز والإيحاء، لا على اليقين والتحديد، فتكون الحقيقة التي يصورها العمل

الفني وهو هذا المسرحية - أوسع وأرحب من الحقيقة التي يمثلها الواقع، وأحداث التاريخ تعين الكاتب على بلوغ هذه الغاية أكثر مما تعينه أحداث الجيل المعاصر، لأن أحداث التاريخ قد تبلورت على مر الأيام فاستطاعت أن ينزع عنها الملابس والتفاصيل التي ليست بذات بال من حيث الدلالات التي يتصيداها الكاتب للوصول إلى الهدف الذي يرمي إليه في عمله الفني"⁷.

وهنا دوافع أخرى تحرض الأديب على اللجوء إلى التاريخ في إنتاجاته الأدبية، ما تتعلق بنظرية الكاتب وموقفه من الجهود الأدبية، حيث يعتمد كثير من الكتاب على التاريخ وأحداثه لتسهيل عملية إيجاد الموضوعات الجديدة حتى لا يواجهوا التعب والعناء في البحث عنها. ويعود معظمهم إلى مواد التاريخ في مجال الأدب بدافع آخر، وذلك متعلق بفكر الأديب واعتقاده حينما يتجهون إلى التاريخ لعرض الصور المشرقة والمثل العليا والأمجاد العظيمة التي تمثل ما يلتزم به من معتقدات وأفكار "الكاتب يعتمد إلى التاريخ بدافع فني هو سهولة العثور على مادة أو موضوع يصلح كنواة لعمل روائي، وبدافع قومي هو إحياء صفحة من تاريخ الأمة لتصبح درسا مستفادا في نضالها المعاصر"⁸.

ظهور الرواية التاريخية في العالم: يرى الباحثون أن القصص التاريخية كانت موجودة عند الغرب في القرن العاشر الميلادي مثل ملحمة بيوليف الاسكندنافية، رغم آراء مختلفة متواجدة في موضوع ظهور الرواية التاريخية في العالم، حيث يقول جورج لوكاتش أن الرواية التاريخية نشأت في مطلع القرن التاسع عشر، ولكن كانت هناك روايات ذات مواضيع تاريخية في القرنين السابع عشر والثامن عشر. كان سير والتر سكوت (Sir Walter Scott) وأونوريه دي بلزك (Honoré de Balzac) وجيمس فينيمور كوبر (James Fenimore Cooper) وليو تولستوي (Leo Tolstoy) من بين أوائل الروائيين الذين استخدموا البيئة التاريخية موضوعا للكتابة⁹. يذهب الدارسون إلى القول إن "الرواية الغربية [نشأت] في مطلع القرن التاسع عشر، وذلك زمن انهيار "نابليون" على يد الكاتب الأسكتلندي والتر سكوت 1832م إذ ظهرت رواية سكوت "ويضري عام 1814م"¹⁰.

عند المقال حول بداية الرواية التاريخية، ينسب الظهور إلى الكاتب الأمريكي ستيفن كرين¹¹ برواية إشارة الشجاعة الحمراء، ولكن ترمي عنها معاييب شكلية وضمنية في

ناحية العناصر الروائية. تبرز العناصر الضمنية الملتزمة بجمالية الرواية بصفة متكاملة في رواية ويفرلي " للروائي الشهير والتر سكوت الأسكتلندي 12، الذي ألفها سنة 1814م، كما ألف بعدها خمسين رواية تاريخية، حيث اشتهر بابي الرواية التاريخية بوفرة إسهاماته الفعالة في هذا الحقل.

تتسم الرواية التاريخية بوجودها في كل لغات ويوجد لها أثر بالغ وقدر عظيم في اللغة الفرنسية وخاصة بجهود الكاتب الفريد ديفني 13 الذي جعل تغيرات ملحوظة في تلك الساحة بروايته المشهورة 5 مارس في سنة 1825م، كما أن الأديب المعروف الإسكندر ديماس 14 نهج طريقا جديدا في مجال الرواية التاريخية بابتكاراته المميزة وإبداعاته القيمة، حتى قيل عنه أنه أبو التاريخ الفرنسي. تطورت نشأة الرواية التاريخية على المستوى العالمي في أوروبا إلى حد كبير عند ازدياد وتقوية روح القومية الأوروبية.

وبدأ الروائيون يتجهون إزاء هذا الاتجاه بمزيد من التحمس والحرص فظهر هناك فكتور هيغو 15 برواية أحذب نوتر دام سنة 1831م، وفي روسيا تقدم ليو تولستوي 16 بروايته الحرب والسلام، وفي إيطاليا ألكسندرو مانزوني برواية المخطوبين سنة 1933م، وفي ألمانيا الكسز" ب أفلاذ امور وهوف برواية ليشتونستان، وفي بولونيا برناتويز " برواية بوجاتا، وفي الدانمارك ظهر أنجمان " بعدة روايات تاريخية. وظهر عديد من الروائيين في ميدان الرواية التاريخية في عهد الثلاثينات من القرن العشرين أمثال كينيث روبرتس وروبرت حريفر وفورستر " وغيرهم من الأدباء المرموقين، كما أن هذا المجال توسع بعد الحرب العالمية الثانية بظهور هوب متز وماري رينولت " وومارجريت يورثيسار وغيرهم.

حقائق التاريخ في الرواية التاريخية: وقد جرت عدة مناقشات حول حضور حقائق التاريخ في الرواية التاريخية وأهميتها وأمانتها حتى تواجدت هنا مذاهب متعددة وآراء متباينة، حيث يهتم بعضهم بناحية الالتزام اهتماما بالغاً في حين يميل الآخرون إلى تساهل الموضوع. رغم المواقف المختلفة في تلك الحقول، توجد أقوال معتمدة من قبل النقاد والمؤرخين: " يجب أن تكون الرواية أمينة للتاريخ، بالرغم من بطلها المبتدع وحبكتها المتخيلة" 17.

يقول د. عبد الله الخطيب حول رأي جورج لوكاتش في هذا الشأن "والناقد هنا يرى أمرين، يتمثل الأولى في ضرورة الالتزام بحقائق التاريخ الكبرى دونما تغيير أو تزيف،

فيما يقوم الأمر الثاني على جواب استيعاب الرواية التاريخية للبطل الروائي غير الحقيقي، والحبكة الفنية المتخيلة على خلفية صيرورة الأحداث التاريخية الحقيقية والروائي في استلهامه للتاريخ يعيد ترتيب الأشياء وتوزيع الأدوار كما يريد تأصيلاً لرؤيته التي يقيم بناتها في معمارها الروائي الجديد¹⁸.

يستخدم الأدباء حقائق التاريخ وأحداثها لاكتشاف العبر والعظات من الماضي وابتداع الفكرة والعاطفة من سجلاتها السالفة حيث يعتمد على الحوادث استشرافاً إلى المستقبل لتوجيه الجيل الراهن والأجيال القادمة إلى المستويات الرفيعة، إذ الحقائق التاريخية تكون هنا المصادر التي يعود إليها الروائي بحيث يصورها على نمط جديد مبتكر مهتم بأهدافه الخاصة وذوقه الذاتي بمزج الخيال والعاطفة في إطار الجمال الفني: "يكاد التاريخ أن يكون منظومة من الأحداث والتمثيلات لواقع قائم متجه نحو الماضي، في حين يكاد التاريخ يكون منظومة من الأحداث والتمثيلات لواقع ممكن متجه نحو المستقبل، ولعل هذا يجعل المسافة بين الواقع والقائم والواقع والممكن تماثل المسافة التي اختزلها سؤال الكتابة بين الحقيقية والاحتمال إن التعامل مع التاريخ من حيث هو مكون روائي لا يعني اعتماد التاريخ بديلاً للتخيل، وكأن الرواية التاريخية بتكامل مستويات البناء والتجنس لا تكمن في طبيعة الأحداث التي تعرض لها، بل في الطريقة التي تقدمها بها"¹⁹.

وليست وظيفة الرواية التاريخية وميزتها منحصرة في تعليم التاريخ، بل تتعدى إلى وظيفة الأدب التي تمس بجميع أبعاد الحياة متناولة قضاياها ومتمثلة بهمومها وآلامها: عمل فني يتخذ من التاريخ مادة له، ولكنها لا تنقل التاريخ بحرفه بقدر ما يصور رؤية الفنان له وتوظيفه لهذه الرؤية للتعبير عن تجربة من تجاربه، أو موقف من مجتمعه يتخذ من التاريخ ذريعة له²⁰.

والرواية التاريخية قادرة على أن تجلب اهتمام القراء إليها بتزويد المعلومات التاريخية بصفة رائعة خلافاً عن مزاج الكتب التاريخية التقليدية: "كانت الرواية بعامة والرواية التاريخية بخاصة وسيلة هامة لاكتساب المعلومات والمهارة الأسلوبية والتعرف على شخصيات تاريخية أثرت في مسيرة الأمة وتقدمها ولا يجب النظر إلى الرواية على كونها نوعاً من الترف الفني أو المتعة الجمالية الخالصة، بل لها دور نشيط في تحريك الأذهان، وشحنها بالقيم والأفكار تجاه الماضي والواقع معاً، والتطلع

نحو الغد انطلاقاً من هذه الأفكار وتلك القيم. وإذا كان تعليم التاريخ في مدارسنا قد تعرض للكثير من النقد الذي تمثل في جفافه وكثرة التواريخ، وتتابع الأحداث التي لا تسمن ولا تغني من جوع، بل وصل الأمر إلى كونها عبء خطير على عقول ووجدان المتعلمين، مما جعل بعضهم يهرب إلى دراسة مواد أخرى اختيارية كالفلسفة التي تعد كتبها في المرحلة الثانوية أقل حجماً من كتاب التاريخ الذي يبلغ عدد أوراقه تقريباً حجم كتابي الفلسفة وعلم النفس معاً²¹.

وقد جرت في عالم الأدب والنقد عدة تحليلات حول وظيفة الرواية التاريخية وحقيقتها: "ما المراد بالرواية التاريخية أي الرواية التي تتفاعل مع أحداث تاريخية فتكون الرواية بذلك هي النتاج المباشر لهذا التفاعل؟ أم هي الرواية التي تقتبس أحداثاً وقعت في الماضي، ويعاد صياغتها في أسلوب فني يعكس تفاعل الذات الذوات مع أحداث محددة، أو واقع اجتماعي، أو سياسي، أو ثقافي لم يتسن للمؤلف الإجابة عنه مباشرة؟"²².

علاقة الرواية بالتاريخ: علاقة الرواية بالتاريخ علاقة وطيدة، كلاهما يعتمد على السرد، والاهتمام بالأشخاص والأحداث، ولكل منهما قوة جاذبية يجذبان بها القراء حيث يتحكمان على عواطفهم ومشاعرهم ويأثران في إدراكهم ووعيهم. الرواية هي أقرب فنون الأدب إلى التاريخ كما يرى الدكتور محمد عبد الله القواسمة²³.

يقول الدكتور علي حسين يوسف²⁴: "لا يخفى ما للتاريخ من أثر على الرواية إذ ليس من المبالغة القول إن الرواية تعد تاريخاً في وجه من وجوهها، فهي تحكي قصة ما؛ قصة فرد أو مجموعة من الناس أو قصة مدينة أو حتى قصة شعب بأكمله في إطار زمني أو مكاني فالعلاقة بين الاثنين علاقة تواسجية لا يمكن تجاهلها"²⁵.

التاريخ قصة حقيقية لما جرى في الأيام السالفة، والرواية أيضاً قصة، ولكنها قصة خيالية ولدت في ذهن الروائي، عندما يعتمد التاريخ على الموضوعية، تستند الرواية إلى الذاتية، وعندما ينظر التاريخ إلى كمال السرد، تعتبر الرواية جمال السرد، يقول الدكتور علي حسين يوسف الناقد الأدبي: "وإذا كانت الرواية تاريخاً فإننا يمكن أن نزعّم بأن التاريخ قصة لكن هذا لا يعدم الفارق بينهما إذ إن الروائي يُعمل مخيلته ليلون الأحداث بألوانه التي يرتئها هو، أما المؤرخ فإنه يعمد إلى الموضوعية ما أمكنه ذلك بالاعتماد على الوثائق المدونة والمرويات الموثوقة لينظم منها حكايته، وتضفرق

الرواية عن التاريخ أيضا في أنها تحكي أحداثا ثانوية لا يعتد بها التأريخ الرسمي دائما لكن الاثنين يشتركان، رغم ذلك، في بسط الظواهر الإنسانية الفردية والجمعية بسطاً تتعدد غاياته بين الموعظة والعبرة والاستئناس والمتعة والتقليد والتحرك²⁶. ويرى الأديب يوسف زيدان، هو مؤلف رواية فردقان وهي رواية تاريخية تسرد عن تاريخ حياة المفكر ابن سينا، "أن التاريخ محض رواية، يقدمها جانب واحد من زاويته الخاصة، وأما الأدب فهو محاولة للفهم وإعادة بناء الوعي"²⁷.

الأمر الذي لا يختلف فيه هو أن التاريخ يحتل مكانة عالية في العلوم الإنسانية، وله دائرة تأثير إلى حد واسع لا يسع لأديب أن يهرب منه ويتركه، فالتاريخ يؤثر في ووعي الأديب ويتأثر الأديب به، فوظيفة الروائي هي أن يقبل التاريخ بوجهة صحيحة، حيث يجعله فرصة له لإظهار إبداعاته وابتكاراته تحت دائرة التاريخ، بل الروائي أنسب بهذه الوظيفة من المؤرخ حيث إنما يجوز للمؤرخ سرد الأحداث كما هي، لا يحسن له خلق شيء من عنده وإن وجد له سياق متفق مع المصير التاريخي. وأما الأديب فهو يتمتع بكامل الحرية في تناول موضوعه وخلق شيء جديد لم يحدث في المصير التاريخي، ولكن بشرط ألا يغير سواء عن جهل أو عمد الوقائع التي لا يمكن إنكارها وألا يخالف الأصول أو المعلومات الأساسية في التاريخ والتي هي أم الكتاب في حق التاريخ، فأما المتشابهات منه فالروائي حرية التدخل فيها ويقول ما شاء، هذا لا يجوز للمؤرخ. ولهذا السبب لا يعتمد أحد لأن يفهم تاريخ فترة ما أو شعب ما على الروايات التاريخية، ولا يشفع به أحد، بل عليه أن يرجع إلى الكتب التاريخية فقط إذا أراد أن يعلم ويدرس التاريخ.

فمنتهى القول في هذه المسألة هي ان "الفرق بين عمل المؤرخ والضان يكمن في كمية الخيال لا نوعه. لذلك يعتبر التاريخ مصدرا هاما تعتمد عليه الرواية التاريخية، إذ أنها تستقي مادتها منه، فالروائي والمؤرخ يغرفان من مصدر واحد ويتقاطعان في نقطة مشتركة وهي العودة إلى أحداث الماضي؛ إلا أن كل واحد منهما يختلف عن الآخر في الهدف. إن المؤرخ يسعى إلى ملامسة الحقيقة بينما يتمثل مسعى الروائي إلى ملامسة الجمال والتأثير على المتلقي باستعمال أسلوب التشويق، وكل منهما يسعى لتقديم الحقيقة، ولكن المؤرخ يقدمها من خلال التقرير حيث يسعى إلى أن تكون تلك الحقائق كما يفترض أن وقعت في زمانها الماضي، بينما يقدمها الروائي من خلال التصوير أي صياغتها من خلال تصويرها كما يراها هو ويضفي عليها صبغة جمالية فنية. وعليه،

فإن المؤرخ لا يستطيع أن يحيد عن رواية الأحداث الفعلية كما وقعت في الماضي، أما الأديب فله حرية المناورة وحكاية ما يمكن وما يحتمل أن يحدث، فيكون بذلك حراً إلى حد ما ومحاله أوسع²⁸.

الرواية انعكاس للتاريخ ومرآة للشعوب: يقول الأستاذ د. شريف بموسى عبد القادر: "فالرواية تعكس واقع الشعوب وما تعيشه في فترات معينة من الزمن، هذه الفترات التي تُعتبر تاريخاً لها. فإذا تناولت رواية أدبية ما فئة من المجتمع أو طبقة منه فهي بالضرورة تتناول جانباً من تاريخ هذه الطبقة أو الفئة المجتمعية، بما أن الرواية تتناول ظواهر اجتماعية، وكل ظاهرة اجتماعية هي ظاهرة تاريخية كما يقول باختين، نستطيع القول بإمكانية اعتبار الرواية مصدراً غير تقليدي للتاريخ؛ لأنها الأقدر على التغلغل في طبقات المجتمع وخبيا النفوس والأقدر أيضاً على إنطاق المسكوت عنه في الخطاب الثقافى والسياسى والاجتماعى العام"²⁹.

وفي رأي د. سامية محرز، الأستاذة بالجامعة الأميركية، بالقاهرة: "أن الروائي والمؤرخ كلاهما يشرع في بناء الواقع كل بطريقته، وكل منهما ينطلق من فنه وأدواته، لكن الواقع بالنسبة لكل منهما غير مكتمل، فالمؤرخ لا يمكن أن يؤرخ للواقع وهو أمامه لحظة بلحظة، فإذا هو باستمرار يعيد صياغة الواقع، والروائي أيضاً يفعل نفس الشيء، وما يجمع بينهما أنهما محكومان معا بسلطة ما، فالتاريخ ليس فقط هو التاريخ الرسمي، والسلطة قد تكون سلطة الدولة أو أي سلطة سياسية أو مجتمعية"³⁰.

ويجب على الكاتب، كما يرى الروائي فتحي إمبابي، هو أديب وروائي وقاص مصري من قادة الحركة الطلابية في مصر خلال سبعينيات القرن العشرين، "قبل تعامله مع التاريخ كمصدر لإبداعه عليه أن يتسلح بالمعرفة بفروعها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأن يكون ملماً بعلم النفس والأنثروبولوجي، كل ذلك يجعله صاحب بصيرة قادرة على المغامرة التخيلية القادرة على النفاذ من سطح الأحداث إلى بواطن الشخصيات، والقدرة على استبصار سلوك الجماعات الاجتماعية"³¹.

الخاتمة: وفي الختام نصل الى نتائج مهمة بما يتعلق بالرواية التاريخية. إذا كانت كتب التاريخ سجل لما وقع في الأمان الماضية من الأحداث والوقائع والرواية التاريخية

هي كما سرد خيالي حمل على الوقائع والشخصيات التاريخية، والى هذا أشار الدكتور محمد القاضي حينما قال عنها بأنها نص تخيلي نسج حول وقائع وشخصيات تاريخية. الهدف البارز من تأليف الرواية التاريخية هو ليس محض الغايات الجمالية، بل يتعدد الهدف بما في ذلك بث الروح في الماضي من أجل قراءة الحاضر واستشراف المستقبل والاستفادة من عبر التاريخ.

الهوامش

- 1 لوكاتش، جورج. *الرواية التاريخية*. ص: 97.
- 2 مجدي وهبتن وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2. بيروت: مكتبة لبنان، 1948م، ص: 183.
- 3 د. محمد بن يحيى أبو ملحمة، التوظيف الفكري والفني للشخصية الثانوية في روايات علي باكثير، كتاب أبحاث مؤتمر علي أحمد باكثير، الجزء الثاني، ص: 152.
- 4 جورج لوكاتش، *الرواية التاريخية*.
- 5 شهاب، الأستاذ أسامة يوسف. على هامش الحوار الأدب والإسلامي، محمد حسن بريغش، مقال منشور ضمن كتاب "نحو أدب إسلامي معاصر للأستاذ أسامة يوسف شهاب، عمان: دار البشير، 1985م، ص: 30.
- 6 العلمي، الأستاذ يحيى. *مجلة المسرح*، ع19.
- 7 باكثير، علي أحمد. *فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية*. مكتبة مصر، ص: 35.
- 8 عبد الله، الأستاذ محمد حسن. *الواقعية في الرواية العربية*. ص: 186.
- 9 <https://www.masterclass.com/articles/what-is-historical-fiction-definition-of-the-historical-fiction-genre-and-tips-for-writing-your-historical-novel>
- 10 لوكاتش، جورج. *الرواية التاريخية*. ص: 11.
- 11 روائي أمريكي وكاتب قصة قصيرة وشاعر وصحافي.
- 12 روائي وكاتب مسرحي وشاعر أسكتلندي.
- 13 شاعر فلسفي فرنسي من كبار الابداعيين.
- 14 كاتب فرنسي ويعد أحد أكثر الكتاب الفرنسيين شهرة على الاطلاق، وترجمت أعماله الى 100 لغة تقريباً.
- 15 شاعر وروائي فرنسي، يعتبر من أبرز أدباء فرنسا في الحقبة الرومانسية.
- 16 كاتب وفيلسوف ديني روسي، يعتبر من أبرز أدباء فرنسا في الحقبة الرومانسية.

- 17 لوكاتش، جورج. **الرواية التاريخية**. ص: 215.
- 18 الخطيب، عبد الله. **روايات علي أحمد باكثير قراءة في الرؤية والتشكيل**.
- 19 الأستاذ عبد الفتاح الحجمري، "هل لدينا رواية تاريخية"، **مجلة فصول**، م19، ج3، 1997م، ص: 62.
- 20 القط، عبد الحميد. **بناء الرواية في الأدب المصري الحديث**. ص: 33.
- 21 برقي، الدكتور ناصر علي محمد أحمد. **استخدام الرواية التاريخية في تدريس التاريخ بين الواقع والمأمول**.
- 22 جكيب، د. محمد. **مقومات الإبداع في روايات باكثير**، كتاب أبحاث مؤتمر علي أحمد باكثير. الجزء الثاني، ص: 32.
- 23 <https://www.addustour.com/articles/22385> الرواية- والتاريخ
- 24 ناقد وأكاديمي عراقي
- 25 <https://alqabas.com/article/5879968>
- 26 المرجع نفسه.
- 27 <https://middle-east-online.com/> الرواية- هل- تفسر- التاريخ- أم- تنقل- عنه
- 28 "الرواية والتاريخ وإشكالية التدخل، بوجمعة بوحفص، **مجلة إشكالات في اللغة والأدب**، ج10، ع2، 2021م، ص: 508-509.
- 29 https://elearn.univ-tlemcen.dz/pluginfile.php/117479/mod_resource/content/1/pdf
- 30 <https://middle-east-online.com/> الرواية- هل- تفسر- التاريخ- أم- تنقل- عنه
- 31 <https://middle-east-online.com/> **الرواية- هل- تفسر- التاريخ- أم- تنقل- عنه**

المصادر والمراجع

- الحجمري، الأستاذ عبد الفتاح. "هل لدينا رواية تاريخية"، **مجلة فصول**، م19، ج3، 1997م.
- لوكاتش، جورج. **الرواية التاريخية**، ط1. ترجمة جواد كاظم. بغداد: دار المعرفة للنشر والطباعة، 2008م.
- فؤاد، هالة أحمد. "المتخيل الروائي بين التاريخي والميتافيزيقي: في تجارب في الإبداع العربي". الكويت: وزارة الإعلام- **مجلة العربي**. 2009م، ص: 250-253.
- القاضي، محمد. **الرواية والتاريخ، دراسات في تخيل المرجعي**، ط1. تونس: دار المعرفة للنشر والطباعة والتوزيع، 2008م.

- قاسم عبده. "الرواية التاريخية العربية: زمن الازدهار". في تجارب في الإبداع الأدبي". الكويت: وزارة الإعلام-مجلة العربي. 2009م، ص: 236-249.
- الجندي، أنور. خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، ط2. لبنان: دار الكتاب اللبناني، 1985م.
- الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية) نضال الشمالي، ط1. الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2006م.
- يوسف، غدير. مفهوم الرواية التاريخية في النقد الروائي في سورية (رسالة ماجستير)، جامعة حلب، 2009م.
- https://www.alukah.net/literature_language/0/36231/ الاتجاه-الإسلامي-في-روايات-علي-أحمد-باكثير-التاريخية/
- "الرواية والتاريخ وإشكالية التدخل، بوجمعة بوحفص"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ج 10، ع 2، 2021م، ص: 508-509.

الدراسات الأدبية والفكرية والثقافية

دور الشيخ العلامة ثناء الله الأمر تسري في تعزيز العلاقات الثقافية

والأدبية بين الهند والسعودية

د. سعيد الرحمن

البحث عن وصف العيون في الشعر العربي القديم

د. محمد سليم

تصوير القيم الإنسانية في ديوان الحماسة

د. عبد الحي الحسن الندوي

دراسة في شعر تزهون الغرناطية

د. زرنكار

القيم الاجتماعية والثقافية في قصص مختارة لمصطفى لطفي

المنفلوطي

د. محمد عالمغير الندوي

إبداع الشعر العربي في الفضاء الرقمي: قصيدة رقمية "شجرة

البوغاز" لمنعم الأزرق أنموذجاً

د. محمد فواز ك.

قضية تعليم المرأة في قصة "عائشة" لحوحو

د. محمد أكرم

قصة صبحي فحماوي "ساحتفل بعيد ميلادي"

أمير الدين

أمل الرندي: وإسهاماتها في قصص الأطفال الكويتية

قمر الإسلام

محمد جمال عمرو وأثر شعره في تربية الأطفال "دراسة

موضوعية"

محمد مظهر

مساهمة مسعود عالم الندوي في تطوير الصحافة العربية في الهند

محمد آفاق قريشي

إسهامات "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية" بفرانكفورت في

توثيق التراث العربي

محمد عبد الواحد

دراسة نماذج المرأة وصورها الإيجابية في الروايات العربية الواقعية

د. أختار عالم

دور الشيخ العلامة ثناء الله الأمرتسري في تعزيز العلاقات الثقافية والأدبية بين الهند والسعودية

د. سعيد الرحمن*

saidjnu2000@gmail.com

ملخص البحث: الهند بلد خصب من حيث الثقافات والحضارات، والموسم والفصول، فلم يرد فيها قوم من الأقوام وأمة من الأمم. تنورت الهند بأشعة الإسلام في عصر الصحابة بجهودهم الفردية والجماعية لنشر الدعوة الإسلامية. ثم وصل تجار العرب إلى شواطئ الهند الشرقية، مثل: مقاطعات السند، ومليبار، وكجرات وغيرها. فانتشر الإسلام في هذه المناطق على أيدي التجار المسلمين. هكذا بدأت العلاقات الثقافية بين الهند والسعودية. فنجد أن هناك عددا لا يحصى من العلماء الذين قاموا بخدمات جليلة في نشر وتطوير العلاقات الثقافية والأدبية بين الهند والسعودية.

فأنجبت الهند شخصيات كثيرة في مختلف العلوم والفنون في تاريخها الطويل. وهناك عدد كبير من العلماء المسلمين الهنود الذين لهم إسهامات جليلة في تطوير وتعزيز العلاقات الثقافية بين الهند والسعودية وتطويرها خلال مؤلفاتهم وتصنيفاتهم، وشروحهم وتعليقاتهم، ودروسهم ومحاضراتهم. ومن بين هذه هؤلاء الرجال العظام تلمح شخصية الشيخ ثناء الله الأمرتسري (1287هـ - 1367هـ) على أفق الهند. وكانت له خبرة واسعة في مختلف فروع الحياة الإنسانية والدراسات العربية- الإسلامية بما فيها علم الحديث، والقيادة الإسلامية، والخطابة وغيرها من العلوم والفنون. وهذا البحث يهدف إلى إلقاء الضوء على دور الشيخ ثناء الله الأمرتسري في تعزيز العلاقات الثقافية والأدبية بين الهند والسعودية في ضوء كتاباته المختلفة ومقالاته المتنوعة.

كلمات مفتاحية: الدراسات العربية، السعودية، العلاقات الثقافية، العلاقات الأدبية، الهند.

المقدمة: إن الهند لم تكن منعزلة عن العالم العربي في أي عصر من العصور. كانت العلاقات التجارية قوية وقديمة جدا بين الهند والعالم العربي. وقبل أن يصل ضوء الإسلام إلى أرض الهند كانت القوافل التجارية ترد سواحل السند وكجرات ومالابار

* الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بالجامعة العالية، كلكتا، الهند

وشيتاغنج بينغلاديش حتى توجد آثارهم اليوم وبعض الأسر العربية تقيم مستقلة في جنوب الهند بولاية كيرالا.

وعندما نشطت حركة علم الحديث في الهند في أخلاف الشاه ولي الله المحدث الدهلوي وخاصة عند الشيخ العلامة المحدث نذير حسين الدهلوي في دلهي وعند المحدث حسين بن محسن اليميني الحديدي (تلميذ الامام الشوكاني) بمدينة بهوفال وكذلك عند النواب صديق حسن خان البهوفالي كان يرد كثير من الطلاب العرب الهند ويتعلمون فيها. هذا من جانب ومن جانب آخر كان الطلاب الهنود يردون الأزهر الشريف وبعد تأسيس دارالحديث بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية كانوا يأتون إليها ويتعلمون فيها. وهناك دراسات كثيرة عن العلاقات الثقافية والأدبية بين الهند والعالم العربي.

وأما موضوع بحثي فهو دور العلامة ثناء الله الأمرتسري في تعزيز العلاقات الثقافية والدينية بين الهند والمملكة العربية السعودية. فقد لعب العلامة ثناء الله الأمرتسري دورا رياديا في هذا المجال مع علماء أهل الحديث كما يدل عليه الوثائق التاريخية الواضحة. ولكن قبل أن أسوق الدلائل والبراهين لإثبات الدعوى يناسب لي أن ألقى ضوءا على جوانب من شخصيته وعصره الذي عاش فيه.

ترجمة شيخ الإسلام ثناء الله الأمرتسري (1287هـ - 1367هـ): كتب عنه الدكتور عبد الرحمن عبد الجبار الضريوائي: "عبقري من عباقرة الإسلام، وحامل لواء السنة، دافع عن الإسلام طول حياته تلقى العلوم عن المحدث عبد المنان الوزير آبادي وعن أساتذة دار العلوم ديوبند وكانفور وأسند الحديث عن السيد نذير حسين المحدث. أسس دار الطباعة والنشر وأصدر مجلته الشهيرة "جريدة أهل الحديث" الأسبوعية في سنة 1321هـ والتي استمرت نشرها أربعاً وأربعين سنة حتى وافته المنية. وأسس جمعية أهل الحديث الهندية مع أصحابه ونشط لها طول حياته، ناظر كل الطوائف الكافرة والمضللة ورد على البدع والخرافات والجمود والتقليد وسعى لنشر السنة والسلفية وألف كثيرا في الرد على الميرزا غلام أحمد القادياني وكثرة ردوده عليه ما كان يحصيها المؤلف نفسه وكتب في الرد على الفرقة الهندوكية "أريا سماج" وعلى المسيحية وعلى منكري السنة وله تفاسير القرآن في العربية والأردية"¹.

"بعد التخرج في دار العلوم ديوبند عاد إلى مسقط رأسه وعينه الشيخ أحمد الله الأمرتسري رئيساً لهيئة التدريس في مدرسته "تأييد الإسلام" بمدينة أمرتسر ووكل

إليه تدريس الكتب النهائية من صحيح البخاري وغيره. وبعد ست سنوات من ذلك انتقل الشيخ إلى المدرسة الإسلامية بمالير كوتلة واشتغل بالتدريس هناك بعض السنوات. ثم تولى عن التدريس وانقطع إلى التصنيف والتأليف والدعوة والإرشاد والمناظرة والردود دفاعاً عن الإسلام ونشراً له وقد برز في باب المناظرة والردود حتى لم يوجد له نظير ومثيل².

جوانب مشرقة من حياته: كانت حياته رحمه الله متعددة الجوانب. كان مناظراً من الطراز الأول وكان قد أتقنها إتقاناً لما كانت الظروف تقتضي ذلك لتكثيف الغزو الفكري على الإسلام من قبل الهندوس والمسيحيين المبشرين والقاديانيين والمبتدعة ومنكري السنة. وكان قائداً دينياً حاول في تجديد الإسلام ونشر العقيدة الصحيحة وإزالة البدعات والخرافات من المجتمع. وكان مصلحاً يسعى لتوحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يكتب الباحث السلفي الكبير محمد اسحاق بهتي رحمه الله: "في الحادي عشر من شهر يناير عام 1903 م ذهب شيخ الإسلام ثناء الله الأمرتسري للمناظرة مع الميرزا المتنبى القادياني ولم يستعد أحد من العلماء قبل ذلك للمناظرة مع القادياني في قاديان ولكن الميرزا لم يستطع أن يقوم للمناظرة مع العلامة الأمرتسري وأصبح بعد ذلك اليوم "فاتح قاديان"³.

وإنه رحمه الله خاض أكبر معركة في حياته ضد المتنبى الكاذب غلام أحمد القادياني حتى هلك ذلك الكذاب العميل للإنجليز ومات شرميتة في الكنيف بعد المباهلة. قصة ذلك "لما رأى غلام أحمد القادياني أن الشيخ ثناء الله رحمه الله قد أبطل كل حيله ومكائده وهدم كل ما أقامه وبناه نشر نشرة دعا الله فيها أن يفتح بينه وبين الشيخ، ويميت الكاذب في حياة الصادق حتى يكون أموته دليلاً على كذبه. ثم أعلن أن الله تقبل دعائه ثم لم يلبث القادياني بعد ذلك إلا نحو سنة حتى مات، وبقي الشيخ يتمتع بعده بالحياة إلى نحو أربعين سنة، فكان ذلك آية من الله للشيخ ثناء الله رحمه الله ثم تقدر لأحد غيره من أهل العلم والفضل مع كثرتهم وتوافرهم في شبه القارة الهندية"⁴.

ثناء العلماء على الشيخ ثناء الله في دحض القاديانية: أثنى على جهود الشيخ الأمرتسري ضد القاديانية ومكافحتها كثير من الكتاب الإسلاميين والعلماء البارزين للإسلام

منهم العلامة العلامة السيد الإمام رشيد رضا المصري والعلامة محب الدين الخطيب وشيخ الأزهر محمد خضر حسين والعلامة السيد سليمان الندوي والشيخ محمود الحسن الديوبندي والشيخ المؤرخ عبد الحي الحسني والشيخ أبو الحسن علي الندوي. **كفاحه ضد الآريا سماج: الآريا سماج فرقة هندوسية إحيائية متطرفة نشطت سنة 1857م بحماية الاستعمار واستخدم السوامي ديانند وآثاره ضد المسلمين وهمس في أذنيه بأن الإسلام هو أكبر عدو لديانته وأن المسلمين يطمعون دائماً لإدخال غير المسلمين في الإسلام. ومن الممكن أن يفتنى جميع الهندوس لذلك حرصه الانجليز على اختراع ديانة تمنع الهندوس عن قبول الإسلام. فوجهت هذه الطائفة اهتمامها إلى إثارة الشكوك والشبهات والاتهامات ضد الإسلام.** فلما شكلت هذه الطائفة المتطرفة خطراً كبيراً للإسلام قام الشيخ ثناء الله الأمرتسري رحمه الله بالدفاع عنه بالتأليف والمناظرة.

فمن مؤلفاته في هذا الباب:

- (1) حق بركاش معناه نور الحق: ألف هذا الكتاب في الرد على كتاب يدعى "ستيارته بركاش" لسوامي ديانند سرسوتي الذي أورد على القرآن الكريم مئة وتسعا وتسعين سؤالاً ونفت السموم خلافاً للمسلمين. فأفحم الشيخ ثناء الله الأمرتسري ذلك السوامي بهذا المؤلف الجليل عام 1899م.
- (2) حدوث الفيديا عام 1903م.
- (3) كتاب الإلهام عام 1904م. بين فيه الشيخ حقيقة الإلهام لدى المسلمين وغير المسلمين.
- (4) تغليب الإسلام في أربعة أجزاء.
- (5) رجم الشياطين بجواب أساطير الأولين عام 1909م.
- (6) بحث في التناسخ عام 1899م.
- (7) مقدس رسول عام 1924م وهذا أحسن كتاب في دحض افتراءات وأكاذيب عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم. وله أكثر من عشرين كتاباً في الرد على طائفة الآريا سماج.

رده لافتراءات الطائفة البريلوية: هناك في الهند طائفة تدعى بالبريلوية زعيمها أحمد رضا خان البريلوي الذي كان أفتى بالغاء الجهاد ضد الانجليز في الهند وكان يكفر

الجماعات الإسلامية في الهند بدون تمييز. ولم ينج من تكفيره علماء أهل الحديث في الهند وكذلك مؤيدي الدعوة السلفية في الحجاز. ثم انصرف البريلوي إلى تكفير العلماء البارزين الربانيين من ديوبند، أمثال الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ عبد الرشيد الكنكوهي والشيخ أشرف علي التهانوي والشيخ أحمد علي السهارنظوري والشيخ إمداد الله المهاجر المكي وكثير من العلماء الكبار⁵.

فلما رأى العلامة ثناء الله الأمرتسري تناول أحمد رضا خان وفرقته على علماء الإسلام وكذلك رأى ما رأى من قبائح التقليد الأعمى وترك السنن الثابتة تعصبا للمذهب الفقهي شمر عن ساق الجد وكتب كتباً ورسائل في رد الفرقة البريلوية والتعصب المذهبي. فمن مؤلفاته في هذا الباب:

(1) **مذهب أهل الحديث عام 1340هـ** بين فيه أصول أهل الحديث وعقائدهم بأسلوب رزين⁶ لا سب فيه ولا شتم وأزال شبهات كثيرة حول هذا المذهب.

(2) **الإسلام وأهل الحديث عام 1330هـ**. فكتب فيه: "إن مذهب أهل الحديث ليس بمذهب جديد، ولا فرقة حديثة العهد، بل هذه هي الجماعة التي تولدت ونشأت في عهد النبوة واقتبست من مشكوتها وتعاليمها إلى الآن، فمما اخترعت طريقة جديدة وما زادت في منهجها زيادات وما انحرفت عن طريقة السلف الصالح، بل جعلت نصب أعينها على الكتاب والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والتسليم والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وأنها احتفظت عليها"⁷.

(3) **رد البدعة علم الغيب عام 1903م**. رد في هذه الرسالة على المولوي عبد الصمد الذي كان يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم وأولياء الله يعرفون الغيب. إن الشيخ الأمرتسري رحمه الله أنكر علم الغيب لغير الله سبحانه تعالى.

(4) **فتوحات أهل الحديث عام 1905م**. كان ألف رحمه الله هذا الكتاب في جواب كتاب خطير وفي وجوب إخراج الوهابيين (السلفيين) عن المساجد. بسبب هذا الكتاب انتصر أهل الحديث في القضية التي رفعت إلى المحكمة الحكومية لإخراج أهل الحديث من المساجد.

(5) **الاجتهاد والتقليد**. مفهوم هذا الكتاب بين من عنوانه.

(6) **نظرة على مسئلة الحجاز عام 1925م**. كان العلامة ثناء الله الأمرتسري رحمه الله كتب هذه الرسالة ضد رسالة صدرت من جمعية حزب الأحناف المبتدعة باسم

"اثبات بناء القباب". فيها افتراءات عن الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله. رد فيها الشيخ على جواز بناء القباب على القبور وكذلك قدم أحوال الحجاز الدينية والسياسية ودافع عن سياسة الملك عبد العزيز آل سعود والدعوة السلفية التي قام بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

دوره في الدفاع عن السنة: لما ظهرت طائفة من المسلمين المثقفين المتأثرين بالحضارة الغربية ومؤلفات المستشرقين عن الإسلام وعلومه وتاريخه جعلت تهاجم على السنة النبوية وحاولوا التقليل في شأنها. والذين تولوا كبر هذه الجريمة كان منهم المولوي أسلم جيرا جفوري وحافظ محب الحق العظيم آبادي. وقد رد الشيخ ثناء الله في رسالته "حكمة الحق" على رسالة "شرعة الحق" لحافظ محب الحق العظيم آبادي وأعلى شأن السنة وأثبت حجيتها ودحض الافتراءات حولها.

علاقاته مع الجمعيات والحركات الإصلاحية في الهند: كانت شخصية الشيخ ثناء الله الأمرتسري شخصية دينية إصلاحية ومن أجل الإصلاح في الدين والمجتمع والسياسة كان على علاقة مع جمعيات إصلاحية وسياسية كثيرة. كان دوره في تأسيس ندوة العلماء وجامعتها معلوم لدى أصحاب العلم في الهند وأنه بقي عضوا فعالا في الهيئة الإدارية لتلك الجامعة الشهيرة طيلة حياته وكان رحمه الله من المؤسسين لجمعية العلماء الشهيرة التي لها دور كبير في كفاح المواطنين ضد الاستعمار وفي سبيل تحرير الوطن من براثن الانجليز. وكان أيضا عضوا في اللجنة التأسيسية للجامعة المليية الإسلامية في دلهي. وعلى يده تم تأسيس مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند أول مرة عام 1906م وبقي أمينا عاما⁸ لها طيلة حياته وقام بالجولات الدينية في طول الهند وعرضها لنشر العقيدة الصحيحة وبت الشعور الديني والوعي السياسي ورفع معنويات المسلمين.

ولما ظهر أمل استقلال الهند من الاستعمار البريطاني قام الشيخ بمطالبة النظام الإسلامي الخاص للمسلمين في مؤتمر جمعية العلماء المنعقدة بمدينة لاهور عام 1942م. وكان قد اتخذ هذا القرار بالأكثرية. وبعد ذلك وجه الشيخ الأمرتسري رسالة إلى جواهر لال نهرو بأن المسلمين سيتخذ لهم نظاما إسلاميا بعد استقلال الهند ولا يعترض عليه أحد. وقد أجاب جواهر لال نهرو كاتباً بأنه لن يخالف هذا القرار⁹.

العلاقات الثقافية والأدبية بين الهند والمملكة العربية السعودية: يشهد التاريخ بأن الهند لم تكن منعزلة عن العالم العربي في أي عصر من العصور. قبل بزوغ شمس الإسلام كانت العلاقة التجارية بين الهند والعالم العربي حيث كان التجار العرب يردون سواحل مالابار والسند وكجرات وستغاون ويشترون العود الهندي والتوابل والسيوف وأشياء أخرى وكانت السند وملتان ومنصورة تحت الحكومة العربية مدة من الزمن.

وكان ملوك الهند علاقة مع الخلافة العباسية ببغداد والخلافة العثمانية بإستانبول وكذلك كانت لهم علاقة ود وأخوة مع ولاية مكة المكرمة والمدينة المنورة. وولما ظهرت الدعوة الإسلامية السلفية الصافية النقية من أدران الشرك والبدعة والخرافات في نجد العرب والحجاز في القرن الثامن عشر ظهرت في الهند في تلك الأونة دعوة إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الشاه ولي الله الدهلوي وأبنائه وأحفاده وأخلافه خاصة نشطت الدعوة السلفية بجهود الشاه إسماعيل بن عبد الغني بن الشاه ولي الدهلوي وبجهود السيد نذير حسين المحدث الدهلوي. وبما أن الأهداف كانت متحدة كان دعاة السلفية في الهند قاموا بمساعدة الدعاة السلفيين في نجد والحجاز وجرت بينهم رسائل.

قبل أن تؤسس جامعات إسلامية في المملكة العربية السعودية كان الطلاب يأتون إلى الهند من الحجاز ومصر واليمن والدول الأفريقية خاصة لتعلم علم الحديث عند السيد نذير حسين المحدث الدهلوي والنواب صديق حسن خان البوفالي والمحدث حسين بن محسن اليميني الحديدي. كان من تلاميذ السيد نذير حسين الدهلوي الشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي المغربي والعلامة محمد بن ناصر المبارك النجدي. وقد ذكر الشيخ محمد بن سعد الشعويعر أسماء عشرة من العلماء الذين درسوا في الهند علم الحديث عند النواب صديق حسن خان البوفالي والمحدث نذير حسين الدهلوي والمحدث حسين بن محسن اليميني. وهذا أكبر دليل على العلاقة الثقافية والأدبية بين الهند والعالم العربي.

دور الشيخ ثناء الله الأمرتسري في تعزيز العلاقات الثقافية والأدبية الهندية السعودية: لما ظهرت الدعوة السلفية في الحجاز على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه وفي الهند على أيدي علماء أهل الحديث قام العلماء المقلدون وأصحاب الهوى والبدعة والخرافات والروافض ضد هذه الدعوة واتهموهم بالضلالة والكفر والفسوق

عن الدين وصبوا عليهم جام غضبهم في الكتب والرسائل والمجالس العامة. فكان الشيخ العلامة ثناء الله الأمرتسري من أبرز المناصرين لدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وحركة أهل الحديث في الهند والدولة السعودية القائمة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما دخلت الدولة السعودية في المرحلة الثالثة واستولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود على مكة المكرمة وأزال الشرك والبدعة وهدم القباب على القبور؛ خرج أصحاب البدعة والخرافات والتقليد الأعمى عن أطوارهم وحرصوا الناس ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء أهل الحديث في الهند ومنعوا الناس عن الحج حتى تزول حكومة الملك عبد العزيز آل سعود عن مكة المكرمة. ففي هذه المرحلة الحرجة قام علماء أهل الحديث في الدفاع عن الملك عبد العزيز آل سعود، أمثال: العلامة ثناء الله الأمرتسري والشيخ محمد جونا كرهى والشيخ أبو القاسم سيف البنارسي وكثير من العلماء السلفيين في الهند.

موقف الشيخ الأمرتسري من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: كان للعلامة الأمرتسري رحمه الله - موقف مشرقة في تأييد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والدفاع عنها وعن القائمين بها. وقد عني الشيخ بتأليف عدة رسائل في هذا الباب وتوزيعها على المسلمين مجاناً كما كان لجريدة "أهل الحديث" الأسبوعية دور بارز في التعريف بالدعوة وصاحبها ورد الافتراءات الملتصقة بهما¹⁰.

ومن الرسائل التي قام بتأليفها العلامة الأمرتسري في هذا الباب ما يلي:

رسالة " نظرة على الحركة الوهابية ": قام بتأليف هذه الرسالة وتوزيعها على المسلمين مجاناً. وهي تحتوي على ذكر أحوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته. ثم نقل المؤلف فتاوى كبار علماء شبه القارة الهندية في تحريم البناء على القبور، وأثبت أنه لا يجوز بناء القبب على القبور بحال من الأحوال، وأنه يهدمها ولي الأمر لو بنيت عملاً بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم: " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده... " الحديث وبناء عليه فقد قامت القوات النجدية بما قامت به من هدم القبب المبنية على القبور، فجزاهم الله خيراً¹¹.

رسالة "نظرة على مسألة الحجاز": كتبها ونشرها في أمتسر عام 1925 م، ورد فيها على الافتراءات التي ألققتها "جمعية حزب الأحناف" بلاهور بالملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله - كما رد فيها على الشبهات التي تمسكت بها لإثبات شرعية بناء القرب على القبور.

ثم تكلم المؤلف كلاماً علمياً حول مسألة الحجاز من الناحية الدينية والسياسية. وأثبت من خلال بحثه العلمي النفيس أن الخادم الحالي للحجاز الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود هو الأحق بخدمتها ممن سواه وذلك من الناحية الدينية والسياسية. والجدير بالذكر أن المؤلف قام بتوزيع هذه الرسالة مجاناً بين المسلمين تعميماً للفائدة وبياناً للحق¹².

رسالة "موقف الأخوان ومؤتمر الخلافة من الملك عبد العزيز":

ألّفها ونشرها عام 1926 م بعد رجوعه من مؤتمر الحجاز، وتفصيل ذلك أنه لما انتشر الخبر بأن الملك عبد العزيز - رحمه الله - هدم القرب والمشاهد وأزال مظاهر الشرك والبدع من بلاد الحرمين الشريفين بدأ علي أخوان: شوكت علي ومحمد علي ومن كان على شاكلتهما يظهران العداوة ضد أهل نجد وحكومتهم الجديدة. كما كان مؤتمر الخلافة الهندية دور كبير في ترويج الدعايات ضد أهل نجد، فدعا الملك عبد العزيز العلماء من العالم الإسلامي في مؤتمر الحجاز ومنهم الشيخ الأمرتسري. فألّف الأمرتسري هذه الرسالة لبيان ما جرى في هذا المؤتمر، وكشف عن حقيقة الدعايات المضللة ضد أهل نجد ودعوة التوحيد¹³.

وكانت صحيفته الشهيرة باسم أهل الحديث تلعب دوراً مهماً مع أخواتها كجريدة "أخبار محمدي" نصف الشهيرة الصادرة من دلهي ومجلة "مسلم أهل حديث كزت" الشهرية الصادرة أيضاً من دلهي وغيرها في نشر الدعوة السلفية والدفاع عن جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وما يحاك ضدها من الدسائس والمخالفات الشديدة في الصحف والمجالس العامة والمؤتمرات.

ذكر الشيخ أبو المكرم بن عبد الجليل رحمه الله عن المقالات التي نشرت في صحيفة أهل الحديث في الفترة ما بين عام 1924م-1935م والتي تدل دلالة واضحة على علاقة الشيخ ثناء الله الأمرتسري وعلماء أهل الحديث مع جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

إليك عناوين بعض المقالات التي كتبها العلامة الأمرتسري في الدفاع عن جلالة الملك

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود:

- (1) عزائم الملك ابن سعود 21 نوفمبر 1924 م.
- (2) دعايات ضد الوهابيين والرد عليها 21 نوفمبر 1924 م.
- (3) الملك عبد العزيز ومنهجه في الحكومة 26 ديسمبر 1924 م.
- (4) أحاديث نبوية في أهل نجد 6 فبراير 1925 م.
- (5) ترجمة أردية لخطبة للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود 6 فبراير 1925 م.
- (6) مذهب أهل نجد 13 فبراير 1925 م.
- (7) أحوال الملك عبد العزيز ابن سعود 6 مارس 1925 م.
- (8) الملك عبد العزيز ابن سعود وخدمة توفير أسباب الراحة في أيام الحج 17 يوليو 1925 م.
- (9) ملك نجد واحترامه لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم 24 يوليو 1925 م.
- (10) افتراء على الملك ابن سعود 20 ديسمبر 1935 م¹⁴.

وكان جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يحترم العلامة الأمرتسري ويعترف بفضله. وكان يسوءه الخلاف بين علماء أهل الحديث كما عبر عن ذلك في رسائل عديدة إلى مسؤولي جمعية أهل الحديث. وهذه الرسائل المتبادلة بين جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وعلماء أهل الحديث نشرت في صحيفة أهل الحديث الصادرة من أمرتسر وجريدة "أخبار محمدي" نصف الشهرية الصادرة من دلهي. وهي اليوم تعد وثيقة تاريخية ذات قيمة.

اليوم يعرف العالم العربي كله من كان الشيخ العلامة ثناء الله الأمرتسري خاصة لجهوده في دحض القاديانية. وفي الماضي أشاد بجهوده كل من الشيخ العلامة رشيد رضا صاحب "المنار" والعلامة محب الدين الخطيب صاحب "الزهراء" و"الفتح" وشيخ الأزهر محمد خضر حسين. كان بينه وبين العلامة رشيد رضا مراسلات وقد قال قولاً جميلاً في "تفسير القرآن بكلام الرحمن" لشيخ الأمرتسري رحمه الله.

شخصية العلامة ثناء الله الأمرتسري تربط الهند مع العالم العربي والإسلامي بجهوده المتنوعة في خدمة الإسلام والمسلمين وأعلاء كلمة الله ودحض الباطل. فجزاهم الله خيراً وجعل الجنة مثواه.

الخاتمة: في هذا البحث المتواضع تناولت بعض جوانب حياة الشيخ العلامة ثناء الله الأمرتسري لأن حياته ذات أبعاد كثيرة. كان مناظراً بارعاً ضد الفرق والمذاهب المعادية للإسلام ومتضلعا في العلوم الإسلامية من الحديث والتفسير والفقه وتاريخ الإسلام والفرق والمذاهب والنحل. وكان قائداً كبيراً للمسلمين عامة ولأهل الحديث خاصة. كانت له مواقف مشرقة في تأسيس ندوة العلماء بلكناؤ وجمعية العلماء والجامعة المليية الإسلامية والرابطة الإسلامية مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند. حاولت في هذا البحث تقديم جهوده في مناصرة الدعوة السلفية التي ظهرت في النجد والحجاز على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من خلال مقالاته وكتبه وجولاته في الهند وخارجها وعلاقته المباشرة بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود. وأثبت فيه دوره في تعزيز العلاقات الدينية والثقافية بين الهند والمملكة العربية السعودية وغيرها.

الهوامش

- ¹ الفريوائي، عبد الرحمن بن عبد الجبار. جهود مخلص في خدمة السنة المطهرة، ص: 106.
- ² الأمرتسري، أبو الوفاء ثناء الله الهندي. مقدمة تفسير القرآن بكلام الرحمن، تخريج: عبد القادر الأرنؤوط، تقديم: صفى الرحمن المباركفوري، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 2002م.
- ³ بجتي، محمرا سحاق. برصغير مين أهل حديث كي آمد. مؤنانه. بختين: مكتبة فسيم، 2014م، ص: 340.
- ⁴ المرجع نفسه.
- ⁵ الندوي، عبد المبين عبد الخالق. الشيخ العلامة ثناء الله الأمرتسري جهوده الدعوية وآثاره العلمية. بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، 1437هـ، ص: 345.
- ⁶ شحادة، أسامة. أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري (1287هـ-1367هـ). مركز سلف للبحوث والدراسات، تاريخ الزيارة-22 أغسطس، 2023م، ص: 18.
- ⁷ المرجع نفسه. ص: 349-350.
- ⁸ الفريوائي، عبد الرحمن بن عبد الجبار. العلامة أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري ودفاعه عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وانتصاره للملك عبد العزيز. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1999م، ع24، ص: 163.

⁹ مجموعة مقالات مولانا عبد الحميد الرحماني، المجلد الثاني، دلهي الجديدة: مجمع الشيخ عبد الحميد الرحماني للبحوث العلمية الإسلامية 4،

¹⁰ أبو المكرم بن عبد الجليل، الشيخ. دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيه في شبه القارة الهندية، ط2. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 1421هـ، ص: 78.

¹¹ المرجع نفسه: ص: 79.

¹² أبو المكرم بن عبد الجليل، الشيخ. دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيه في شبه القارة الهندية، ط2. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 1421هـ، ص: 79.

¹³ المرجع نفسه، ص: 80.

¹⁴ المرجع نفسه، ص: 103.

المراجع والمصادر

- الفيرواني، عبد الرحمن بن عبد الجبار. جهود مخلصية في خدمة السنة المطهرة. بنارس: إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية، 1980 م.
- الأمرتسري، أبو الوفاء ثناء الله الهندي. تفسير القرآن بكلام الرحمن. تخريج: عبد القادر الأرنؤوط، تقديم: صفي الرحمن المباركفوري، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 2002 م.
- مرتضى بن عائش محمد، محمد. الشيخ ثناء الله الأمرتسري وجهوده الدعوية (رسالة ماجستير). الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1996 م.
- مجموعة مقالات مولانا عبد الحميد الرحماني، المجلد الثاني، دلهي الجديدة: مجمع الشيخ عبد الحميد الرحماني للبحوث العلمية الإسلامية 4.
- أبو المكرم بن عبد الجليل، الشيخ. دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيه في شبه القارة الهندية، ط2. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، 1421هـ.
- بهتي، محمد سائق. برصغير مين أهل حديث كي آمد. مؤلفه: بهنجن: مكتبة فسيم، 2014 م. ص: 340.
- شحادة، أسامة. أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري (1287هـ-1367هـ). مركز سلف للبحوث والدراسات، تاريخ الزيارة: 22 أغسطس، 2023 م.
- الندوي، عبد المبین عبد الخالق. الشيخ العلامة أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري: جهوده الدعوية وآثاره العلمية. بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، 1437 هـ.
- الفيرواني، عبد الرحمن بن عبد الجبار. العلامة ابو الوفاء ثناء الله الأمرتسري ودفاعه عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وانتصاره للملك عبد العزيز. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع24. 1999 م.

البحث عن وصف العيون في الشعر العربي القديم

د. محمد سليم*

saleem@ignou.ac.in

ملخص البحث: يهدف هذا البحث إلى إبراز وصف العين في الشعر العربي القديم ويتناول أهمية الإشارة بالعين ودورها في الإيحاء بما في قلب صاحبه حينما تكون الأفواه صامتة، كما يركز على دلالات لغة العين في الحزن والرتاء، ويحتوي البحث على دلالات العين في التشبيه والاستعارة والكناية، كما جاءت في التراث الشعري العربي القديم. ويثبت هذا البحث عن طريق دلائل واضحة وبراهين ثابتة أن لـعين دورا كبيرا في إثراء الشعر العربي القديم وإقبال الناس عليه قرأه وفهما ونقله وروايته. من العوامل الفطرية التي يكثر ذكرها في سياق التفوق الإنساني على سائر المخلوقات هناك عامل مهم لم يهتم به الفلاسفة والمفكرون قديما وحديثا مثلما اهتم به الأدباء والشعراء وجعلوه محورا أساسيا للإبداع الفني والجمال الشعري. فلو أقبل الفلاسفة والحكماء على إبراز أهمية العقل والقلب واللسان لم يأل الشعراء العرب جهدا في إبراز مكانة العين ودورها في التعبير عن الأفكار والمعاني التي يفشل عن أدائها اللسان. لذلك وصف الشعراء العرب العين وصفا دقيقا وأبرزوا ميزات وتجلياتها المبهرة بلغة الرموز والتصوير. فما لبثوا أن قرضوا أبياتا رائعة حول العيون الفاترة¹ والعيون الكحل² والعيون الحوراء³ والعيون السوداء والعيون الزرقاء⁴ والعيون الخضراء⁵ والعيون العسلية والعيون البنية⁶ والعيون الدعجاء⁷ والعيون النجلاء⁸ والعيون الشهلاء⁹ والعيون الجاحظة¹⁰ وغير ذلك من الصفات الجميلة الرائعة التي لاتزال تجذب القلوب والنفوس. وقد بين الثعالبي¹¹ في "فقه اللغة وسر العربية"¹² تنوع أوصاف العيون. فقد ذكر في "فصل في محاسن العين" الدعج: أن تكون العين شديدة السوداء، مع سعة المقلية. البرج: شدة سوادها وشدة بياضها، النجل: سعتها، الكحل: سواد جفونها من غير كحل، الحور: اتساع سوادها كما هو في أعين الأطباء، الوطف: طول أشفارها وتمامها¹³، والشعر العربي القديم يدل على أن العين تبكي وتفرح وتحب وتبغض، وتخفي وتعلن. والسبب وراء ذلك أن الإشارة بالعين ربما أكثر تأثيرا وأبلغ تفهيمًا وتذكيرا من الكلام الطويل السخيف. ولم يدرك أهمية الإشارة أحد أكثر مما أدركه

الجاحظ. فبين بدلائل واضحة وبراهين ساطعة أهمية الإشارة وخاصة الإشارة بالعين.

أهمية الإشارة بالعين: وقد ذكر الجاحظ في كتابه الشهير "كتاب البيان والتبيين" نقطة مهمة متعلقة بالمعاني القائمة في صدور الناس. المعاني التي لاتزال مستورة خفية فهي تحتاج إلى العوامل لتقريب الفهم. و"على قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، كانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع"¹⁴.

و"جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة"¹⁵. وقد بين الجاحظ أهمية الإشارة بالعين بصورة خاصة لأنها تساعد في "أمور يسترها بعض الناس من بعض". وقد ذكر الإمام الراغب الأصفهاني¹⁶ في "محاضرات الأدباء"¹⁷ قول الشاعر وهو في نفس المعنى:

تقلّب أحوال الفتى في أموره ثبئن عما تقتضيه صمائرُه
وفي لحظ عينيّه وفي حرّكاته دليل على ما تحتويه سرائره¹⁸

ويمكن لرجل أن يعبر عن كل ما يجول في خاطر عن طريق الإشارة باليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب.. ولكن الإشارة بالعين أكثر تأثيراً وأكبر معونة وأبلغ مراداً وفي "الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس"، وقال الشاعر في دلالات الإشارة بطرف العين:

أشارت بطرف العين خيفةً أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبیب المتيم¹⁹

وقد جعل ابن حزم إدمان النظر من أولى علامات الحب وأكثرها تأثيراً، نجد ذكر ذلك في باب الإشارة بالعين لطوق الحمامة".

يقول الشاعر:

وللقب على القلب دليل حين يلقاه

* أستاذ مساعد، جامعة إنديرا غاندي الوطنية المفتوحة بنيو دلهي، الهند

وفي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِيْسُ وَأَشْبَاهُ
وفي العَيْنِ غِنَى لِلْمَرِّ ء أن تنطق أفواه²⁰

وخير دليل على الحقيقة أن في العين غنى للمرء أن تنطق أفواه ما ذكره الإمام الراغب الأصفهاني في "محاضرات الأدباء" وهو أنه "قد أهدي إلى ملك الهند ثياب وحلى، فدعا بامرأتين وخير أحظاهما عنده بين اللباس والحلى. وكان وزيره حاضرا، فنظرت المرأة إليه كالمستشيرة، فأشار بعينه إلى اللباس، ولحظه السلطان فاختارت الحلى لئلا يفظن الملك للإشارة، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه ليظن الملك أن ذلك عادته²¹."

وقال الشاعر في نفس المعنى:

تَرَى عَيْنَهَا عَيْنِي فَتَعْرِفُ وَحَيْهَا وَتَعْرِفُ عَيْنِي مَا بِهِ الْوَحْيُ يَرْجِعُ²²

وقال آخر:

العَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا مِنَ الْمَحَبَّةِ أَوْ بُغْضِ إِذَا كَانَ
والعَيْنُ تَنْطِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ حَتَّى تَرَى مِنْ صَمِيرِ

الْقَلْبِ تَبْيَانًا²³

ولإشارات العين دلالة واضحة يدركها العاقل فهي تغني عن الأفواه في كثير من الأحيان وقد بين ابن حزم الأندلسي²⁴ في "طوق الحمامة"²⁵ جميع هذه الدلالات كما يلي:

"فالإشارة بمؤخر العين الواحدة نهى عن الأمر، وتفتيرها إعلام بالقبول، وإدامة نظرها دليل على التوجع والأسف، وكسر نظرها آية الفرح، والإشارة إلى أطباقها دليل على التهديد، وقلب الحدقة إلى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مُشار إليه. والإشارة الخفية بمؤخر العينين كلتاهما سؤال، وقلب الحدقة من وسط العين إلى الموق بسرعة شاهد المنع، وترعيد الحدقتين من وسط العينين نهى عام. وسائر ذلك لا يدرك إلا بالمشاهدة."²⁶ هكذا نرى أن العين تنطق والأفواه صامتة وهي تؤدي جميع المعاني بطريق صحيح واضح فلا تفتقر ولا تكسل ولا تتعب. ويمكن لنا أن نفهم كلامها عن طريق المشاهدة.

وقد وجدت في "الكامل"²⁷ للمبرد البيت التالي:

فَعَيْنُ الرَّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا²⁸

فهناك عين الرضا وعين السخط ولكل واحد منها دلالة تعرف بها ودور لا يُجحد. قال عتبة²⁹ بن أبي سفيان لمؤدب ولده: "ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاح نفسك فإن عيونهم معقودة بعينك وينظرون إلى عينك دائماً"، فالحسن عندهم ما استحسنته والقبيح ما استقبحته³⁰.

ونجد في "طوق الحمامة" تفصيلاً عن أهمية العين.

"واعلم أن العين تنوب عن الرُّسل، ويُدرك بها المراد، والحواس الأربع أبواب إلى القلب ومنافذ نحو النفس، والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعاها عملاً، وهي رائد النفس الصادق وليها الهادي ومرآتها المجلوة التي بها تقف على الحقائق وتميز الصفات وتفهم المحسوسات"³¹. يقول الشاعر:

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعَقِّبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ³²
سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ مِنْكُمْ لَتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لَتَجْمُدَا³³

وكم وقع الإنسان في الورطة حتى فشل العقل والقلب واللسان جميعاً عن إنقاذه من المشاكل أو المهالك، وكم وجد نفسه في الأوضاع الشاقة الحرجة حتى كاد القلب يذوب من شدة الألم، فالعين لعبت دوراً خفياً لطيفاً في إنقاذه من تلك الأوضاع السيئة. ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن عبد ربه في "العقد الفريد": "طلق الوليد بن يزيد امرأته سعدى، فلما تزوجت اشتد ذلك عليه، وندم على ما كان منه، فدخل عليه أشعب، فقال له: أبلغ سعدى عني رسالتك، ولك مني خمسة آلاف درهم! فقال عجلها! فأمر له بها؛ فلما قبضها قال: هات رسالتك. فأنشده:

أُسْعِدِي مَا إِلَيْكَ لَنَا سَبِيلٌ وَلَا حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ تَلَاقٍ؟
بَلَى، وَلَعَلَّ دَهْرًا أَنْ يُؤَاتِي بَمَوْتٍ مِنْ حَلِيكَ أَوْ فِرَاقٍ

فلما سمعت هذا الشعر قالت لأشعب: أنشده:

أَتَبْكِي عَلَيَّ سَعْدِي وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا فَقَدْ ذَهَبَتْ سَعْدِي فَمَا أَنْتَ صَانِعُ

فلما أنشد أشعب الوليد بن يزيد غضب غضباً شديداً وقال: اختر واحدة من ثلاث: إما أن تقتلك، وإما أن نظرحك من هذا القصر وإما أن نلقيك إلى هذه السباع. فتحير أشعب وقال: يا سيدي، ما كنت لتعذب عينين نظرنا إلى سعدى! فتبسم وخلي سبيله³⁴.

وكم تمتع الإنسان بملذات الحياة بفضل العين التي تنقل إليه الجمال والبهاء حتى تتجلى أمامه الصور البديعة الخلابية. وكم أعجب الإنسان بمناظر الطبيعة وجمال

الكون وجلال الخلق الإلهي بفضل العين التي ترفع الستار عن خفايا أسرار الكون، ولم يفهم فضيلة العين على سائر الأعضاء الإنسانية، مثلما فهم الشعراء الكبار. يقول امرؤ القيس:

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَاءِنَا وَأَرْحُلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ³⁵
لغمة العيون في الحب: قد أعجب الشعراء بالعين إعجاباً وفُتِنُوا بها افتتاناً وجعلوها موضع إعجاب الكتاب والنابهين والمنشئين والمبدعين لأن العين توحى بما في قلب صاحبها وهي تنطق حينما تكون الأفواه صامتة فهي تنقل المشاعر التي تغور في القلب إلى القلب وسهام العيون أشد جرحاً وإيلاماً. يقول امرؤ القيس:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمِيكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ³⁶
والعيون الجميلة الفاتنة المعجبة المغربية تكاد تقتل المحبين وكم تمنى العشاق أن يُقتلوا بسهام عيون الحبيبات الفاتنات. يقول جرير:

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يَحْيَيْنَا قَتْلَانَا
وفيضان الدموع من العين يحكي لنا حكاية طريفة ولإشارة العيون معاني عميقة لا تعادلها إشارات أخرى

خرج رجل في سفر وكانت له ابنة عم يحبها فقال:

وَمَا تَبَدَّتْ لِلرَّجُلِ جِمَانُنَا وَجَدَّ بِنَا سَيْرٌ وَفَاضَتْ مَدَامِعُ
أَشَارَتْ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ وَسَلَّمَتْ وَأَوْمَتْ بِعَيْنَيْهَا مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
فَقُلْتُ لَهَا وَالْقَلْبُ فِيهِ حَرَارَةٌ فَدَيْتُكَ، مَا عَلِمِي بِمَا اللَّهُ صَانِعُ³⁷

وبين الدموع والهوى علاقة قوية لا يمكن أن ينفصل بعضه عن بعض.

يقول أبو عيسى بن الرشيد³⁸:

لَسَانِي كَتَوَّمٌ لِأَسْرَارِكُمْ وَدَمْعِي نَمُوْمٌ لِسَرِّي مُذْبِعُ
وَلَوْلَا الدَّمْعُ كَتَمْتُ الْهَوَى وَلَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَكُنْ لِي دُمُوعُ³⁹

يكاد الرجل يجنّ نشوة وطرباً حينما يقرأ الأبيات التالية. أنظر في صفاء الديباجة وغزارة المعنى وندرة القول وقوة التأثير وموقع التعجب فيها. يقول نضوي⁴⁰:

أَلَا تِلْكَ عَزَّةٌ قَدْ أَصْبَحَتْ نُقَلَّبُ لِلْهَجْرِ طَرْفًا غَضِيضًا⁴¹

تقولُ مرصناً فما عدتُنا وكيف يعودُ مريضٌ مريضاً⁴²

الفتاة هاهنا تشكو من قلة عناية الرجل بها حينما أصابها مرض، ولكن كيف يمكن لرجل مشغوف بها متهالك عليها مريض لأجلها أن يزورها " فكيف يعود مريض مريضاً". هذا من أجود الأبيات في هذا الموضوع.

وجمال المحبوب غاية كل شيء، فلو استقر الجمال في القلب مرة ما لبث أن رأى كل ما في الوجود جميلاً، ولكن بعد ذهاب المحبوب لا تلتفت العين إلى الجمال فلا يعجبه شيء. فالعين لا تنظر إلا إلى الحبيب المفقود والمنزل البالي الذي يبعث الحزن والأسى. قال أبو

علي: وقرأت على أبي عبد الله لعمر بن أبي ربيعة:

هل تعرفُ الدارَ والأطلالَ والدَّمنَ زدنَ الفؤادَ على علاته حزنًا
دارٌ لأسماءٍ قد كانت تحلُّ بها وأنت إذ ذاك قد كانت لکم وطنًا
لم يحبِّ القلبُ شيئاً مثل حُبِّكم ولم ترَ العينُ شيئاً بعدكم

حسنًا⁴³

وسهام العيون تغادر العاشق جريحا مكسورا ملقى على الأرض وهو يكاد يموت بسبب شدة الألم في الجروح، ولكن رغم ذلك يتمنى أن تجودحبيبته بنظرة أخرى مما يمكن أن يدفعه إلى وشك الهلاك بسبب نكأ القروح. فهو مستعد أن يلقي نفسه في الخطر آملاً أن النظرة الثانية يمكن أن تشفيه وتريحه من آلام الجروح. وهذا معنى طريف يعجب القلوب ويضطرب النفوس.

فيألكَ نظرةٌ أودتْ بعقلي وغادَرَ سَهْمُهَا مِنِّي جَريحًا
فليتْ مليكتي جادتْ بأخرى وأعلمُ أنها تنكأ القروحَ
فإما أن يكونَ بها شفائي وإما أن أموتَ فأستريحاً⁴⁴

ويقول عمر بن أبي ربيعة:

صددنا كأن لا مودة بيننا على أن طرف العين لا بُدَّ فاضح
ومد إلينا الكاشحون عيونهم فلم يبد منّا ما حوَّته الجوانح
وصافحت من لاقيت في البيت غيرها وكلُّ الهوى مني لمن لا أصفح

فلننظر في البيت الأخير "وصافحت من لاقيت في البيت غيرها وكل الهوى مني لمن لا أصفح"

المصافحة تدل على التقارب والتواصل والتصادق والتعاقد. وربما تكون جزءاً لا يتجزأ من العادات والتقاليد التي يحبها الرجال في سياق التعايش الإنساني في المجتمع. أما علاقة القلب بالقلب فهي أقوى وأوثق وأكبر من العادات والتقاليد الاجتماعية الموروثة للتعبير عن مشاعر الحب والمودة. والقلب لا يعتمد إلا على العين في إبلاغ رسالته إلى قلب آخر. فالعين تلعب دوراً مهماً في توثيق علاقة الحب بين المتحابين. التباعد بين المتحابين يزيد القلب اشتياقاً وحرقة. فالمحب يذرف الدموع ويكتب عما يجول في خواطر نفسه ولكن ربما لا يستطيع أن يكمل بسبب غزارة الدموع. يقول الشاعر:

كُتِبْتُ إِلَيْكَ بِمَاءِ الْجُفُونِ وَقَلْبِي بِمَاءِ الْهَوَىِ مُشْرَبٌ
فَكَفَيْ تَحْطُّ وَقَلْبِي يَمَلُّ وَعَيْنَايَ تَمْحُو الَّذِي أَكْتُبُ
فَلَيْسَ يَتَمَّ كِتَابِي إِلَيْكَ لَشَوْقِي فَمَنْ هَاهُنَا أَعْجَبُ⁴⁵

وقال رجل:

أَيَا مَنْ كَانَ لِي بَصَرًا وَسَمْعًا وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْ بَصْرِي

وسمعي

وَعَمَّنْ حِينَ يَذْكُرُهُ فُؤَادِي يَفْبِضُ كَمَا يَفْبِضُ الْغَرْبُ

دمعي⁴⁶

ويقول كثير:

وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صُغُودِ مِنَ الْهَوَىِ فَلَمَّا تَوَافَيْنَا ثَبْتُ وَزَلْتُ
وَكُنَّا عَقْدَنَا عُقْدَةَ الْوَصْلِ بَيْنَنَا فَلَمَّا تَوَاقْنَا شَدَدْتُ وَحَلْتُ
فَوَا عَجِبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطَّئَتْ كَيْفَ ذَلَّتْ
وَلِلْعَيْنِ أَسْرَابٌ⁴⁷ إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا وَلِلْقَلْبِ وَسَوَاسٍ إِذَا الْعَيْنُ مَلَّتْ⁴⁸

وقد ذكر أبو علي القالي⁴⁹ في "كتاب الأمالي" أنه قال أبو الفيض: خرجت حاجاً فمررتُ بحيّ فرأيت جاريةً كأنها فلقمة قمر فغطت وجهها، فقلت: يرحمك الله أنا سفر وفيها أجر، فمتّعينا برؤية وجهك فقالت:

وَكُنْتُ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبْتُكَ الْمُنَاطِرُ
رَأَيْتُ الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ⁵⁰

العين تبكي وتذرف الدموع غما وحزنا على فراق الأحبة وتوجد في الشعر العربي القديم تعبيرات جميلة رائعة بديعة خلّابة عن حالة الهم والغم والحزن والكآبة والأسى ولكن

ما بال من بكى فطال البكاء وسهد سهودا بسبب فراق الحبيبة حتى عاود عينه دمعها وسهودها. هذا معنى لطيف قلما يسبق مثله.
يقول كثير:

لقد هجرتُ سَعْدِي وطَالَ صَدْوُهَا وَعَاوَدَ عَيْنِي دَمْعُهَا وَسُهُودُهَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا زَرْتُ سَعْدِي بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تُطْوِي لِي وَيَدْنُو
بَعِيدُهَا⁵¹

أبوبكر الوراق قال: حدثني صديق لي: قال: رأيت رجلا من أهل الأدب قد ذهب عقله بالمحبة، وخلفه دابة له تدور معه، فاستوقفته وقلت له: يا فلان، ما حالك؟ وأين النعمة؟ قال تغير قلبي فتغيرت النعمة! قلت: بم تغير؟ قال بالحب! ثم بكى وأنشأ يقول:
أرى التحمل شيئا لست أحسنه وكيف أخفي الهوى والدمع يعلنه
أم كيف صبر محب قلبه دنف الهجر ينحله والشوق يحزنه
وإنه حين لا وصل يساعفه يهوي السلو ولكن ليس يمكنه
وكيف ينسى الهوى من أنت همته وفترة اللحظ من عينيك تفتنه
فقلت: أحسنت والله! فقال: قف قليلا، فوالله لأطرحن في أذنك أثقل من الرصاص
وأخف على الفؤاد من ريش الحواصل! وأنشد:

للحِبِّ نَارٌ عَلَى قَلْبِي مُضِرٌّ لَم تَبْلُغِ النَّارُ مِنْهَا عَشْرَ مَعَشَارِ
الماء يَنْبَغُ مِنْهَا مِنْ مَحَاجِرِهَا يَا لِلرَّجَالِ كَمَا فَاضَ

من نار!⁵²

والعين تترجم عن القلوب كلما نعجز عن الإتيان بألفاظ للتعبير عما يدور من مشاعر الحب في خواطرنا. وأما أحسن ما بين هذه الحقيقة أعرابي وهو يصف ليل لقاء:
وَلَيْلٌ لَمْ يُقْصِرْهُ رُقَادٌ وَقَصُرَ طَوْلُهُ وَضَلَّ الْحَبِيبِ
نَعِيمُ الْحُبِّ أَوْرَقَ فِيهِ حَتَّى تَنَامَلْنَا جَفَاهُ مِنْ قَرِيبِ
بِمَجْلِسِ لُدَّةٍ لَمْ نَقْوَى فِيهِ عَلَى شَكْوَى وَلَا عَدَّ الدَّنُوبِ
بَخَلْنَا أَنْ نَقْطَعَهُ بِلَفْظِهِ فترجمت العيون عن القلوب⁵³

دلالات لغة العين في الحزن والرتاء: قد عرفنا من أقوال العلماء والأدباء والشعراء أهمية العقل والقلب في الجسم الإنساني كما عرفنا أهميتها بسبب ما نرى من دورهما في حياة الإنسان كل يوم. فلو لا العقل لما تغلب الإنسان على سائر المخلوقات، ولو لا القلب الذي مدفن السرائر ومكمن الغزائر ومنبع العواطف ومركز الهواجس والخواطر

لما أثبت الإنسان فضيلته على الحيوانات والجمادات. والحيوانات أيضا تملك ما تملك من العواطف والمشاعر والأحاسيس ولكنها حُرمت من النطق والكلام. ولكن مع العقل والقلب هناك عضو صغير في جسم الإنسان لا يقل أهمية عن العقل والقلب. فالعين هي المنفذ الذي يتفجر منه شدة العواطف والمشاعر في صورة الدموع وخاصة في حالة الهم والغم والحزن والكآبة والأسى. فهي تساعد القلب والعقل في التخفيف عن الجروح والكروب والآلام. كأنها تغسل الجروح لتذهب بما فيها من الآلام بسبب فراق الأحبة والأشقاء وذوي القربة. وكم تعلق الشعراء الكبار في القديم بتذراف الدموع السواكب عند مفارقة الأحبة.

لَدَى سُمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا

حَنْظَلِ

والدموع التي تفيض من العين هي التي تشفي:

فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ

وَإِنَّ شَفَائِي عَبْرَةٌ مَهْرَاقَةٌ

وَمِنْ حَسَنِ شَعْرِ الْخَنَسَاءِ قَوْلُهَا:

أَلَا تَبْكِيَانِ لَصَخْرِ النَّدَى

أَعْيُنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا

أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا⁵⁴

أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيَّ الْجَمِيلَ

كما تقول:

عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ

فَلَوْ لَا كَثْرَةَ الْبَاكِينَ حَوْلِي

نَفْسِي

أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ

وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ⁵⁵

يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا

يقول أبو الشيص⁵⁶ في مرثية الرشيد:

فَقُلْ لِلْعَيْنِ تَدْمَعُ

عَرَبَتْ فِي الْمَشْرِقِ الشَّمْسُ

عَرَبَتْ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ⁵⁷

مَا رَأَيْنَا قَطُّ شَمْسًا

وقال متمم بن نويرة⁵⁸ يرثي أخاه مالكا:

رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدَّمْعِ السَّوَابِكِ

لَقَدْ لَأْمَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكََا

لَمَيَّتْ تَوَى بَيْنَ اللَّوَى

فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ

فَالدَّكَادِكِ

دُعُونِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ⁵⁹

فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا

قال الصنم بن عبد الله القشيري⁶⁰:

عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْجَلْمِ أَسْبَلْتَا مَعًا
عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشِيَّةٍ أَنْ

بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى فَلَمَّا رَجَزْتُهَا
وَأَذْكَرُ أَيَّامَ الْحَمَى ثُمَّ أَنْشَيْتَا

تَصَدَّعَا

عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعًا⁶¹

فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَمَى بِرَوَاجِعِ

وكان أبو الشيص⁶² من أهم شعراء هارون الرشيد، فلما توفى هارون الرشيد رثاه

ومدح محمدا الأمين وقال في ذلك:

فَنَحْنُ فِي وَحْشَةٍ وَفِي أَنْسٍ

جَرَتْ جَوَارٍ بِالسَّعْدِ وَالنُّحْسِ

فَنَحْنُ فِي مَاتِمٍ وَفِي عُرْسٍ

الْعَيْنُ تَبْكِي وَالسُّنُّ ضَاكِمَةٌ

كَبِينَا وَفَاةُ الْإِمَامِ بِالْأَمْسِ

يُضْحِكُنَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ وَيُوبِ

خُلِدَ وَبَدْرُ بَطْوَسٍ فِي الرَّمْسِ⁶³

بَدْرَانُ: بَدْرُ هَذَا بِيغْدَادٍ فِي آلِ

وَقَالَ الْعُتْبِيُّ⁶⁴:

أَسْفَأَ عَلَيْكَ وَفِي الْفَوَادِ كَلُومُ

أَضْحَتْ بِخَدِّي لِلدَّمْعِ رُسُومُ

إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ⁶⁵

وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ:

تَوْصَلُ مَنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقْطَعُ⁶⁶

دُمُوعٌ أَجَابَتْ دَاعِيَ الْحَزَنِ هُمُوعُ

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَظَلَّ عَلَيْهَا مُسْتَهْلٌ الْمَدَامِعُ

رَضِيْعُ مَدَامٍ فَارِقَ الرَّاحِ رَوْحُهُ

كَمَا فَقَدَ الْفَطُومُ دَرَّ الْمَرَضِعِ⁶⁷

أَدِيرَا عَلَيَّ الْكَأْسَ إِنِّي فَقَدْتُهَا

يَقُولُ الشَّاعِرُ:

كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى

أَمَّا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ⁶⁸

أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طُولًا

يَقُولُ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ⁶⁹:

يَا رَبِّ مِرْدَاسٍ اجْعَلْنِي كَمِرْدَاسٍ

يَا عَيْنُ بَكِيٍّ لِمِرْدَاسٍ وَمِصْرَعِهِ

فِي مَنْزِلٍ مَوْحِشٍ مِنْ بَعْدِ

تَرْكَتْنِي هَائِمًا أَبْكِي لِمِرْزَتِي

إِيْنَاسٍ

مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسٍ بِالنَّاسِ

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ

عَلَى الْقُرُونِ فَذَاقُوا جُرْعَةَ الْكَأْسِ

إِنَّمَا شَرِبْتُ بِكَأْسِ دَارِ أَوْلِيَّهَا

فكل من لم يذقها شاربٌ عجلاً منها بأنفاسٍ ورده بعد أنفاس⁷⁰

دلالات العين في التشبيه: قد أعجب الشعراء العرب إعجاباً شديداً بالعين وأقبلوا عليها إقبالا عظيما يستخدمونها في التشبيه والاستعارة والكناية ويخلقون المعاني اللطيفة الجميلة. والأبيات العربية القديمة مليئة بالأمثلة حول هذا الموضوع. فلا نجد شاعرا قديما صغيرا كان أو كبيرا إلا أحصاها وجعلها جزءا لا يتجزأ من غرر كلامه. وكل ما أقدم إليكم هاهنا غيض من فيض ووشل من بحر. ويرى الأصمعي أن أحسن الناس تشبيها امرؤ القيس في قوله:

كان عيون الوحشٍ حول خباءنا وأزحلنا الجزعُ الذي لم يثقب⁷¹

ومن الأبيات الرائعة البديعة قول المتنبي:

ويوم كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمسَ أيان

تغرُّب

وعيني إلى أدنى أغر كاته من الليلِ باق بين عينيهِ

كوكب⁷²

قال أبو علي أنشدنا أبوبكر قال أنشدنا عبد الله بن خلف قال أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن جميل:

عزّثني بجيش من محاسن وجهها فعبأ لها طريفة ليدفع عن قلبي
فلما التقى الجمعان أقبل طرفها يُريد اغتصاب القلب قسراً على

الحرب

ولما تجارحنا بأسياف لحظنا جعلت فؤادي في يديها

على العضب

وناديت من وقع الأستة والقنا على كيدي يا صاح مالي وللحب
فصرت صريعا للهوى وسط عسكرو قتيل عيون الغانيات بلا ذنب⁷³

ويقول المتنبي:

وإن نهاري ليلتة مدلهمة⁷⁴ على مقلّة من فقدكم في

غياهب

بعيدة ما بين الجفون كماثما عقدتم أعالي كل هذب

بحاجب⁷⁵

وهناك أمثلة أخرى كثيرة ذكرها الأعلام الشنتمري في أشعار الشعراء الستة
الجاهليين،⁷⁶

ويقول:

أرى الليل يمضي والنجوم كأنها
عُيونُ الندامى حينَ مالت إلى
الغمض

وقد لاح فجرٌ يغمُرُ الجوّ نورُه
كما انفجرتُ بالماء عينٌ على
الأرض⁷⁷

ويقول:

تَرْنُو إِلَيَّ بَعِينَ الظُّبَيِّ مَجْهَشَةً
وَتَمَسُحُ الطَّلَّ فَوْقَ الوَرْدِ
بِالْعَنَمِ⁷⁸

ويقول:

أَعَادَنِي سَقَمَ عَيْنِيهِ وَحَمَلَنِي
مَازَرُهُ⁷⁹

وفضل الأصمعي قول النابغة:

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا
وَكذَلِكَ فَضَّلَ قول عدي بن الرقاع العاملي:⁸⁰

وَكأَنهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا
عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَازِرِ جَاسِمِ
وَسَنَانِ أَقْصَدِهِ النِّعَاسِ فَرْنَقَتْ
فِي عَيْنِهِ سَنَةً 81 وَلَيْسَ بِنَائِمِ⁸²

والأبيات التالية من أحسن الأبيات روعة وإيقاعاً وقوة وتأثيراً. قد تمكن طرفها من قتل
العاشق ولكن الشيب حال دون الرجاء والطلب:

نظرت إليّ بعين من لم يعدل
لما تمكّن طرفها من مقتلي
لما تبسّم بالمشيبِ مفارقي
صدتْ صدود مفارق متحمل
فجعلتْ أطلبُ وصلها بتعطّف
والشَّيبُ يغمُرُها بأن لا تفعلي⁸³

فانظري في " والشيب يغمزها بأن لا تفعلي " تجد فيه من الروعة والبراعة والجمال
والقوة والتأثير ما يعجز عنه البيان.

وقد أنشد عبد الصمد بن المعدّل:

تَمَارَضْتُ كِي أَشْجِي وَمَا بِيكَ عَلْتُ
ثُرَيْدِينَ قَتَلِي قَدْ رَضِيْتُ بِذَلِكَ

لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ

لَتُنْ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ

ببائك⁸⁴

وأما الشاعر العباسي الشهير أبو نواس⁸⁵ فإنه قد تمتع بالخمير من عين الجارية كما تمتع من يدها:

وَأَشْرَبَ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ حَمَرَاءِ

لَا تَبْكُ هِنْدًا وَلَا تَطْرِبُ إِلَى وَعْدِ

كالورد

وجدت حمرتها في العين والخذ
في كف جارية ممسوقة القد
خمراً، فمالك من سُكْرَيْنِ مِنْ بُدْ
شيئاً، حُصِّصْتُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ

كأساً إذا انحدرت في حلق شاربها
فالخمير ياقوتة والكأس لؤلؤة
تُسْقِيكَ مِنْ عَيْنِهَا خَمْرًا وَمِنْ يَدِهَا
لي نشوتان وللندمان واجدة
وَحُدَيْ⁸⁶

ويوجد في نظرة العين داء ودواء ومرض وشفاء. فهي تضر وتنفع ولكن رغم هذه الحقيقة الشاعر لا يشق إلى تلك النظرة المعجبة المغربية الفاتنة. فهو مستعد أن يحتمل المشاكل والآلام حتى الموت في هذا السبيل.

ومما يستحسن لبشار بن برد في هذا المعنى:

واخذرا طرف عينها الحوراء
لُحِبِّ، والداء قبل الدواء

حبيبا صاحبني أم العلاء
إن في طرفها دواء وداء

وكم أعجب الشعراء إعجابا بالعينين الفاتنتين
وما أروع ما قال غيلان ذي الرمة:

دقيق الحواشي لا هراء ولا نزر
فعولان بالألباب ما تفعل السحر

لها بشر مثل الحرير ومنطق
وعينان قال الله كونا فكانتا

خلاصة القول: هكذا رأينا أن الشعر العربي القديم يزخر بالأبيات الشعرية الجميلة حول العيون ولغتها وإيحائها وتأثيرها. وللعين دلالات قوية في الحب والغرام كما لها دلالات واضحة في الحزن والرثاء والشعراء العرب قد استخدموا العين في التشبيهات النادرة البديعة الخلاصة حتى لا نجد شاعرا قديما معروفا إلا اهتم بها وأقبل على قرص الأبيات حولها. وكل ذلك يدل على أن الشعر العربي القديم لا يقل جمالا وبهاء وقوة وتأثيرا من الآداب العالمية القديمة الأخرى. فهل هناك أدب عالمي آخر ما بلغ الشعر العربي في التعبير عن لغة العين؟

الهوامش

- 1 فْتَرُ يَفْتَرُ فْتوراً: لأنَّ بعد شدة، أو سكن بعد حدَّة ونشاط. يقال فْتَرَ الماء الساخن وفتّر الطرفُ: انكسر نظره، (المعجم الوسيط) العين الفاترة أي الذابطة كأنها مريضة وليس بها مرض، يقول ابن الرومي: يسبي العقول بمقلّة مكحولته.... بفتور غنج لا فتور نعاس ويشبه ابن المعتز فتور العين بالنرجس فقال:
- وسنان قد ترك النعاس جفونه فحكى بمقلته ذبول النرجس
- 2 الكحلاء: الشديدة سودا العين أو التي كأنها مكحولته. كحلت العينُ كحلاً: اسودت أجفانها خلقة، ويقال: كحلَّ الرجلُ، فهو أكحل، وهي كحلاء، (المعجم الوسيط)، العيون الكحلاء: العيون التي تبدو جفونها سوداء من غير كحل
- يقول ابن هانئ الأندلسي:
- حسبوا التكحل في جفونك حلبةً تالله ما بأكفهم كحلوك
- 3 وهي العيون التي تمتاز بشدة السواد، حورت العينُ حوراً: اشتدَّ بياضها وسوادُ سوادها واستدارت حدقتها ورقّت جفونها وابتيض ما حواليتها. واسودت كأنها مثلُ أعين الأطباء والبقر، ويقال حورّت المرأة وحورَ الطيبي، فهو أحور، وهي حوراء ج حورٌ (المعجم الوسيط) وقد وضع العرب الصفات المتعددة لها مثل زجاء وطفاء، وعجاء، عيناء يقول جرير:
- إن العيون التي في طرفها حور قتلتنا ثم لم يحيين قتالنا
- 4 زَرَقٌ يَزْرُقُ زَرَقاً فلاناً بعينه: أحدها نحوه ورَمَاهُ بها، ويقال كذلك زرقَتْ عينه نحوي: انقلبت وظهر بياضها، العيون الزرقاء تمثل الكذب والخداع والعناء يقول بشار بن برد:
- تراخت في النعيم فلم ينلها حواسد أعين الزرق القباح
- 5 يصف بدر شاكر السياب العيون الخضراء بقوله:
- عيناك غابتا نخيل ساعة السحر أو شرفتان راح ينأي عنها القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم وترقص الأضواء كالأقمار في نهر
- 6 عين مزيجة من اللونين البني والأخضر.
- 7 عين كالليل المظلم في سوادها، عينٌ دجاء، الثعالبى، فقه اللغة، ص: 118، يقول بشار بن برد:
- وَدَعَاءُ الْمَاجِرِ مِنْ مَعَدٍّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمْرُ الْجَنَانِ
إِذَا قَامَتْ لِمَشِيَّتِهَا تَثْنَتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ زُرَانِ
يُنْسِيكَ الْمُنَى نَظْرٌ لِيَّهَا وَيَصْرِفُ وَجْهَهَا وَجَهَ الرِّمَانِ
- 8 عين تتصف بالحدة والاتساع، نَجَلٌ يَنْجَلُ نَجَلاً: اتسعت عينه وحسنت فهو أنجل وهي نجلاء
- 9 عين تتسم بالرقّة والنعميّة، شَهْلٌ فَلَانٌ يَشْهَلُ شَهْلاً: كانت في إنسان عينه حمرة
- 10 عين بارزة، جحظت عينه جحوظاً: نتأت حدقتها وبررت، فهي جاحظة، وهو جاحظ

- 11 أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، ولد بنيسابور سنة ثلاثمائة وخمسين هجرية من أسرة احترفت خياطة جلود الثعلب من ثم ينسب الثعالبي إلى حرفته، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وأربعمائة. للتفصيل راجع، فقه اللغة وسر العربية، ص: 5.
- 12 هذا من أشهر كتب الثعالبي، قد ألفه للوزير أبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي، والكتاب يشتمل على ثلاثين باباً وكل باب يحتوي على عدة فصول، واعتمد الثعالبي في تصنيفه على أئمة اللغة والأدب والفلسفة. ورغم الحقيقة أن الكتاب يمتاز بالميزات والخصائص إلا أنه يؤخذ عليه أنه لم يفرّق بين المستعمل والغريب.
- 13 أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: فقه اللغة، ص: 135.
- 14 الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 68.
- 15 ص: 68، يقول الجاحظ أنّ النّصبة هي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمثيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وضاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء مُعربة من جهة البرهان، ولذلك قال الأول: سَلِ الْأَرْضِ قُلُوبًا: مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ، جَنَى ثِمَارَكَ؟ فَإِنْ لَمْ تَجِبْكَ حَوَارًا، أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا. وقال بعض الخطباء: أشهد أنّ السماوات والأرض آيات دالات وشواهد قائمات، كلّ يؤدّي عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية، مؤسومة بآثار قدرتك التي تجلّيت بها لخلقك، فأوصلت إلى المقلوب من معرفتك ما أسّها من وحشة الفكر، ورجم الظنون، فهي على اعترافها لك، وافتقارها إليك شاهدة بأنك لا تحيط بك بالصفات، ولا تحدك الأوهام، وأنّ خطّ الفكر فيك، اعتراف لك. وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الإسكندر وهو ميّت: الإسكندر كان أمسى أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس، ومتى دلّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتاً، وأشار إليه وإن كان ساكناً؟ ص: 71-72.
- 16 هو الإمام العلامة أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، الملقّب بالراغب، صاحب التصانيف المعروفة، أقام في أصفهان وبغداد، وتوفي سنة 502 هـ، إن مؤلفاته تدل على طول باعه في العلم والحكمة واللغة والأدب حتى كان يقرن بالأمام الغزالي.
- 17 محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، من أشهر كتب الإمام الراغب الأصفهاني، كتاب معروف في الأدب يحتوي على عيون الأشعار والنكات الأدبية والأخبار النادرة والحكايات الممتعة من محاورات البلغاء والأدباء.
- 18 الأصفهاني، الراغب، محاضرات الشعراء، الجزء الثاني، ص: 9، يقول ابن سلام: ألا إنّ عين المرء عنوان قلبه، تخبر عن أسراره شاء أم أبى، الأصفهاني، الجزء الثاني، ص: 10.
- 19 المصدر نفسه، ص: 69، المتيم: يقال تيمه الهوى أو الحبيب = استعبده وذهب بعقله (القاموس المحيط)
- 20 الجاحظ. البيان والتبيين. ص: 70، وفي ديوان أبي العتاهية نجد هذه الأبيات كما يلي:
يُقاسُ المرءُ بالمرء إذا ما هو ما شاء

- وللقب على القلب دليل حين يلقاه
ولشكل على الشكل مقاييس وأشباه
وفي العين غني للغني أن تنطق أفواه
21 الأصفهاني الراغب، محاضرات الأدباء، ص: 235.
- 22 الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 70.
- 23 والشاعر هو عبد الله بن معاوية والأبيات في ديوانه كما يلي:
العين تُبدي الذي في قلب صاحبها من النشأة أو ودا إذا كانا
إن العدو له عين يقلبها لا يستطيع لما في القلب كتماننا
وعين ذي الود ما تنفك مقلتها تُبدي له مججراً بشاً وإنسانا
فالعين تنطق والأفواه صامتة حتى يرى من ضمير القلب تبياننا
- 24 هو العالم الفقيه والشاعر اللبيب، من أكبر علماء الأندلس وأكثر علماء الإسلام تأليفاً بعد "الطبري"، وُلِدَ في قرطبة عام 384 هـ، كان أبوه يحظى بمكانة كبيرة لدى الخليفة المنصور. وولي الوزارة لصديقه "عبد الرحمان المستظهر" في رمضان سنة 412 هـ ولم يبق في هذا المنصب أكثر من شهر ونصف. مات عام 456 هـ، كان شديداً في خصومه دائماً ينادي بالتمسك بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة.
- 25 طوق الحمامة في الألفة والألاف من روائع علي بن حزم الأندلسي. يقدم فيه أصول الحب ونواحيه المختلفة وصفاته المحمودة والمذمومة مع ذكر بعض القصص عن الحب وأبطاله. وفي ختام رسالته يؤكد على قبح المعصية وفضل التعفف.
- 26 الأندلسي، طوق الحمامة، ص: 32.
- 27 كتاب الكامل في اللغة والأدب من أشهر مؤلفات أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، هذا الكتاب يبحث في علوم اللغة وأدائها وهو يحتوي على نصوص من أحوال العرب شعراً ونثراً وشرح النصوص واستخراج من فيها من المعاني والبيان والتأثير. يقول المبرّد هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الأدب، ما بين كلام منثور، وشعر موصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة، قال ابن خلدون: سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانها أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، كتاب الكامل للمبرّد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها". (الكامل، الجزء الأول، ص: 5).
- 28 الكامل. الأول، ص: 279.
- 29 عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية بن أبي سفيان، وُلِدَ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولّاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطائف ثم ولّاه معاوية مصر وتوفي بها.
- 30 الأصفهاني، الراغب. محاضرات الأدباء. الجزء الأول، ص: 75.

- 31 طوق الحمامة. ص: 32.
- 32 المبرد، الكامل. الأول، ص: 143.
- 33 المرجع نفسه، ص: 267.
- 34 ابن عبد ربه، العقد الفريد. الجزء السابع، ص: 134.
- 35 الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين. ص: 55.
- 36 المرجع نفسه، ص: 32.
- 37 الأصفهاني، الراغب، محاضرات الأدباء
- 38 هو المأمون بن الرشيد.
- 39 الأصفهاني، الراغب، محاضرات الأدباء.
- 40 الإمام الحافظ النحوي العلامة الأخباري أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، سكن بغداد، تبحر في العلوم وصار رأس في أهل الظاهر، امتاز بالبروءة وحسن الخلق وقوة العقل والدين والشجاعة. توفي سنة 324 هـ.
- 41 الطرف المسترخي الأجنان (المعجم الوسيط)
- 42 نجد هذه الأبيات في ديوان كثير عزة وهي كما يلي:
- أَلَا تِلْكَ عَزَّةٌ قَدْ أَصْبَحَتْ تُقَلِّبُ لِلهَجْرِ طَرْفًا غَضِيضًا
تَقُولُ مَرِيضًا فَمَا عُدْنَا فَقُلْتُ لَهَا لَا أَطِيقُ النُّهُوضَا
كَلَانَا مَرِيضَانِ فِي بَلَدَةٍ وَكَيْفَ يَعُودُ مَرِيضٌ مَرِيضَا
- 43 المرجع نفسه، ص: 19.
- 44 الأمتاع والمؤانسة، ص: 177، هذه الأبيات للعباس بن الأحنف من العصر العباسي والأبيات في ديوانه كما يلي:
- أَيَا لَكَ نَظْرَةٌ أَوْدَتْ بِقَلْبِي وَغَادَرَ سَهْمُهَا جَسْمِي جَرِيحَا
فَلَيْتَ أَمِيرَتِي جَادَتْ بِأُخْرَى فَكَانَتْ بَعْضُ مَا يَنْكَا الْقُرُوحَا
فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ بِهَا شَفَائِي إِمَّا أَنْ أَمُوتَ فَأَسْتَرِيحَا
- 45 الأمالي، الجزء الثاني، ص: 47، والأبيات للشاعر العباسي خالد الكاتب.
- 46 المصدر نفسه، ص: 306، هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة والأبيات في ديوانه كما يلي:
- أَيَا مَنْ كَانَ لِي بَصْرًا وَسَمْعًا وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنِ بَصْرِي وَسَمْعِي
يُجِنُّ بِذِكْرهَا أَبْدَا فُؤَادِي يَفِيضُ كَمَا يَفِيضُ الْعَرْبُ دَمْعِي
يَقُولُ الْعَادِلُونَ نَأَتْ فَدَعَهَا وَذَلِكَ حِينَ تَهْيَامِي وَوَلَعِي
أَهْجُرُهَا وَأَقْعُدُ لَا أَرَاهَا وَأَقْطَعُهَا وَمَا هَمَّتْ بِقَطْعِي
وَأَقْسَمُ لَوْ حَلَمْتُ بِهَجْرِ هِنْدَ لَصَاقَ بِهَجْرِهَا فِي النَّوْمِ دَرْعِي
- 47 أسراب ج/ السرب، الماء السائل من المزادة، (المعجم الوسيط).
- 48 الأمالي، الأول، ص: 66.

- 49 هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان، امتاز عن الآخرين من أهل زمانه في اللغة والشعر والأدب، ولد ونشأ في مناجرد (على الفرات الشرقي بقرب بحيرة وان، ورحل إلى العراق ثم إلى المغرب سنة 328هـ، استوطن قرطبة في أيام عبد الرحمن الناصر، أشهر تصانيفه كتاب النوادر ويسمى (الأمالي القالي) في الأخبار والأشعار.
50 ص: 123.
- 51 السادس، ص: 2537، الأغاني، من.
52 العقد الفريد، 7، ص: 191.
- 53 العلامة القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ص: 350
54 الكامل، 3، ص: 245.
55 الكامل، الجزء الأول.
- 56 هو محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن سلمان بن تميم الخزاعي الكوفي، شاعر مطبوع رقيق الألفاظ عاصر أبا نواس وانقطع إلى أمير الرقة عقبة بن جعفر الخزاعي الذي لقبه أبو الشيص.
57 الثعالبي، ص: 153.
- 58 متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوي التميمي، أبو نهشل، شاعر وصحابي اشتهر في الجاهلية والإسلام وخاصة في رثاءه لأخيه مالك.
59 أبو تمام، الحماسة، ص: 124.
- 60 الصّمت بن عبد الله بن الطفيل بن قرة القشيري، شاعر بدوي من العصر الأموي وسكن بادية العراق وانتقل إلى الشام ومات في طبرستان سنة 96هـ.
61 المرجع نفسه، ص: 185.
- 62 قد سبق ذكره
63 ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص: 75.
- 64 هو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان، شاعر من العصر العباسي الأول، ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد وتوفي عام 230 هـ.
65 الكامل، 2، ص: 66.
- 66 الكامل، 2، ص: 66، ونجد هذا البيت في ديوان أبي تمام.
67 الكامل، 2، ص: 350، هذه الأبيات للشاعر أبي الهندي، قصة الأبيات في العقد الفريد، 8، ص: 56.
- 68 نفس المصدر، ص: 354، ديوان بشار بن برد، ص: 168، وأيضا في ديوان نصيب بن رباح.
69 هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي البصري، من أعيان العلماء، لكنه من رؤوس الخوارج، قال الفرزدق: عمران بن حطان من أشعر الناس لأنه لو أراد أن يقول مثلنا، لقال، ولسنا نقدر أن نقول مثل قوله، مات سنة 84هـ.
70 الكامل، 3، ص: 12.

71 المرجع نفسه، ص: 12 .

72 المرجع نفسه، ص: 270 .

73 القالي، الأمالي، الجزء الثالث، ص: 20 .

74 البيت الأول هو كما يلي:

أعيذوا صباحي فهُوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ وَرُدُّوا رُقَادِي فَهُوَ لِحَطِّ الْحَبَائِبِ

75 الثعالبي، يتيمة الدهر، الجزء الأول، ص: 225 .

76 أشعار الشعراء السنة الجاهليين، ص: 25-27، وهناك قصة طريقة وراء هذه الأبيات الرائعة، قد

ذكرها ابن عبد ربه في "العقد الفريد" وهي أنه قد اجتمع دعبيل الشاعر ومسلم وأبو نواس في مجلس فقال لهم أبو نواس: لينشد كل واحد منكم بأحسن ما قال من الأبيات. فأنشد أبو الشيبان:

وَقَفَّ الْوَهْوَى بِى حَيْثُ أَنْتَ فَلَيسَ لِي مَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مَتَقَدَّمُ
أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِلذِّكْرِ فَلَيْلُمْنِي اللَّوْمُ
أَهْنَيْتَنِي فَأَهْنَيْتَ نَفْسِي جَاهِدًا مَا مَن يَهُونُ عَلَيْكَ مَمَّنْ يُكْرَمُ
أَشْبَهْتَ أَعْدَائِي فَصَرْتُ أُحِبُّهُمْ إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ

ثم أنشد مسلم:

فَأَقْسَمُ أَنْسَى الدَّاعِيَاتِ إِلَى الصَّبَا وَقَدْ فَاجَأَتْهَا الْعَيْنُ وَالسُّتْرُ وَقَعُ
فَعَطَّتْ بِأَيْدِيهَا تَمَارَ نُحُورِهَا كَأَيْدِي الْأَسَارَى أَنْقَلَّتْهَا الْجَوَامِعُ

ثم أنشد دعبيل:

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيُّ سَلْكَ لَا أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلَّ بَلْ هَلْكَ
لَا تَعْجِبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ صَحَّكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ صَبِرْتُ كَمَا يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سُفِكَ
لَا تَأْخُذْ بِظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرِي فِي دَمِي إِشْتَرَكَا

ثم أنشد أبو نواس:

أَتَبِكْ هِنْدًا وَلَا تَطْرِبْ إِلَى وَعْدٍ "إِلخ..."

فقاموا كلهم فسجدوا له، ابن عبد ربه، ص: 221 .

77 المرجع نفسه، ص: 290 .

78 الثعالبي، ط1، ص: 224 .

79 المرجع نفسه، ص: 224 .

80 الأعلام الشنتمري، ص: 150 .

81 الفرق بين السنة والنوم

82 المرجع نفسه، ص: 151 .

83 القالي. الأمالي. ص: 109 .

84 القالي، كتاب الأماي. الجزء الأول، ص: 30.

85 ما هي قصة هذه الأبيات.

86 ابن عبد ربه. العقد الفريد. 6، ص: 221.

المصادر والمراجع:

- الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم حسين بن محمد. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. المجلد الأول والثاني، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، سنة الطباعة لم تذكر.
- التوحيدي، أبو حيان. كتاب الإمتاع والمؤانسة. الجزء الأول والثاني، بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. فقه اللغة وسر العربية، ديوبند: اتحاد بكديو.
- أبو عثمان بن عمرو بن بحر بن محبوب. كتاب البيان والتبيين، ط1. القاهرة: شركة القدس للنشر والتوزيع، 2013م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. الكامل في اللغة والأدب، ط1. الجزء الأول والثاني، منشورات محمد علي بيضون، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م.
- القرطبي، محمد بن عبد البر. بهجة المجالس وأنس المجالس. المجلد الأول والثاني، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن عبد ربه. العقد الفريد. الجزء الأول والسابع، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى. أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ط1. الجزء الأول، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م.
- الأصفهاني، أبو الفرج. كتاب الأغاني. الجزء السادس، بيروت: دار الفكر للجميع، 1970م.
- القالي، أبو علي إسماعيل بن قاسم البغدادي. كتاب الأماي. الجزء الأول، بيروت: دار الكتب العلمية.
- القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري. زهر الآداب وثمر الألباب، بيروت: دار الجيل.
- الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس، ديوان الحماسة، ط1. منشورات محمد علي بيضون، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.
- ابن المعتز، طبقات الشعراء. القاهرة: دار المعارف.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. بيروت: دار الكتب العلمية.

تصوير القيم الإنسانية في ديوان الحماسة

د. عبد الحي الحسني الندوي*

hainadwi@gmail.com

ملخص البحث: إن العالم الحديث قد انتشرت فيه ظواهر سيئة في جميع نواحي الحياة من غش وكذب وجشع لا حد له واستغلال القوي للضعيف، وماتت أو كادت أن تموت أخلاق وفضائل كانت عند الناس في قمة أولوياتهم كفضيلة الكرم والإيثار والتواضع والشهامة وغيرها من الأخلاق الفاضلة لم يعد لها وجود في أذهان كثير من الناس في هذه الأيام. فيعيش الناس في فوضى وقلق واضطراب يصل إلى حد الجنون، لا يحسون بهدوء ولا راحة نفسية ولا عاطفة حب نحو الآخرين - غير المجاملات العابرة - وجوههم مقطبة، وأفكارهم شاردة، ولم يعد للرحمة تلك المكانة التي تبوأتها قبل ظهور قرن الشيطان فوق المذاهب الفكرية، ولم يعد للعدل والإنصاف أي مكان يحط رحاله فيه إلا القليل ولم يبق إلا أن يذكر في أسنة الخطباء خصال أولئك الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وفضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة.

فيحاول هذا البحث في عرض بعض القيم الإنسانية النبيلة التي كانت سائدة في المجتمع العربي وأوردها الشاعر أبو تمام الطائي في ديوانه الحماسة بلسان شعراء يعتبرون لسان مجتمعاتهم مع توضيح القيم الإنسانية باستدلال آراء علماء النفس والاجتماع.

كلمات مفتاحية: أبو تمام الطائي، ديوان الحماسة، القيم الإنسانية.

المقدمة: إن المجتمع الإنساني في أمس حاجة إلى تذكير وتعليم القيم الإنسانية الجميلة وتأصيلها وترسيخها في الأذهان الناشئة وأصبح فريضة أولوية من أعظم الأولويات التي تتطلب اهتماماً بالغاً من جانب العلماء وتفعيل وتوظيف خبراتهم وقدراتهم. لأن الجيل الجديد الناشئ قد فقد معظم خصال الإنسانية الحميدة بسبب

* الأستاذ المساعد وعميد كلية الدراسات العربية والإسلامية، جامعة بي. يس. عبد الرحمن الهاللية، تشناي، تامل نادو، الهند.

تغير العالم بسرعة، وتطور التكنولوجيا بشكل كبير مما يؤثر على تفاعل الأفراد مع العالم وبعضهم البعض. وزاد حرصهم على جمع الأموال بدون أي اهتمام بالقيم الإنسانية والتواصل الإنساني والاجتماعي حتى جاء الجيل الذي لا يأكل الوالد في مطعم ولده أو الولد في مطعم أبيه إلا بدفع القيمة نتيجة حتمية لإعراضهم عن هدي الله عز وجل واتباعهم لأهواء الضالين وقراصنة المال الذين لا يتكلمون إلا في المال، ولا يضحكون إلا للمال ولا يعملون إلا للمال، ولا يعطون شيئاً إلا ليأخذوا ما هو أئمن منه، وأصبح من حق الضعفاء أن ينشدوا مع الشاعر¹ قوله:

ذهب الذين إذا رأوني مقبلاً هسّشوا إليّ ورخبوا بالمقبيل
وبقيت في خلف كأنّ حديثهم ولعّ الكلاب تهاشرت في المنزل²

وكما قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه:

" كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فصاروا شوكاً لا ورق فيه "³

قد تغيرت الطبيعة البشرية تغيراً شاسعاً عن طبيعة آبائهم وأجدادهم وتحولت خصالهم خصالاً غير إنسانية حتى قالوا: "تعامل الناس بالدين حتى ذهب الدين، وبالحياء حتى ذهب الحياء، وبالمروءة حتى ذهب المرءة، وقد صاروا إلى الرغبة والرغبة وأحر بهما أن يذهبا"⁴.

صعوبة موضوع القيم الإنسانية: وإن في الحديث عن القيم الإنسانية صعوبة كبيرة. ولا ترجع الصعوبة إلى الموضوع في ذاته، وإنما لاختلاف التصورات والمنطلقات وتمثيلات الأذهان في مقارنة الموضوع. قد تتخذ التصورات في أمور معينة؛ لكنها سرعان ما تختفي في أخرى. وسبب لذلك أحياناً اختلاف تنوع وفي أغلب الأحيان اختلاف تضاد.

والقيم أولاً هي علاقة تقوم بين الإنسان وبين الكون من حوله، علاقته بالأشياء مثلاً، فهو من يستطيع أن يحكم على اللوحة الفنية بالجمال من عدمه، وعلاقته أيضاً بالأفعال كالتصدق على الفقراء أو المشاركة في عمليات إنقاذ، وتعريفه لفعل الزنى وتقبيحه كقيمة مرفوضة بحسبانه فعل اعتداء، كذلك السرقة والرشوة والاختلاس بحسبانها أفعالاً مخلتة بقيمة الشرف، والقيم توجد فقط داخل الإنسان فتوجهه ليختار بين السهر تهجداً في الحسين، وبين السهر في ملهى ليلي في حي الهرم، فتعامل الإنسان مع محيطه من أشياء وأفعال هو ما يؤدي لظهور القيم.

والقيمة أيضاً هي لازمة وضرورة حياتية حتى للحيوانات، فإن أعطينا كلباً تفاعلة وعظمت سيختار العظمت، ويمكن أن يكون الشيء نافعاً وترفضه بتقييمه تقييماً خاطئاً، فكان الهنود الحمر يعطون ذهبهم وأماسهم مقابل مرآة من زجاج، وقد يكون للشيء قيمة عالية وترفضه، وقد يكون حقيراً وتعظم قيمته مثل قيمة بول البقر، الطب يقول أنه مجموعة سموم، ولكن بعض الناس يعظمونه ويعطونه أحياناً قيمة موجبة لكنها زائفة، لأنها جاءت من محكم غير متخصص لكنه مسيطر وكذلك لو سألت طفلاً عن لون السيارة الذي يفضله سيقول الأحمر لأن سيكولوجيا الطفولة تتأثر بالأحمر لأنه أوضح الألوان، لكنه في سن آخر سيختار لوناً آخر، وسيتأثر ذلك بظرفه الاقتصادي وما يريده منها من احتياجات وتأثره بالمودة السائدة من عدمه.

ويقول شالوم H. شوارتز في رسالته " نظرة عابرة على القيم الإنسانية المتأصلة ":

“When we think of our values, we think of what is important to us in our lives (e.g., security, independence, wisdom, success, kindness, pleasure). Each of us holds numerous values with varying degrees of importance. A particular value may be very important to one person, but unimportant to another”.

إذا ما فكرنا في قيمنا، فكرنا فيما هي أهم في حياتنا (مثل الأمن والاستقلال والحكمة والنجاح والرحمة والسرور). وكل منا يحمل العديد من القيم بدرجات متفاوتة من الأهمية. وقد تكون قيمة خاصة أكثر أهمية جداً لشخص ولآخر هي نفسها غير مهمة.⁵

ويبين أيضاً كمصادر لأولويات القيم ويقول:

“People’s life circumstances provide opportunities to pursue or express some values more easily than others: For example, wealthy persons can pursue power values more easily, and people who work in the free professions can express self-direction values more easily”.

"Life circumstances also impose constraints against pursuing or expressing values. Having dependent children constrains parents to limit their pursuit of stimulation values by avoiding risky activities. And people with strongly ethnocentric peers find it hard to express universalism values. In other words, life circumstances make the pursuit or expression of different values more or less rewarding or costly. For example, a woman who lives in a society where common gender stereotypes prevail is likely to be rewarded for pursuing benevolence values and sanctioned for pursuing power."⁶

وظروف حياة الناس هي التي توفر لهم الفرص لمتابعة أو التعبير عن بعض القيم بسهولة أكثر من الأخرى فعلى سبيل المثال لعل الأثرياء يتابعون قيمة السلطة بسهولة أكبر والذين يعملون في المهن الحرة يمكن أن يتابعوا قيم التوجيه الذاتي أكثر سهولة.

كذلك ظروف الحياة تفرض (على الناس) قيوداً على ملاحقة أو التعبير عن بعض القيم كوجود الأطفال العالة يجبر آباءهم على تحقيق القيم المتحفزة عن طريق تجنب المخاطر. والذين يشعرون بشعور ذاتي يجدون صعوبة في متابعة القيم الكونية. وبعبارة أخرى، ظروف الحياة تجعل السعي أو التعبير عن قيم مختلفة أكثر مكافأة أو أقل تكلفة، كما أن المرأة التي تعيش في مجتمع تسود فيه النمطية الشائعة بين الجنسين فهي تقدس متابعة قيم الخير ويقبل منها أيضاً تحصلها على الطاقة.

وعلى كل حال فجمهور الناس أجمعوا على أهمية القيم الإيجابية الاقتصادية والفكرية والتربوية والنفسية كما أجمعوا بشكل صريح على ضرورة القضاء على القيم السلبية لمفاسدها وأخطارها. لأن فساد القيم يؤدي إلى تخريب البيئة وتدمير الكون. فإذا التزم الناس القيم الجمالية وقيم المسؤولية ستكون البيئة بخير، وإذا فسدت التصورات واختلقت القيم السلبية بالأخلاق الفاضلة وهيمنت المادة على قيم الفكر وجماله فلا سبيل إلا أن ننتظر الكارثة... فالفساد في القيم والأخلاق الفردية هو فساد وانهايار في وضع المجتمع البشري الكامل كما قال شوقي:

"وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا"⁷

فالأخلاق والقيم تعتبر عناصر أساسية في توجيه سلوك الإنسان وتحديد ما هو الصحيح وما هو الخطأ. وهي تلعب دوراً هاماً في بناء المجتمعات والعلاقات الإنسانية، وإنه من الممكن أن تختلف الأخلاق والقيم من ثقافة إلى أخرى ولكنها تسهم في تعزيز التفاهم والتعاون بين الأفراد والأمم والمجتمعات.

القيم الإنسانية والأخلاقية النبيلة في ديوان الحماسة: وقد أورد الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في ديوانه آلافاً من الأبيات عن القيم الإنسانية والأخلاقية الفاضلة النبيلة نقلاً عن عدد من الشعراء الجاهليين والإسلاميين معاً. وكان اختيار أبي تمام للشعر في ديوانه اختياراً أبلغ من شعره، فيقول بعض النقاد القدامى: "إن أبا تمام في اختياره الحماسة كان أشعر منه في شعره"⁸.

وإن ديوانه هذا يعد أهم اختيار شعري في التاريخ الأدبي، فلا عجب أن يتوفر عليها الشراح حتى زادت شروحها على ثلاثين شرحاً، من أهمها وأشهرها شرح أحمد بن محمد المرزوقي وشرح الخطيب التبريزي. والحماسة حفظت كثيراً من شعر الشعراء المقلين والمجاهيل في تاريخ الأدب العربي. وشعر الحماسة أبرز كثيراً من القيم الإنسانية والعربية كالشجاعة والمروءة والصبر والكرم والتعفف.

الشجاعة: الشجاعة لها مكانة كبيرة في ثقافة العرب والتقاليد العربية. وتعتبر فضيلة مهمة وموضوع تقدير كبير بينهم. وتتجلى الشجاعة في القدرة على مواجهة التحديات والمخاطر بثقة واستعداد للتضحية من أجل الأهداف النبيلة. والعرب يروجون لقيم الشجاعة والجرأة في مختلف جوانب حياتهم، سواء في الحياة اليومية أو في السياقات التقليدية والتاريخية.

الشجاعة عند العرب ترتبط أيضاً بالشرف والكرامة، حيث يعتبر الشخص الشجاع شخصاً شريفاً وقوي الشخصية. وإن تظاهر الشجاعة والتصدي للتحديات يمكن أن يكسب الفرد احترام المجتمع العربي وتقديره. وتظهر هذه القيمة أيضاً في الأدب والشعر العربي، حيث يُمجّد الشجاعة ويُعبّر عنها بشكل متكرر. وبصفة عامة، تعكس الشجاعة

عند العرب مفهوماً مهماً في ثقافتهم وتعزز القيم والتقاليد العربية التي تحترم الشجاعة كوسيلة للتغلب على التحديات وتحقيق النجاح.

فمما أورد أبو تمام في ديوانه من الشعر كثير لا يحصى ومنها قول قَطْرِي بن الفجاءة مخاطباً لنفسه وكان رجلاً شجاعاً مقداماً كثير الحروب والوقائع، قوي النفس لا يهاب الموت، وفي ذلك يقول مخاطباً لنفسه:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعاً	مَنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعِي
فَأَنْتِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ	عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي
فَصَبِراً فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبِراً	فَمَا نَيْلِ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَا تَوْبُ الْبَقَاءِ بِنُوبِ عَمْرٍ	فَيُطَوَى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْبِرَاعِ
سَبِيلِ الْمَوْتِ غَايَةً كُلَّ حَيٍّ	فَدَاعِيَهُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي
وَمَنْ لَا يُعْتَبَطُ يَسَامُ وَيَهْرَمُ	وَتُسَلِمُهُ الْمُنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ
وَمَا لِلْمَرءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ	إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَنَاعِ

هذه الأبيات تشجع أجبن خلق الله، وما أعرف في هذا الباب مثلها، وما صدرت إلا عن نفس أبيّة وشهامّة عربية.

وروي أبو تمام فقال: مرّ الطرماح بمسجد البصرة وهو يخطر في مشيته - يتمايل يميناً وشمالاً فخراً وخيلاء - فقال رجل: من هذا الخطّار؟ فقال: أنا الذي أقول:

لَقَدْ زَادَنِي حُبّاً لِنَفْسِي أَنْتِي	بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ
وَأَنْتِي شَقِيٌّ بِاللَّئَامِ وَلَنْ تَرَى	شَقِيّاً بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
إِذَا مَا رَأَى قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ	وَبَيْنِي فَعَلَ الْعَارِفَ الْمُتَجَاهِلِ

ويروي أيضاً قول الشاعر المُقَنَّع الكندي محمد بن عمير وهي تدل على كثرة الجود والكرم حتى ضاق صاحبها بغلبة الديون والقروض وأصبح الناس يلومونه على سرفه للأموال، فقال:

يُعَاتِبُنِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا دُيُونِي فِي أَشْيَاءِ تُكْسِبُهُمْ حَمْدًا
أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخْلَوْا وَصَيَّعُوا تُغَوِّرُ حُقُوقَ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًّا
وَيِي جَفْنَةً لَا يُغْلَقُ البَابُ دُونَهَا مُكَلَّلَةٌ لَحْمًا مُدَقَّقَةً ثَرْدًا
وَيِي فَرَسٍ نَهَهُ عَتِيقَ جَعَلْتُهُ حَجَابًا لِبَيْتِي، ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدًا

قال المضع هذه الأبيات حينما وبخ قومه عليه على ديونه بين بأنه كان يستدين لأجل أن يغطي أوجه أداء الواجب التي أهملها قومه، فهم في بعض الأحيان يقصرون في أداء الحقوق، ولا يؤدونها على الوجه الأكمل فيضطر لإتمامها وتغطية النقص في أدائها مما يكلفه الكثير فيلجأ للدين، وأحياناً أخرى يضيعون الحقوق تماماً، ولا يؤدون منها شيئاً؛ لعدم قدرتهم على ذلك؛ فيضطر بدوره؛ لحرصه على سمعتهم وسمعة القبيلة، إلى أن يؤديها عنهم، وهذا أيضاً يثقل كاهله فيضطره للدين.

ويدل أيضاً على أن الحقوق إذا لم يؤدها صاحبها على الوجه الأكمل، أو أهملها ولم يستطع تأديتها؛ كان تضييعها والإخلال بأدائها منفذاً للمشاكل والمصاعب، ومن هنا تبدو تلك الحقوق وكأنها تماماً كالثغور التي إن أهملها أصحابها، ولم يستطيعوا تغطيتها، ومنع العدو من اختراقها، كانت منفذاً للمشاكل والمصاعب والمصائب التي يخلفها دخول العدو عبرها.

العفو والتسامح: وأورد أبو تمام أبياتاً أخرى رائعة المعاني الدالّة على قيمة العفو والتسامح من القيم الإنسانية النبيلة فقال:

قال الحارث بن وعلتة الجرّمي:
قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
فَلَيْتُ عَفْوْتُ لِأَعْفُونَ جَلالاً وَلَيْتُ سَطَوْتُ لِأَوْهِنُ عَظْمِي

وفي المعنى نفسه يقول أعرابي قتل أخوه ابناً له:
أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعزِيبَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابْتَنِي وَلَمْ تُرِدْ

كلاهما خَلَفَ مِنْ فَقْدِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي
صاحبه

وهذه الأبيات كلها تدل على العفو والصفح عن الخطائين وضلال السبيل.

الفخر والاعتزاز: وأورد أبو تمام قول بشامة بن حزن مفتخرًا بنفسه وقومه:

ولقد غضبتُ لخندف ولقيسها	لما ونى عن نصرها خذالها
دافعتُ عن أعراضها فمَنَعْتُهَا	ولدي في أمثالها أمثالها
إنِّي امرؤُ أَسْمُ القِصَائِدِ لِلْعَدَا	إنَّ القِصَائِدَ شَرُّهَا أَعْضَالُهَا
قومي بنو الحربِ العوانِ بجمعهم	والمشرفيَّةُ والقنا إشعالها
ما زال معروفًا لمرّةٍ في الوغي	علَّ القنا، وعليهم إتهالها
من عهد عادٍ كان معروفًا لنا	أسرُّ الملوك وقتلها وقتالها

وقول عبيد بن ماوية الطائي:

أَلَا حَيِّ لَيْلَى وَأَطْلَالِهَا	وَرَمَلَتَ رِيًّا وَأَجْبَالِهَا
وَأُنْعَمُ بِمَا أُرْسَلْتُ بِأَلِهَا	وَنَالَ التَّحِيَّةَ مِنْ نَالِهَا
فإِنِّي لَدُوْ مِرَّةٍ مِرَّةٍ	إِذَا رَكِبْتُ حَالَتَهُ حَالِهَا
أَقْدُمُ بِالزَّجْرِ قَبْلَ الوَعِيدِ	لِتَنْهِيَ القِبَائِلَ جُهَاَلِهَا

وما سبق كان بعض القطوف من باب واحد هو باب الحماسة: أول الأبواب وأطولها، وهي وغيرها يدل على أن أبا تمام، قد جعل من الحماسة مفهومًا يتسع للغزل واللوم، والمدح، والإخوانيات، وإن كانت الحماسة هي المنطلق الأساسي لكل هذه المعاني.

وتلج باب المراثي لتلتقي بالشاعر متمم بن نويرة، الذي ظل يبكي أخاه مالكًا طيلة حياته، وبلغ من حزنه أنه كان يبكي على أي قبر يراه، فلما لاموه على هذا الإسراف قال:

لقد لآمني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
وقال أتبكي كل قبر رأيتهُ لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك؟
فقلت له "إن الشجا يبعث الشجا فدعني فهذا كله قبر مالك

وفي باب الأدب "نلتقي بشاعرة شريفة مخضرمة هي حرقة بنت النعمان بن المنذر، وهي تتحدث عن تقلب الدنيا وعدم ثباتها على حال، فتقول:

بيننا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

وفي باب (الأضياف والمديح) نسمع حوارًا بين زوج من آل حرب وزوجته: إنها تلومه على إسرافه في كرمه، وهو يدافع عن عمله هذا شافعًا دفاعه بالأسباب والحديثات. ويقول الشاعر:

باتت تلوم، وتلحاني على خلق عودته عادة والجود تعويد
قالت أراك بما أنفقت ذا سرف فيما فعلت، فهلا فيك تضريد
قلت أتركيني أبع مالي بمكرمة يبقى ثنائي بها ما أورك العود
إنا إذا ما أتينا أمر مكرمة قالت لنا أنفس حربية عودا

الخاتمة: وفي الختام، يمكن القول إن الشعر العربي يعد مرآة للقيم الأخلاقية والأصول الإنسانية. ومن خلال القصائد التي أورد أبو تمام في ديوان الحماسة نجد الشعراء ينقلون قيمًا عميقة وأخلاقيات نبيلة تعكس جوانب متعددة من الحياة الإنسانية. وتلهم هذه الأبيات القراء للتفكير في هذه القيم وتطبيقها في حياتهم اليومية. إنه يعزز التواصل الثقافي ويساهم في الحفاظ على الهوية الثقافية العربية عبر الأجيال.

وإن ما ذكرنا هنا من الأبيات في تصوير القيم الإنسانية في ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي إنما هي مقتطف يسير من ينبوع القيم الإنسانية الذي جعله أبو تمام بملكته

الشعرية وملكته الانتخابية للشعر الجيد القوي المعاني. والذي يمعن النظر في هذا البحر العميق ليجد مزيداً من أمثال هذه القيم والأخلاق الفاضلة النبيلة.

الهوامش

¹ هو عبيد الله بن عروة بن الزبير بن العوام. شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، معاصر لثنايف بن ثابت (155هـ)، له شعر في مداعبته، وله أربع مقطعات قصار في الدعابة والحكمة.

² المحولي، أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام، تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب لبنان: المكتب الإسلامي، 1990م، ص: 34.

³ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري، البيان والتبيين، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ج 2، ص: 137.

(4) المرجع نفسه، ص: 137.

⁵ Schwartz, Shalom. (2005). Basic Human Values: An Overview

⁶ المرجع نفسه

⁷ www.aldiwan.net، شعر أحمد شوقي - وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

⁸ المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح حماسة أبي تمام، بيروت: دار الجيل، 1991م.

المراجع والمصادر

- المحولي، أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام. تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب. لبنان: المكتب الإسلامي، 1990م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري، البيان والتبيين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- Schwartz, Shalom. (2005). Basic Human Values: An Overview
- (<https://www.aldiwan.net/quote82.html>) شعر أحمد شوقي - وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت.
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح حماسة أبي تمام. بيروت: دار الجيل، 1991م.

دراسة في شعر نزهون الغرناطية

د. زرنكار*

nigar.zar@gmail.com

ملخص البحث: عندما نتصفح الشعر النسائي الأندلسي من القرون التي حكم فيها العرب، نرى أن المرأة الأندلسية كانت متحررة وبعيدة عن الالتزام بالقيود الاجتماعية التي تلتزم بها أختها المشرقية. وكانت كثرة الشواعر في الأندلس كثرة لم تفق الخيال فحسب، بل كن يمارسن التجربة الإبداعية الشعرية بحرية تامة. ومن ملامح نجاح تلك التجربة الإبداعية أن المرأة قد شاركت الشعراء في معظم فنون الشعر وأغراضه وأبوابه، وبرهنت على أنها تمتلك موهبة لا تقل عن موهبة الرجل. فتناول هذا البحث الشاعرة من القرن الخامس الهجري، التي تورد عنها مصادر الأدب الأندلسي أخبارا كثيرة. وهي الشاعرة نزهون الغرناطية التي أسهمت في جميع موضوعات الشعر العربي، و حضرت مجالس شعراء عصرها و ساجلت معهم و تجرأت على الهجاء الساخر إلى الهجاء الفاحش، و أسرعت في البديهة، و عدت مفخرة غرناطية. فتناولت هذه الورقة شعرها دراسة تحليلية.

كلمات مفتاحية: الشعر النسائي، نزهون الغرناطية، الأندلس، دراسة تحليلية.

المقدمة: المدينة غرناطة هي من أهم مدن الأندلس الإسلامية التي أنجبت الكثير من الشعراء و الشاعرات، فمن أشهرهم الشاعرة نزهون بنت القلاعي الغرناطية، وهي كانت شاعرة كبيرة من أهل القرن الخامس الهجري أو الحادي عشر الميلادي، ولولم يحدد المؤرخون تاريخ ميلادها لكن أشاروا إلى أنها عاشت عصر حمدة أو قاربت عصرها، وقيل أنها توفيت في 550 من الهجرة، فلا بد من أن تعدها شاعرة سلخت أعواماً من عمرها في القرن الخامس و قضت عدة منها في القرن السادس، أما اسمها فهو نزهون بنت القلاعي وقدنسبت إلى مدينة غرناطة فيقال لها نزهون الغرناطية، أما اسمها نزهون فكان كلمة أندلسية خالصة طابقت على طريقة الأندلسيين في التسمية على وزن فعلون، ولنا فيه أمثلة كثيرة كزيدون وعبدون ووهبون وحمدون وغير ذلك².

* الأستاذة المساعدة، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو دلهي، الهند

فنزهون الغرناطية هي كانت التي طبعت السجل التاريخي بأفكارها الأدبية النادرة و أهتمت بالشعر اهتماما بالغا حتى أصبحت بارعة في هذا المجال و عدت شاعرة كبيرة لم تكن في بلدها من يشابهها في قرض الشعر و إجادة الأمثال و النوادر، ولها مساجلات مع الشعراء ومحاورات مع الأدباء، و لها منزلة سامية في مجالسهم. وهي كانت شاعرة ذات جوانب في شخصيتها، و صاحبة الفكاهات والطرائف، و خفيفة الروح و عذبة النفس والطبع كما نقل المقرئ في نضحه عن الحجارى صاحب المسهب يذكر: "وصفها بخفة الروح والانطباع الزائد و الحلاوة و حفظ الشعر والمعرفة بضرب الأمثال مع جمال فائق وحسن رائع" ³ ومن ناحية أخرى كانت نزهون اعتبرت شاعرة ماجنة بأنها تجرأت على الهجاء الفاحش الساخر. فعدها بشيريموت من شواعر الأندلس الصادحات ⁴ وقال ابن سعيد عنها في المغرب: "شاعرة ماجنة كثيرة النوادر" ⁵. كذلك وصفتها زينب فواز تقول: "جوهرة لم يسمع بمثلها الدهر وفريدة فاقت على نساء العصر، فالأدب الانقطعة من بحرها الرائق، وما الجمال إلا من نور وجهها الشارق، لها ناد لم يؤمه إلا الأفاضل، ومجلس لم يجتمع فيه إلا كل عاقل، وكانت لطيفة المسامرة حسنة المحاضرة حافظت لأشعار العرب وأمثالها ولم يكن بغرناطة إذ ذاك أحد من أمثالها" ⁶.

وكتب أحمد خليل جمعة يصفها حين يذكر بلدها الجميل و عصرها الزاهي: "إذا فضيفة هذه الصفحات من غرناطة بلد العلماء والشعراء والأمثال والنوايغ و الأدباء، ومن حسناتها نزهون أميرة شاعراتها، و نابغة شواعرها و شاعرة نابغاتها—خلفت ورائها أدباً غصاً شهى المذاق، رقيق النغمات، ندى النضحات لطيف الهمسات" ⁷ فكلهم يعترفون مكانتها السامية بين معاصريها و يعدونها نابغة عصرها مع ميزات خاصة، ومنها أنها كانت سريعة البديهة حاضرة الجواب ⁸ و لوصفها المذكور لنا أمثلة كثيرة في نوادرها الشعرية. على سبيل المثال، نراها ترد على أبي بكر الذي كان معجباً بجمالها ومولعاً بمحاضراتها، فحينما أرسل مكتوباً إليها:

يامن له ألف خلّ من عاشق و صديق
أراك خلّيت للناسي منزلاً في الطريق ⁹

فأجابته شاعرتنا المتصفة بألطف الروح والمشاعر، بأرق الشعر و أذكاه بديهته وأخبرته بأحوال قلبها المائل إليه فتقول وتخبره بأنه الحبيب الذي قدحّل في قلبها في المكانة المتميزة المنفردة التي منعت فيها غيره للدخول فقالت تجيبه بهذه الأبيات العذبة:

حللت أبا بكر محلاً منعته سواك، وهل غير الحبيب له صدري

وإن كان لي كم من حبيب فإنما يقدم أهل الحق فضل أبي بكر¹⁰

فالبيتان في البحر الطويل واستخدمت الشاعرة فيها لونا بلاغيا عندما جاءت باسم أبي بكر في معنيين وهما أبو بكر الصديق، والثاني أبو بكر المذكور المحب لها وكانا سابقين في الحب والفضل عند حبيبهما، فالبيتان يدلان على مقدرتها في الشعر وعلى خاطرها الذكي.

وكانت لنزهون يدٌ طويلة في فن الهجاء ولنا أمثلة لشعرها الهجائي حين أجابت الأعمى المخزومي الشاعر الأندلسي الذي كان هجاء بارعاً بنفسه، وهذه حكاية طويلة ذكرت في كثير من المصادر، وموجزها هو اجتمعت الشاعرة نزهون بالشاعر المخزومي في مجلس أبي بكر بن سعيد الوزير فسخرته بالبذاءة، فقال المخزومي في غضب شديد وكلام غليظ:

على وجه نزهون من الحسن مسحة وتحت الثياب العار لو كان باديا

قواعد نزهون توارك غيرها ومن قصد البحر استقل السواقيا¹¹

فلم ترض نزهون بالخضوع والهوان وتعرضته بشعر أكثر بذاءة وأنشدت أبياتاً ثأراً لكرامتها الجريحة المهانة، وبرهنت على مقدرتها في الشعر الهجائي فقالت:

قل للوضع مقالا يتلى إلى حين يحشر

من المدور أنشئت والخرامنه أعطر

حيث البداوة أمست في أهلها تتبختر

لذلك أمسيت صباً بكل شئ مدور

خُلقت أعمى ولكن تهيم في كل اعور

جازيت شعراً بشعر فقل لي لعمرى من أشعر¹²

هكذا بدت في الأبيات المذكورة شاعرة ذات أسلوب حاد في الهجاء وقد اعترفت بنفسها بفحولتها في الهجاء في الشعر الأخير حين قالت:

إن كنت في الخلق أنثى فإن شعري مذكر¹³

ولقد وجدنا في نصح الطيب للمقرى أبياتاً غير هذه الأبيات المذكورة في الرد على المخزومي، ومن الممكن أنها ردت عليه بأبيات أخرى في مجلس آخر أو لما فرغت الشاعرة من أبياتها، لم يسكت المخزومي لأنه كان بشّار الأندلس فقد تصدى لها وصب في أسمعها بيتين أفحش بهما فقال كما جاء في بعض المصادر-¹⁴

ألا قل لنزهونة مالها تجرّ من التيه أذيالها
ولو أبصرت بشته شمّرت كما عودتني سربالها¹⁵

وقد قيل لم تصمت الشاعرة عليه وأجابته بأبيات فيها رائحة الهجاء الشديد، إلا أنها ليست مليئة ببذاءة الألفاظ، ولم تقذع فيها عليه ولم تعنف بسبب المجلس الذي فيه من فيه من الكبراء والأعيان والأشراف، فردت عليه تقول:

إن كان ماقلت حقاً من نقض عهدكريم
فصار ذكرى ذميماً يُعزى إلى كل لوم
وصرت أقبح شئى فى صورة المخزومى¹⁶

ثم تدخل أبو بكر بن سعيد بينهما وأحلف ألا يزيد أحدهما على الآخر في الهجاء كلمة، فانتتهت المهاترة هذه بعد عطاء ابن سعيد غلاماً إلى المخزومي ثمناً لذلك، لكن هذه صور شعرية توضح ما كان يجري في تلك المجالس الأدبية كما تعطينا تجلياً واضحاً لمقدرة نزهون على قرض الشعر وعلى سرعتها في المساجلة-¹⁷ قد ذكر مصطفى الشكعة أن بعد قليل لهذه المساجلة هدأت الخصومة بينهما وصارت نزهون واحدة من تلاميذ الأعمى المخزومي وأخذت تقرأ عليه لأن المصادر تنم عنها أن الكتندي¹⁸ دخل مرة على المخزومي بينما كانت نزهون تقرأ عليه شيئاً، فقال الكتندي للمخزومي، أجز:

لو كنت تبصر من تكلمه-----

فأفحم الأعمى برهته و فكر قليلاً، بيد أن فكره لم يسعفه بشئ ولم يجد جواباً، فبرّت نزهون أستاذها مجيية، وقالت:

لعدوت أحرص من خلاخله

البدر يطلع من أزرتة والغصن يمرح من غلائله-¹⁹

فهذا دليل على أنها كانت أسرع بديهة من الشاعر الشهير الأستاذ. و في البيتين افتخرت الشاعرة بنفسها لأن الكتندي كان أشار إليها، وقد شبهت نفسها بالبدر المنير في الحسن

والبهاء مع منزلتها الرفيعة بين معاصريها فأجادت في الفخر النسوي، كذلك أجادت في الوصف حين تغرّلت ووصفت فيه ليلة الأُنس والمؤدة ولقاء الحبيب، وقالت:

للهُ دَرّ الليلي ما أحيسنها وما أحيسنَ منها ليلة الأحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت عين الرقيب فلم تنظر إلى أحد

أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر بل ريم خازمة في ساعدي أسد²⁰
وهذه هي صورة دقيقة لشعرها ظهرت فيها موهبتها الأدبية بكل ألوانها واستخدمت هنا أسلوب التصغير للتحبيب حين جاءت بكلمة "أحيسن" مصغراً أحسن، فهو أسلوب ظريف دال على فصاحتها وبلاغتها وجودة شعرها-

أما لنزهون فشعرها الأكثر في غرض الهجاء، مرة سخرت من الرجل الذي خطبها وكان دميم الشكل وقبيح المنظر و قد وقع في حبّ الشاعرة وقعا إلى أن يقود إلى خطبتها، فأهانته نزهون وهجته ببشاعة أبرزت فيه معائب خلقه و شكله فقالت:

عذيري من عاشق أنوك سفيه الإشارة والمنزع
يروم الوصال بمالواتي يروم به الصفع لم يصفع
برأس فقير إلى كية ووجه فقير إلى برقع²¹

كذلك أجابت بعض الثقلاء حين رآها وأعجب بحسنها الساحر وقال لها: ما على من أكل معك خمس مائة سوط؟ فردت عليه بجواب أفحمه وأخجله تقول:

وذى شقوة لمارأني رأى له تمنيه أن يصلى معي جاحم الضرب
فقلت له: كلها هنيئاً، فإنما خلقت إلى لبس المطارف والشرب²²

يثبت كل ذلك أن نزهون كانت شاعرة بارعة وسيّدة الشواعر في مدينة غرناطة خاصة في موضوع الهجاء، وما كانت شاعرة فقط بل أنها وشّاحة أيضاً، أنشدت الموشحة في فن الغزل وإن كانت الشواعر الأندلسيات قد أسهمن قليلاً في فنّ الموشحات، ولم نجد منهن موشحة إلاموشحة نزهون، و ذلك ينم عن الملكة لدى الشاعرة في الشعر بكل الوضوح، ويجدر بنا أن نذكر هنا موشحتها الطريفة فهي:

بأبي من هذمن جسمي القوي طرفه الأحور
وسقاني ما سقى يوم النوى ويح من غرر
كلما رمت خضوعاً في الهوى تاه واستكبر
ياله من شادن صيرني رهن أشجان

لم يدع في الحور منه عوضاً	عند رضوان
مربي في ريرب من سربه	يقطف الزهرا
وهو يتلو آية من حزبه	يبتغى الأجر
بعد ما ذكرني من حبه	آية أخرى
والذي لو شاء ما ذكرني	بعد نسيار
قلّب القلب على جمر الغضا	فهو في شان
حفظ الله حبيباً نرحاً	خشية الهجر
جاءت البشري به فانشرحا	عندها صدرى
واستطار القلب من فرحا	ثم لأدرى
أمن الإنس الذي بشرني	أم من الجان
قلت لما زارني طيف الخيال	من رشا الإنس
غير أئى شمت برقاً أو مضا	حين حيّانى
مرحبا بالزائر الخلو الخلال	مخجل الشمس
والذي سواه من ماء الجمال	واحد الجنس
مابرا جسمي ولا غيرني	خوف هجرانى
إنما غير جسمي مرضا	لحظه الرانى
لم تزل تظهر فيه الكلفا	عندما عنت
غادة لورام منها النصفا	غيره ضنت
فهوى فهوها ويدي الصلفا	فلذا غنت
يتمناً ني إذا لم يرني	يتمّانى
فإذا رأني تولى معرضاً	كنّ ماراني ²³

هذه الموشحة الغزلية الرائقة التي جرت بالأسلوب الرقيق والمعنى اللطيف مع مشاعر الشاعرة لمحبوبها، وهي مستشهادة لقدرة تعبيرها في صناعة الموشحات- كانت أدبية متفوّقة، ولها نوادر أدبية أيضاً، اشتهر منها قولها الذي قالته في رجل²⁴ لبس حلة صفراء على زي الفقهاء فقالته تسخر: "إنك اليوم كبقرة بنى اسرائيل (صفراء فاقع لونها) ولكن لاتسر الناظرين"²⁵ فأضحكت من حاضر لديها

الخاتمة: كان المجتمع الأندلسي مجتمعا حارب التقاليد فوهب إمرأته حق الحرية للتعبير عن خلجاتها و مشاعرها. فنرى في الأدب الأندلسي كثيرا من الشواعر الأندلسيات صارحات بعواطفهن وأخذت زمام المبادرة كأميرة الأندلس الشاعرة ولادة بنت المستكفي و قرينتها مهجة و كذلك الأمر في نزهة و هي كانت شاعرة قديرة وأدبية بارعة رسمت الصورة في رشاقة وحسن استغلال بالمناسبة، وهي كانت على رقة شعرها صاحبة طبع مكافح، و كانت في إجاباتها جرئية تصطدم بكبار الشعراء من الحضور، ولم يكن بغرناطية مثلها في الشعر الجرئي. لكننا لم نجد أكثر من شعرها وآثارها من طرائف الأدب والموشحات، وكل ما وجدناه هو دال على أنه أقل ما قالته في الواقع، وقد ضاع معظمه مع التراث الأدبي الأندلسي-

الهوامش

¹ وكانت شاعرة أندلسية من ذوات الشهرة الواسعة و الصيت الكبير وكانت من سكان وادي الحمرة وهذا الوادي كان يُعرف بجماله الساحر و بأشاته الجميلة، وكانت الشاعرة تنتسب إلى بيت علم وأدب وكان أبوها يعرف بزيادالمؤدب، وله بنتان حمدة وزينب وكانتا شاعرتين، وحمدة أشهر من أختها، وكانت تُلقب بخنساء المغرب لجودة شعرها وأصالتها في هذا الفن، وتعرف بشاعرة الأندلس أيضا.

² راجع إلى الأدب الأندلسي، الدكتور مصطفى الشكعة الذي كتب فيه مفصلاً ص: 156.

³ المقرئ. نفع الطيب، م 4. ص: 295.

⁴ بشير يموت، شاعرات العرب. ص: 222.

⁵ ابن سعيد، المغرب. تحقيق شوقي ضيف. ص: 121.

⁶ زينب فواز. الدر المنثور. ص: 519.

⁷ أحمد خليل. نساء من الأندلس. ص: 381.

⁸ راجع إلى بغية الملتمس. أحمد الضبي. ص: 530.

⁹ نفع الطيب، م 6. ص: 295 و مختارات، نيكل 180، وفي النزهة ورد "أراك خليت للناس مدّ ذاك الطريق"، ص: 98.

¹⁰ السيوطي. نزهة الجلساء. ص: 98، وفي النفع، ص: 294 / 4 و الدر المنثور، ص: 519، "يقدم أهل الحق حب أبي بكر"

¹¹ نفع الطيب، م 4. ص: 296.

¹² لسان الدين. الإحاطة، 1/435.

- 13 المصدر نفسه.
- 14 أحمد، خليل. نساء من الأندلس. ص: 394 وفيه، أنشدي هجوها مستوحياً من قصيدة لأب العتاهية
- 15 الشعر مأخوذ من الإحاطة، 1/435.
- 16 نفع الطيب م6، ص 296، ونزهة الجلساء، ص: 44.
- 17 راجع للتفصيل إلى الإحاطة، ص: 435.
- 18 الكتندى: أبو بكر محمد بن عبد الرحمن وهو من الشعراء النبهاء لعصره من أهل غرناطة وقد رثى عثمان بن عبد المومن
- 19 راجع إلى الأدب الأندلسي لمصطفى الشكعة، ص: 163-164، ونفع الطيب، م 4، ص: 297م، مع شئ يسير من الاختلاف
- 20 نفع الطيب، م 4، ص: 298.
- 21 شاعرات العرب. ص: 224.
- 22 نفع الطيب، م4. ص: 296.
- 23 سلمى، سليمان. المرأة في الشعر الأندلسي. ص: 236-237، نقلا عن مجلة علوم إنسانية (1960م)، وفي بعض المراجع تنسب هذه الموشحة إلى ابن سهل الأندلسي.
- 24 قد ذكرت المصادر أنه كان ابن قزمان الزجال
- 25 شاعرات العرب. ص: 223، الدر المنثور. ص: 519.

المراجع والمصادر

- أر- نيكل. مختارات من الشعر الأندلسي. بيروت: دارالعلم للملأين، 1949.
- ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب (القسم الخاص بالأندلس) تحقيق شوقي ضيف. القاهرة: دارالمعارف.
- ابن الخطيب، لسان الدين. الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله، ج 1. القاهرة: دار المعارف.
- المقرى، أحمد بن محمد. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق عبد الحميد. مصر: مطبعة السعادة، 1949م.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس. بيروت: دارصادر، 1964م.
- الضبي، أحمد بن يحيى. بغية الملتمس. مجريط: مطبع روخس، 1884م.
- جمعة، أحمد خليل. نساء من الأندلس. دمشق، بيروت: اليمامة للطباعة والنشر.
- بشيريموت. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام. بيروت: المطبعة الوطنية، 1934م.
- جودت الركابي. في الأدب الأندلسي. القاهرة: دارالمعارف، 1980م.

زينب بنت علي فواز. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور. مصر: المطبعة الكبرى ببولاق، 1312 هـ.
سلمى سليمان علي. المرأة في الشعر الأندلسي، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
مصطفى الشكعة. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، بيروت: دار العلم للملايين، 1979 م.

القيم الاجتماعية والثقافية في قصص مختارة لمصطفى لطفي المنفلوطي

د. محمد عالمير الندوي*

mdalam6@gmail.com

ملخص البحث: لا شك في أن التغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية قد حدثت في جميع أنحاء العالم خاصة في آسيا وإفريقيا بسبب النهضة الحديثة التي وقعت في مصر في عام 1798 م بقيادة نابليون بونابرت، فهذه النهضة نفخت روحاً جديدة في الأدب العربي، ففي العصر الحديث برزت أشكال متنوعة من القصة والرواية والمسرحية وما إلى ذلك علاوة الشعر. ومن خلال هذه الفنون المستحدثة عالج الأدباء مجتمعهم، وكان منهم مطصفي لطفي المنفلوطي الذي نشر القيم في مجتمعه بكتابة القصص. ولذلك قد تناولنا لهذا البحث بعض قصصه المنتخبة الموضوعية له، وقمنا بتحليلها وتقييمها ثم حاولنا إبراز القيم الاجتماعية والثقافية المتواجدة فيها التي تتمثل في عواطفها المتعلقة بالخدمة الإنسانية، والارتباط الوثيق بين أفراد العائلة، والإيثار والتضحية، ومراعاة عاطفة المرأة، وإيقاظ الضمير الإنساني تجاه اضطهاد المرأة المصرية والعمل لأجل تحقيق العدالة الاجتماعية، وقيمة الحب العفيف، وللقضاء على الأمراض الاجتماعية وعدم التفاوت الطبقي وما إلى ذلك من القيم الإنسانية التي تشكل مجتمعاً مهذباً كما كان هدف الكتاب والقاصين بكتابة هذا الفن.

كلمات مفتاحية: القصص، القيم الاجتماعية والثقافية، المجتمع، مطصفي لطفي المنفلوطي.

المقدمة: شهد القرن التاسع عشر عدداً من التغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية في جميع أنحاء الكوكب الأرضي وخاصة في آسيا وإفريقيا. وكانت التحولات التي جرت في جميع أنحاء العالم أوشكت قريبة الحدوث خاصة في مصر نظراً لظهور القادة الجدد والكتّاب الذين كانوا حريصين كل الحرص على إصلاح مجتمعاتهم، فعلى سبيل المثال كان المصلح جمال الدين الأفغاني (1838م - 1897م) ومحمد عبده (1849م - 1905م) وسعد زغلول (1859م - 1927م). وكان من هؤلاء المصلحين والمفكرين في مصر مصطفى لطفي المنفلوطي (1876م -

* رئيس قسم اللغة العربية، جامعة بردوان، بنغال الغربية، الهند.

1924م) الذي تأثر بأستاذه محمد عبده. وحاول شن الحرب ضد القوى الاستعمارية بالحكمة. ولتحقيق هذا الهدف لجأ إلى الصحافة وكتابة القصص ومن خلالها تمكن من نشر الأفكار والقيم الاجتماعية والثقافية في مجتمعه.

قصص مختارة (أي الهاوية والحجاب والعقاب) لمصطفى لطفى المنفلوطي وتحليل القيم الاجتماعية والثقافية فيها

قصة الهاوية¹: أما موضوع هذا البحث فهو القيم الاجتماعية والثقافية في قصصه المختارة ونستهل حديثنا بقصة "الهاوية" التي يقدم فيها الكاتب مصطفى لطفى المنفلوطي شابا شريفا صادقه المنفلوطي ثم تركه في سفر ما عاد إليه وقد تعود هذا الشاب على شرب الخمر ولعب القمار وأسرف في هاتين العادتين السيئتين، حينما رجع هذا الشاب إلى بيته كل يوم، كانت رائحة النبيذ في فمه وكانت المصاحبة الفاسدة أدته إلى تشويه أخلاقه وإفساد عاداته حتى تعود لشرب الخمر ولعب القمار ولم يراع بزوجه وأولاده ولم يوفّرهم أقواتهم وضرورياتهم اليومية وراح يدعو رفاق الشر إلى منزله وما زالوا يشربون ويقصفون حتى ذهبت بعقولهم الخمر فاهتاجوا ورقصوا وملؤوا الجو صراخا وهتافا حتى ألجّوا على زوجته باب غرفتها وربما حدق بعضهم في وجهها أو حاول نزع خمارها أمام الزوج، فلم يقل الزوج شيئا ولم يستنكر أمرا وهي منعه من العمل الرذيل والعادة السيئة بل لم يمتنع منها حتى شرب الخمر ففقد المال كله له. وكان من الطبيعي أن يفقد الرجل ثروته وينفصل من عمله. فكان لا بدّ له أن يستدين ففعل ورهن فعجز عن الوفاء، فباع جميع ما كان يملك حتى البيت الذي يسكن فيه أهله، وكان أهله يصابون بالجوع ولم يزل هذا الشأن حتى حدثت منذ بضعة شهور الحادثة الآتية وعجزت تلك الزوجة المسكينة ولم تجد سبيلا إلى القوت ورأت أولادها وابنتها باكين بين يديها من شدة الجوع. هذا في جانب، وفي جانب آخر هي كانت امرأة شريفة لم تغدر بزوجه المنكوب بل كانت تنظر إليه وإلى أطفالها الصغار نظرة الأم الحنون فعطفت عليه ثم بدأت معاناة أسرته بحالتهم السيئة وتدهورت حالته ولم يسمع لأحد نصحا ولم يصغ إلى الإرشادات السديدة.

وما زالت الزوجة الشريفة تكابد من آلام الحمل حتى مرضت مرضا شديدا فلم تجد طبيبا يقوم بعلاجها، فما زال الموت يدنو منها رويدا رويدا حتى أدركتها رحمة الله، فوافها أجلها في ساعة لا يوجد عندها غير طفلتها الصغيرة. في هذه الحالة دخل الرجل نائرا مهتاجا يطلب منها الشراب ويفتش عن زوجته لتأتي له منه بما يريد، فجأة رآها

ممتدة على حصرها فوجدها ميتاً. في النهاية هو أصبح أحد المرضى في مستشفى المجانين، هذه هي حياته الشقية بعد الحياة السعيدة بسبب الارتكاب بالأعمال السيئة غير الأخلاقية.

القيم الاجتماعية والثقافية فيها: في هذه القصة نجد الزوج الذي أسرف في حياة الملذات وشرب الخمر ولعب القمار وتقوده هذه الحياة إلى التهلكة وتدفع بزوجه وطفله الوليدة إلى اللحد فيصاب بلوثة أدته إلى مستشفى الأمراض النفسية والعصبية. برغم ذلك وقفت الزوجة الحبلى بجانبه وكانت معه كالأم الحنون. هذا يدل على قيم المرأة الأخلاقية على وفائها بعقد الزواج معه ولم تترك زوجها ولم تخنه بل إنها كانت معه حتى آخر موعد وفاتها. هذه أيضاً تشير إلى حب زوجها حبا جما ومعاملتها معه حسن السلوك وقضيتها الحيوية. ومن هنا يدعو المنفلوطي إلى سمو العلاقة بين الرجل والمرأة في الحياة العائلية.

والمنفلوطي بذلك ينشد مكارم الأخلاق في أسمى ما تكون رفعة وترفعاً، هذا في جانب أخلاقي من أدبه يوجه به قطاعاً من أهم قطاعات المجتمع وهو الأسرة بل وإنها أهم شيء في المجتمع.

يركز المنفلوطي على أمر بالغ الخطورة وهو احترام الرجل للمرأة واحترام وجودها ورغباتها وملكاتهما. ويريد المنفلوطي من خلال هذه القصة أن يشير إلى القيم الاجتماعية من حرمة شرب الخمر ولعب القمار اللذين عارضتهما الشريعة الإسلامية. لم يكتف المنفلوطي بهذا فحسب وإنه يشير إلى نتائجهما الدينية والدنيوية. فأما الدنيوية فهو فقدان المال كله الذي أداه إلى الدرك الأسفل من المجتمع حيث لا تكون له أهيمته ولا منزلته فيه. كما قد أشار إليه المنفلوطي:

"وما هي إلا أعوام قلائل حتى أنفق جميع ما كان في يده من المال فكان لا بد له أن يستدين ففعل فأثقله الدين فرهن فعجز عن الوفاء فباع جميع ما يملك حتى هذا البيت الذي يسكنه ولم يبق في يده غير راتبه الشهري القليل بل لم يبق في يده شيء حتى راتبه لأنه لا يملك إلا ساعة من نهار ثم هو بعد ذلك ملك للدائنين أو غنيمته للمقامرين"².

وأما النتائج الدينية فهو تجاوز حد الشريعة الإسلامية لأن شرب الخمر ولعب القمار حرامان فيها والقمار يدفع المقامر إلى الأخلاق الفاسدة كشرب الخمر وتناول المخدرات. وفي هذا الصدد استدل المنفلوطي بأي من القرآن الكريم:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟"3. واستدل المنفلوطي بذكر آية من القرآن الكريم في هذه القصة، لأنه يريد أن يوجه التنبيهات ضد هذين العاملين الفاسدين والابتعاد عنهما، وإنما الشيطان يحاول أن يزيّن الآثام للإنسان لكي يلقي فيه ما يوجد من العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر ولعب الميسر، ويصرفه عن ذكر الله وعن الصلاة بفقد العقل في حال شرب الخمر.

أما في العصر الراهن فتوجد هاتان العادتان أي شرب الخمر ولعب القمار في المجتمع الإسلامي، كأن المنفلوطي يعالج مجتمعه من خلال صياغة هذه القصة ونتائجها السلبية المتأثرة في حياة الإنسان.

وكذلك لقد حدّر المنفلوطي من اختيار سوء الصحبة وأشار إلى أهمية المصاحبة والمجالسة في المجتمع، ولها دور كبير في تربية الحياة الإنسانية ومن الممكن أن تزيّن المصاحبة الصالحة الحياة بالسعادة والرفاهية بينما تشوه المصاحبة السيئة حياة الناس وتحولها إلى حياة فاسدة تعيسة متهاككة. ولها من تأثير كبير على الإنسان.

ويقول العلامة ابن خلدون - رحمه الله -: الإنسان مدني بالطبع فالاجتماع الإنساني ضروري⁴.

والقرآن الكريم يحذر من الصحبة السيئة ومن ترك الصحبة الصالحة فيقول سبحانه وتعالى:

"وَلَا تُعَدِّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا"⁵.

ومما سبق هنا تبدو لنا بعض القيم الاجتماعية والثقافية المتواجدة في هذه القصة. ومن الممكن أراد المنفلوطي أن يعالج مجتمعه من خلال هذه القصة كما جعلها وسيلة لنشر هذه القيم بين الناس.

الحجاب⁶: تدور قصة "الحجاب" حول صديق شاب للمنفلوطي سافر إلى أوروبا للحصول على التعليم وكان حسن الخلق وعالي النفس ما لم تطأ مواطن الفساد ثم رجع متمرداً على الحجاب بعد أن يقضي. بضع سنين وكان متأثراً بالثقافة الغربية، تأثراً عميقاً وأراد نشر فكره الفاسد في مجتمعه كله وبدأ بزوجه وأصر عليها في

التخلي عن الحجاب وشجعها على السفور، وكانت ترفض التخلص من الحجاب الذي كان في رأيه من أسباب تعاسة الأمة، لكن المرأة اختلفت معه في رأيه ومازال الرجل يلح على زوجته في طلب التخلص من الحجاب فاتخذت السفور بضغوط زوجها حتى انتهى أمرها إلى العمل السيء حيث وقعت في الزنا مع صديق له. هذا الأمر أزعجه وأرهبه ثم أصيب بالأحزان والحمى ثم مات مقهوراً وكان أول من تحمّل عاقبة أمره.

القيم الاجتماعية والثقافية في قصة الحجاب: تناقش هذه القصة موضوع حجاب المرأة المسلمة من منظور الإسلام، وي طرح فيه الكاتب رأيه الذي يعد مقارنة بدائية بين المجتمع العربي والمجتمع الغربي ويسوق ذلك من خلال المحاوره بينه وبين صديقه الذي رجع من الغرب بعد الحصول على التعليم العالي والمعرفة بالثقافة الغربية فعارض فكرة الحجاب.

ثم ما يلبث أن يغير رأيه عندما يبين له بأن الحجاب هو مظهر من مظاهر العفة والإيمان والطاعة لله سبحانه وتعالى. وفي الكتاب يسجل الكاتب رأيه ويقول: "فما هذا الروع بقصة المرأة والنطق بحديثها والقيام والقعود بأمرها وأمر حجابها وسفورها وحريتها وأسرها"⁷.

ويرى أن من يعارض على (الحجاب) أن يقوم بواجبه للأمة أولاً قبل أن يهتم بوضع المرأة وحجابها. ويعني به أنه أشار إلى تهذيب الرجال قبل أن يهتم بتهذيب النساء لأن النساء في هذه القصة كانت تصر على حجابها حينما كان زوجها يعارضها في حجابها وحثها على السفور. فأداها هذا السفور إلى العمل السيء. ولذلك أراد المنفلوطي على تهذيب الرجال أولاً قبل النساء. لأن النساء هادئات في بيوتهن وراضيات بأنفسهن. كما قد أشار إليه المنفلوطي: "وأن المرأة عاشت دهرها هادئة مطمئنة في بيتها راضية عن نفسها وعن عيشها ترى السعادة في واجب تؤديه لنفسها أو وقفة تقفها بين يدي ربها أو عطفة تعطفها على ولدها"⁸.

لا ريب في أن هذه القصة حافلة بالقيم الاجتماعية والمواقف الإنسانية الجليّة كمحاولة الحفاظ على الشرف والدعوة إلى الفضيلة والتمسك بأهداب الدين والشريعة. و"الحجاب" قصة تحتاج كل امرأة مسلمة إلى قراءتها. وكان بطل هذه المواقف والداعي إليها في القصة من أولها إلى آخرها هو المنفلوطي كما رأينا.

أول القيم تتجلى في محاولة المنفلوطي للاحتفاظ بالصدقة رغم معرفته بتغير أفكاره وتصرفاته بعد عودته من أوروبا وظنه أن ما يسمعه عنه ما هو إلا سحابة طارئة لا بد أن تنقشع بعد حين⁹.

وأهم هذه القيم الحوار الذي دار بينه وبين صديقه عندما جاءه عازماً على كشف حجاب زوجته ورغبته في طلاقها إن لم تدع لـرغبته حيث يظهر في هذا الحوار مدى رغبة المنفلوطي الأكيدة في الحفاظ على الشرف والكرامة وصيانة العرض بشتى الوسائل، ويظهر ذلك من انفعال المنفلوطي الشديد أمام صديقه وطول حديثه معه محاولاً إقناعه وإزالة تلك الفكرة الهدامة الباطلة من رأسه كما يقول لصديقه:

"أبواب الفخر أمامكم كثيرة، فاطرقوا أيها شئتم ودعوا هذا الباب موصداً، فإنكم أن فتحتموه، فتحتم على أنفسكم ويلا عظيماً وشقاء طويلاً. أروني رجلاً واحداً منكم يستطيع أن يزعم في نفسه أنه يمتلك هواه بين يدي امرأة يرضاها، فأصدق أن امرأة تستطيع أن تملك هواها بين يدي رجل ترضاه. إنكم تكلفون المرأة ما تعلمون أنكم تعجزون عنه"¹⁰.

وأضاف قائلاً: "ما شكت المرأة إليكم ظلماً، ولا تقدمت إليكم في أن تحلوا قيدها وتطلقوها من أسرها، فما دخولكم بينها وبين نفسها؟ وما تمضغكم ليلكم ونهاركم بقصصها وأحاديثها؟"¹¹.

وهكذا يمضي المنفلوطي في دفاعه عن المرأة المحتشمة بكل ما أوتي من وسائل التأثير وما ذاك الانفعال منه إلى جانب المرأة إلا من القيم الاجتماعية التي تدعو إلى الحفاظ على الشرف والفضيلة أينما حلت، والحفاظ على سمعة المرأة وحشمتها وإبعاد كل ما يشينها عن طريقها قيم إنسانية نبيلة بل هو لب النبل والشرف وهو شيء في دم المنفلوطي وخلقه كما ننظر إلى قوله لأمثال هؤلاء الشباب الذين يطالبون بكشف الحجاب عن المرأة:

"إننا نضرع إليكم باسم الشرف الوطني والحرمة الدينية أن تتركوا تلك البقية الباقية من نساء الأمة مطمئنات في بيوتهن، ولا تزعجهن بأحلامكم وآمالكم كما أزعجتم من قبلهن"¹².

نعم إن حديث المنفلوطي السابق لصديقه الذي يوجهه إلى الشباب وأمثاله إنما ينم عن نفس شرقية شريفة تدعو إلى الخير والحفاظ على الشرف وكرامته.

ثم ماذا نرى من القيم الثقافية الشريفة الصادرة عن المنفلوطي في هذه القصة؟ ويقول له بعد عزمه على رأيه: "لك أمرك في نفسك وفي أهلك فاصنع بهما ما تشاء، وأذن لي أن أقول لك إنني أستطيع أن أختلف إلى بيتك بعد اليوم إبقاء عليك وعلى نفسي. لأنني أعلم أن الساعة التي ينفرج لي فيها جانب ستر من أستار بيتك عن وجه امرأة من أهلك تقتلني حياءً وخجلاً" ¹³.

قصة الحجاب هي كرامة المرأة وعزها ولكن هناك عبارات وأفكار لم تروق لنا حتى إننا نشعر بأن الكاتب لا يهتم بمعناها فعندما يقول: "فأردتم من المرأة المصرية الضعيفة الساذجة أن تبرز للرجال بروزها" ¹⁴.

كأن ليس لها فكر أو رأي وبالعكس المرأة الغربية ذات فكر وعلم وتزيد على ذلك حجابها فلا يحجبها عن شيء أبداً وقد قارن بين المسيحي والمسلم وبين المرأة الغربية والمرأة الشرقية كما أن البيئة تلعب دوراً هاماً في قصة الحجاب.

أي نبل هو أعظم من هذا وأي طهر هو أحسن من طهر الإيمان؟ فحياء المنفلوطي من لقاء زوجة صديقه غير المحجبة هو دليل إيمانه الذي لا مرأى فيه فالحياء من الإيمان.

ولم يكتف بهذه القصة فحسب إنه كتب مقالا حول العنوان "احترام المرأة" ¹⁵ وقد تم نشرها في "النظرات". وعالج فيه قضية إنسانية فاضلة وهي ضرورة النظر إلى المرأة على أساس أنها إنسان متكامل له حقوقه واحتياجاته كالرجل تماما مع عدم إنكاره لقوامة الرجل عليها ولكنه يؤكد أن المرأة عضو فعال في بناء المجتمع وفي سعاده فيقول: "نعم الرجال قوامون على النساء كما يقول الله تعالى في كتابه الكريم ولكن المرأة عماد الرجل وملاك أمه وسر حياته من صرته الوضع إلى أن يقول: "وجملة القول إن الحياة مسرات وأحزان أما مسراتها فنحن مدينون بها للمرأة لأنها مصدرها وينبوعها الذي تتدفق منه وأما أحزانها فالمرأة هي التي تتولى بتحويلها إلى مسرات وتروحها عن نفوس أصحابها على الأقل فكأننا مدينون للمرأة بحياتنا كلها" ¹⁶.

وتبدو لنا نظرة المنفلوطي الإنسانية إلى المرأة التي للإسلام فضل كبير في تكوينها عند قوله عنها: "قد تحنو عليها وتحميها ولكنها فخمة السيد بالعبء لا راحة الصديق بالصديق وقد تصفها بالعفّة والطهارة.... إلى أن يقول: "معنى ذلك عندنا أنها عفة الخدر والخباء لا عفة النفس والضمير" ¹⁷.

ومن هنا قد أشار المنفلوطي إلى المساواة في الحقوق بين كل من الرجل والمرأة وإنما هي أثر من آثار الدين الإسلامي حيث يقول الله تعالى في كتابه المجيد: "ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة" ¹⁸. أكد المنفلوطي على المساواة وفي الوقت نفسه لا يطالب بالتبرج والسفور والخروج إلى مجتمعات الرجال وأنديتهم بل جَلَّ ما يريده هو حسن معاملة المرأة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "خياركم خياركم لنسائكم" ¹⁹. تلك هي دعوة كريمة للمنفلوطي من دفاعه عن الدين ودعوته إلى التمسك بأهدابه مهما كلف ذلك صاحبه من مشقة وعناء.

العقاب: قصة قصيرة وضعها المنفلوطي في كتابه "العبرات". وهذه القصة تدور حول ثلاث شخصيات، كان عقابهم القتل ظلما وعدوانا واهتزت نفس المنفلوطي حزنا عليهم ورتاء لحالهم فيبدو ذلك التأثير على أسلوبه. والقصة من غير شك - من بناء أفكار الكاتب وضعها على فكرة قصة أمريكية بعنوان آخر أي "صراخ القبور" ²⁰.

إذ يحكي القاص فيما يرى أنه يسير في طريق المدينة التي يكون فيها أجناس من البشر. ينطقون بلغات مختلفة وكأن الدنيا جمعت في تلك المدينة وبينما هو يسير في تلك المدينة إذ رأى عددا كبيرا من الناس في عدالة الملك فدخلها فنظر الأمير جالسا في وسط القاعة وعن يمينه كاهن وعن يساره قاض. وطلب الأمير إحضار المجرمين بين يدي ازدحام كبير ويطل كل من باب السجن وإذا كان هناك شيخ هرم لضعفه وسوء صحته ويقف بين يدي السلطان العظيم في العدالة، ولم يكن له جريمة فيعاقب عليها إلا لأنه سرق كيسا صغيرا من الدقيق من بين الأكياس المخزونة في بيت المال للفقراء والمساكين. فكان عقابه القتل وإنما أمر الأمير بقطع يمينه ثم يسره ثم ببقية أطرافه فنُفذ فيه الحكم وأخيرا تقطع جثته في أجزاء للطيور والوحوش.

وجيء بصاحب الجريمة الثانية وكان في عنفوان شبابه وكانت جريمته هي قتله لأحد قواد الأسير الذين كانوا يجمعون الضرائب من قريته، فحكم عليه بالصلب على أعواد شجرة ثم تقطع عروقه كلها حتى لا يبقى في جسمه قطرة من الدم، فنُفذ الحكم في المجرم بعد شهادة الشهود عليه وهم أعوان خصمه وشركائه.

أما الجريمة الثالثة فكانت أكثر الجرائم ظلماً لأنها كانت صادرة عن فتاة زانية وحكم عليها بالرجم عارية لأن أحد أقربائها أي عمها وجدها مختبئة في دار رجل مغرم بها فقد تم تنفيذ الحكم في المجرمة بعد شهادة عمها عليها.

وهكذا قصّ علينا المنفلوطي قصة هؤلاء المجرمين الثلاثة في - نظر ظالمهم - ثم بات يفكر في قضاياهم تلك واستبعد إجرامهم كل البعد لأنه لم يستمع إلى دفاع المجرم عن نفسه وإنما حكم عليه إثر حديث المدعي عليه بدون إعطاء الفرصة للمجرمين للدفاع عن أنفسهم.

ثم يستمر المنفلوطي في تتبع القضية كما تدفعه نفسه النبيلة إلى المكان الذي حمل إليه القتلى وأشلائهم ويقف على جثة الشيخ الهرم وكاد الدمع يسيل فإذا يرى امرأة عجوزاً في ثياب بالية تجلس أمام تلك الجثة وتجمع أجزاءها وتضمّ بعضها إلى بعض بينما تفيض عيناها دمعاً ويندب قلبها ندباً ثم تقول مودعةً صاحبها: "في سبيل الله ما لقيت في سبيلي وسبيل أحفادك البؤساء أيها الشهيد المظلوم، وفي ذمة الله وكتفه روح طارت عن جسدك وجسد ضمه قبرك فقد كنت خير الناس زوجاً وأباً وأطهرهم لساناً ويدا وأشرفهم قلباً ونفساً" الخ²¹.

ولم يكتف الأديب بما سمعه من المرأة بل حاول أن يتفحص عن الحقيقة ويسأل المرأة عن أمرها فإذا به يعلم أن هذا الرجل كان جَدًّا لخمسة أحفاد صغار أكبرهم في سن العاشرة، وقد توفّي والدهم وهو في ريعان شبابه ثم تركهم تحت رعاية هذا الجد العجوز، فلما بلغ إلى كبر سنه ولم يقدر على العمل وأصبحت الأسرة في حالة متدهورة، لا مال ولا معيل، فلم تجد المرأة تعاوناً من الناس ولم يرحم عليها أحد في الطريق، فكانت تعود خلوة اليدين كما توقفت الرحمة من قلوب الناس. ولم يعطوها ولو رغيفاً تسد به جوعاً الأطفال البائسين، ولكن الجد الرحيم ما استطاع الصبر أمام الأطفال الذين كانوا يصرخون بالجوع، وزوجة يقطر وجهها حزناً وألماً لذلك العويل والصراخ. إلى متى هو يصبر إلا اتجه إلى دير المدينة الذي كان مملوءاً بمال الصدقات. ومن المفروض أن يوزعها الكاهن فيما بين المحتاجين إليه من الناس فأتى الشيخ إلى الدير وشكا للكاهن مصابه، فلم يصغ إليه بل نهره وشتمه، ثم خرج الرجل العجوز حزينا مكلوما لا يلوي على شيء حوله ولا يخطر بباله إلا شيء واحد فراودته نفسه أن يأخذه ولكنه حارب هذه الرغبة فيها حتى اقترب من الدقيق فأخذ كيساً من الدقيق من بيت المال، فلم يجد بداً من حمل الكيس والهروب به ولكن كان حمله ثقيلاً عليه وشعر

بأن روحه تخرج من بين أضلاعه حتى ألقاه أرضاً وسقط بجانبه فرآه كاهن الدير في الوقت الذي سمع فيه حراس الدير يصرخون: الدقيق، الدقيق فعلموا الأمر وقبض على الشيخ متلبساً بجريمته التي اضطرتة إليها الحاجة والفقر. أما الشاب فكانت تهمته هي أنه قتل رجلاً من أتباع الأمير الذين كانوا يجمعون الضرائب في البلدة التي يسكنها هذا الشاب – رأى ذلك الرجل أخت الشاب التي كانت تبدو بهاء وحسناً فأعجب بها وطمع فيها ولكنه لم يُظهر ذلك وطالب الشاب بدفع الضرائب لكنه لم يستطع دفعها في تلك الأيام وطلب منه أن يمهلته حتى يبيع غلته ويعطيه المال المطلوب، ولم يتفق هذا الرجل على إعطاء مزيد من الوقت وطالبه بالدفع فوراً أو تكون أخته رهينة عنده حتى يسد ما عليه من ضرائب فرفض الشاب ذلك لما سمعه عن أولئك النساء الرهينات من فساد أحوالهن بعد خروجهن من عند الأمير ولم يكن أمامه إلا نفسه للرهن فعرض نفسه رهينة بدلاً من أخته ولكن المسؤول عن هذه الضرائب رفض ذلك العرض واشترط أن يكون هو صاحب الرأي في نوع الرهينة لا غيره ويجب أن تكون الفتاة الحسنة هي رهينته وألا تكون حياة أخيها فداء لها فغضب الشاب لشرفه ورأى أن فقد نفسه خير من فقد شرفه فحمل سيفه على الرجل وقتله صيانة لعرضه وشرفه ثم أخذ مغلولاً إلى حيث نُفذ فيه الحكم الظالم دون أن يسأل عن سبب ذلك.

أما إصدار رجم الفتاة فكان ظلماً أنها أحبت شاباً وسيماً بعد خطبها من والدها الذي وافق سروراً وسعيداً بذلك، ثم وافت المنية أباهاً فجأة، فتأخر الاحتفال بالزواج بموت أبيها لمدة عام كامل حتى إذا انقضى العام فذهبت الفتاة إلى قاضي مدينتها في أمر ميراثها. فلما رآها القاضي، أعجب بحسنها وجمالها ثم أرسل إلى عمها الذي كان راعياً لأمرها بعد وفاة والدها وأظهر القاضي رغبته في الزواج بها وطمعه أيضاً بالهدايا والمال ثم خطبها منه. ولما كان ذلك العم قد ملأ نفسه بحرص المال فاستطار فرحاً لهذه الفرصة لأنها بشرى سعيدة للحصول على المال الكثير في مستقبل حياته فأجبرها العم على الموافقة وحدد موعد الزواج، ولكن الفتاة الحسنة قد رفضت ذلك لأنها لا تستطيع أن تترك خطيبها الأول، فما جاء ذلك اليوم حتى هربت الفتاة إلى حيث ما لم تعلم أين اللجوء لها فلما علم عمها عن فرارها فأخبر عنها القاضي الذي خطبها فأرسل الحراس وراءها في جميع أنحاء البلاد. وهي كانت تفر مختبئة وناجية من الشرط.

إلى حيث لا تجد طريقاً للنجاة فلقيت فيها خطيبها الأول وهو عائد إلى منزله فقصّت الفتاة عليه قصتها لكي يحميها من ظلم هؤلاء.

وهنا لم يجد الشاب بداً من إخفائها إلا في إحدى غرف منزله، فعثرت عليها الحراس ثم وصلوا إلى بيته، وأنكر وجودها عندما سئل عنها، ففتشوا المنزل حتى وجدوها فألقوا القبض عليها اتهاماً بالزنا وكان عمها مع هؤلاء الحراس صرخ بأعلى صوته: اقبضوا على الزانية فحُمِلت إلى حيث نَفَذَ الحكم فيها ظلماً.

هذه هي قصة ثلاثة مجرمين - في نظر عدالة ظالمه - كتبها لنا المنفلوطي وهو تناول فيها العدالة الاجتماعية كما أبرز صورة الحق بالباطل وصورة الباطل بالحق في المجتمع الإنساني، فتحدث الكاتب عن ألم وحزن لهذا الظلم السائد بين البشر. بل وفي الطبقة الحاكمة التي كان ينبغي أن تكون مثالا للعدل بين أفراد المجتمع.

القيم الاجتماعية والثقافية: من خلال هذه القصة تبدو لنا القيم الاجتماعية والثقافية المتواجدة فيها ويظهر موقف المنفلوطي نفسه - كاتب هذه القصة - من القيم الاجتماعية إذ رأى في منامه أنه وقف إلى جانب هذه الجثث الثلاثة مغشياً عليه للخوف ممّا رأى امرأة عجوزاً تقترب من جثة الشيخ وهي تبكي وتحزن، فلم يستطع أن يصبر بل ذهب نحوها وأخذ يسألها عن حالتها التي حاولت أن تخفى الأمر عنه لخوفها من المسؤولين وحاول مستمراً للاطلاع على ما حدث لكي يخفف الهموم والغموم عنها ثم هكذا جرت هذه المفاوضات بين الكاتب والمرأة الحزينة:

"لا تراعي يا سيدتي فإنني رجل غريب عن هذا البلد لا أعرف من شأنه ولا من شأن أهله شيئاً وقد رأيت الساعة موقفك على هذا القبر وتفجعك على ساكنه، فرثيت لك وبكيت لكائك، وتمنيت لو أفضيت إليّ بذات نفسك عليّ أستطيع أن أكون لك عوناً على همك" 22.

في الحقيقة إن مؤاساة الكاتب المرأة الفاقدة لأهلها ومقاساته حزنها وألمها فيما بينهما تدل على أهمية القيم الاجتماعية، فهذا الدافع إليه ما تحمله نفس المنفلوطي كان من عواطف نبيلة سامية تؤدي إلى نشر الخير في المجتمع الإنساني دائماً.

في الوقت الراهن لا يراعي أحد عن جاره وفقدت هذه القيمة الاجتماعية من مجتمعنا خاصة في الحضريّة.

ومن المعلوم أن من أهم ما عني به الإسلام حق الجوار ورعاية حرمان الجار حرصاً على سلامة النسيج الاجتماعي وحماية له من الضعف والوهن ليكون المجتمع المسلم كما أراده - صلى الله عليه وسلم - كالجسد الواحد فمن حق الجار على جاره أن يكون له في الشدائد عوناً وفي الرخاء أخصاً، يحزن لحزنه، ويفرح لفرحه، وينفس عنه كرباته، ويقضي له حاجاته ويهنئه إذا أصابه خير، ويدفع عنه الأذى والمكروه.

الأمر بحسن التعامل مع الجيران وإكرامهم وحفظهم مهم جداً لتكوين مجتمع مترابط متحاب يعي في الإنسان مع الألفة والمحبة حيث يعمل على توفير أسباب السعادة وتجنب أسباب الشقاء. فهذه هي التي يتكامل بها المجتمع الإنساني. ومن خلال هذه القصة قصد المنفلوطي إلى أهمية الجار ورعايته بعضه لبعض كما ورد في الحديث الشريف: عن أبي شريح الخزازي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره"²³.

ومن هنا يتجلى لنا تعاطف المنفلوطي مع المظلومين، وهذا يدفعه إلى تسليمة المرأة العجوز ثم أبرز الكاتب صورة العدالة الفاسدة ثم الحكم الظلم الذي تم إصداره بشأن ذلك الشيخ الهرم.

وحاول الكاتب أن يتناول مثل الحكم الظالم المذكور آنفاً في شأن الشاب الذي قتل فداء لشرفه وصيانته عرضه إذ رأى الأديب أخت ذلك الشاب مختبئة باكية على قبره فسألها عن أمره فأخبرته عن قصته مع مبعوث الأمير وسمع منها وواساها الكاتب ثم ساعدها في مواراة جثة أخيها بالتراب. كما أشار إلي نفس الشيء قائلاً: "فقمتم إلى الشجرة فاحتضرت حول ساقها حفرةً بجانب حفرة الشيخ فواريته فيها"²⁴.

وأتى المنفلوطي بمثال آخر من الحكم الظالم الذي تم إصداره في شأن تلك جثة الفتاة العارية - التي قُتلت رجماً - فحرك ذلك المنظر مشاعره الطيبة فأخذ يحدث لنفسه بقوله: "إنني لا أدخر لنفسي عملاً أرجو فيه رحمة الله وإحسانه يوم جزائه أفضل من مواراة هذه المسكينة بالتراب"²⁵.

ولم يكتف المنفلوطي بما قصه بل أعلن صراحة عن تأثره بهذه المصائب التي رآها وذلك الظلم الذي كان سبباً فيها فقال: "ليت شعري ألا يوجد في هذه الدنيا عادل ولا راحم فإن خلت منها رقعة الأرض فهل خلت منها ساحة السماء؟ ... إلى أن يقول: أجرم الزعيم الديني لأنه ظن على ذلك الشيخ المسكين بدرهم من مال يسدّ به جوعته وجوع

أهل بيته فاضطر الرجل إلى ارتكاب جريمة السرقة فعوقب السارق على سرقة، ولم يعاقب القاضي على قسوته ولو لا قسوة القاضي ما كانت سرقة السارق²⁶.

ومن المعتقد أن المنفلوطي قصد بهذه القصة إلى توجيه الحكام والقادة إلى إصدار العدل والإنصاف، فعليهم أن يعاملوا مع الجميع بالمساواة والإحسان والحق، ولا يظلموا أحدا ولا يفرقوا بين الأغنياء والفقراء وبين الأقوياء والضعفاء. فهذه هي عين القيم الاجتماعية التي تناولها الكاتب.

كما أجرم الأمير لأنه أرسل قائده لاختطاف فتاة حرة اضطر أخوها إلى الذود عنها فارتكب جريمة القتل فعوقب الفتى على جريمته وخلص الأمير من العقوبة من دفعه إلى الإجمام. وأجرم القاضي لأنه أجبر الفتاة للزواج منه ففرت من وجهه فعاقبها على فرارها ولم يعاقبوا القاضي على ظلمه واستبداده.

"وهكذا أصبح المجرم بريئا والبريء مجرما بل أصبح المجرم قاضي البريء وصاحب الحق في معاقبته"²⁷. ومن هنا تتبلور قضايا الظلم التي رآها أو سمعها أو حتى تخيلها فدونها في شكل القصة المعنونة بـ "العقاب". لا شك أن هذه القصة تحمل في طياتها روحا إنسانية عالية تتجلى في صفحتها القيم الاجتماعية والثقافية وهذا ما سعينا إثباته في هذه القصة القصيرة ولا ننكر هذه الحقيقة في مجتمعنا.

الخاتمة: ومن خلال أعماله كلها أبرزنا القيم الاجتماعية والثقافية المنعكسة من أحوال وظروف المجتمع المصري ثم اخترنا قصص "الهاوية" و"الحجاب" و"العقاب" للمنفلوطي لتحليل القيم الاجتماعية والثقافية المتواجدة فيها وبهذا المنطلق أردنا كشف الغطاء عن القيم في طيات القصص المذكورة على وجه مباشر. لا شك في أن الأديب المنفلوطي خلف مآثر أدبية فائقة ونماذج رائعة قيمة في الأدب العربي. ونشر القيم الاجتماعية والثقافية في مجتمعه الذي عاش في حضنها.

- هو أبرز أهمية القيم في حياة الأفراد والمجتمعات وألقى الضوء على أن هذه القيم من أهم ركائز ثقافة المجتمع.
- قام المنفلوطي بإثبات أن القيم الإسلامية تتميز بخصائص لا توجد في غيرها من القيم ويرجع هذا الوصف إلى مصادرها المطهرة أي القرآن الكريم والسنة النبوية.

- وقد أكد أن المجتمع ينبغي له أن يمحس القيم ويختار ما هي إيجابية صالحة ويعمل عليها ويترك ما هي سلبية ويبتعد عنها وفي عدا هذه القيم بعض القيم الجاهلية والتقاليد الغربية.
 - وطالب من حاملي لواء الثقافة والمعرفة بنشر قيم الخير والسلام بين أفراد المجتمع ليرتقي المجتمع بأفراده.
 - وأهم القيم الاجتماعية والثقافية المتواجدة في قصص المنفلوطي تتمثل في عواطفها المتعلقة بالخدمة الإنسانية، والارتباط الوثيق بين أفراد العائلة، والإيثار والتضحية، ومراعاة عاطفة المرأة، وإيقاظ الضمير الإنساني تجاه اضطهاد المرأة المصرية، والبحث عن الحلول عن المآزق بدلاً من ترك المرأة نفسها فريسة للوقت.
 - والتوجيه بالصرخات في وجه الظلم الاجتماعي، والعمل لأجل تحقيق العدالة الاجتماعية، وقيمة الحب العفيف، وللقضاء على الأمراض الاجتماعية وعدم التفاوت الطبقي
 - التحريض على الصداقة الإنسانية ومساعدة الفقراء والمصابين بالحوادث والنوازل، وما إلى ذلك من القيم الاجتماعية والثقافية التي تشكل مجتمعا مثاليا يبقى فيه الأمن والسلام والنجاح للجميع.
 - وأفكار المنفلوطي هذه من ناحية الدين تدل دلالة واضحة على تأثر الأديب بما حفظ من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الطاهرة واستدلاله بها في سرد القصة، فما القيم الاجتماعية والثقافية في أدبه إلا ثمرة ذلك الدين الحنيف وفيض ثقافته المعطاء.
- فهذه هي بعض ملامح القيم الاجتماعية والثقافية التي توجد في هذه القصص المذكورة في هذا البحث والتي تعكس المجتمع المصري خاصة والمجتمع العالمي عامة في معاصر الكاتب حتى في العصر الراهن، فعلينا أن نقدّرها ونزينها في حياتنا. والله ولي التوفيق.

الهوامش

- ¹ منفلوطي، مصطفى لطفى. العبرات. ص: 77.
- ² منفلوطي، مصطفى لطفى. العبرات. ص: 81.

- 3 القرآن الكريم. سورة المائدة، رقم الآية: 90-91.
- 4 تاريخ ابن خلدون. ج1، ص: 54.
- 5 القرآن الكريم. سورة الكهف، رقم الآية: 28.
- 6 المرجع نفسه، ص: 45.
- 7 المرجع نفسه، ص: 49.
- 8 المرجع نفسه، ص: 50.
- 9 المرجع نفسه، ص: 39-40.
- 10 المرجع نفسه، ص: 94.
- 11 المرجع نفسه، ص: 49.
- 12 المرجع نفسه، ص: 48.
- 13 المرجع نفسه، ص: 48.
- 14 المرجع نفسه، ص: 49.
- 15 منفلوطي، مصطفى لطفي. النظرات. ج 3. ص: 102.
- 16 المرجع نفسه، ص: 103.
- 17 المرجع نفسه، ص: 105.
- 18 القرآن الكريم. سورة النساء، رقم الآية: 124.
- 19 ابن ماجة. سنن ابن ماجة، باب حسن معاشره النساء. تحقيق: محمد عبد الباقي. ص: 136.
- 20 منفلوطي، مصطفى لطفي. العبرات. ص: 99.
- 21 المرجع نفسه، ص: 104.
- 22 المرجع نفسه، ص: 105.
- 23 أبي الحسين، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم، ج 1. ص: 165.
- 24 منفلوطي، مصطفى لطفي. العبرات. ص: 110.
- 25 المرجع نفسه، ص: 111.
- 26 المرجع نفسه، ص: 123.
- 27 المرجع نفسه، ص: 124.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الحديث النبوي.
- الجلاد، ماجد زكي. تعلم القيم وتعليمها، ط2. عمان: دار المسيرة، 1427 هـ.

- الدسوقي، عبد العزيز. **تطور النقد الأدبي الحديث**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991م.
- زهران، حامد. **علم النفس الاجتماعي**. القاهرة: دار عالم الكتب، 1977م.
- الزيود، ماجد. **الشباب والقيم في عالم متغير**. عمان: دار الشروق، 2006م.
- ضيف، شوقي. **الأدب العربي المعاصر في مصر**، ط7. القاهرة: دار المعارف، 1975م.
- الطريقي، عبد الله إبراهيم. **الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً**، ط1. 1417هـ.
- عباس خضر. **القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى سنة 1930م**. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1966م.
- الفاخوري، حنا. **الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث**، ط1. دار الجيل، 1986م.
- الكايفي، إسماعيل عبد الفتاح. **موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية**. مصر: مركز الإسكندرية، 2005م.
- محمد، زغلول سلام. **دراسات في القصة العربية الحديثة**. الإسكندرية: منشأة المعارف، د-ت.
- محمود، حامد شوقت. **القصص القصيرة الحديثة في مصر**. دار الفكر العربي، 1974م.
- مصطفى، د. علي عمر. **القصة وتطورها في الأدب المصري الحديث**. دار المعارف، 1982م.
- المقدسي، أنيس. **الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة**. دار الكتاب العربي، 1963م.
- المنفلوطي، مصطفى لطفى. **العبرات**. القاهرة: دار مصر للطباعة، 1917م.
- المنفلوطي، مصطفى لطفى. **ماجدولين أو تحت ظلال الزيزفون**. تأليف الكاتب الفرنسي. الشهير الفونس كار، دار الشرق العربي، 1998م.
- المنفلوطي، مصطفى لطفى. **النظرات**. بيروت: دار الجيل، 1984م.
- نجم، د. محمد يوسف. **القصة في الأدب العربي الحديث**. بيروت: منشورات المكتبة الأهلية، د-ت.
- هلال، د. محمد غنيمي. **النقد الأدبي الحديث**. القاهرة: دار نهضة مصر- للطباعة والنشر- والتوزيع، 1979م.
- هيكل، د. أحمد. **الأدبي القصصي والمسرحي في مصر**، ط4. مصر: دار المعارف، 1983م.
- هيكل، د. أحمد. **تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية**، ط6. مصر: دار المعارف، 1994م.

إبداع الشعر العربي في الفضاء الرقمي: قصيدة رقمية "شجرة البوغاز" لمنعم الأزرق أنموذجا

د. محمد فواز. ك*

favasmvr@gmail.com

ملخص البحث: الفضاء الرقمي أو الإلكتروني هو عبارة عن المساحات الواسعة التي وفرتها وسائل التواصل الجديدة بواسطة الإنترنت، بما فيها مواقع التواصل الاجتماعي والمنصات والمواقع الإلكترونية المختلفة، لقد أصبح الفضاء الرقمي محطّ التواصل ومنبع الإبداع في العصر الراهن، حيث تنوعت الأشكال الأدبية بشكل عام والإبداعات الشعرية بشكل خاص، استفادة من تقنيات الإنترنت واستثمار معطيات التكنولوجيا الحديثة، ومن أبرزها: الشعر التفاعلي، والشعر الإلكتروني، والشعر التوليدي، وقصيدة الومضة والحركة. تحاول هذه الدراسة لمحة عابرة عن الأشكال الشعرية المتنوعة في الفضاء الرقمي وظهورها على الساحة العربية بالتركيز الخاص على تحليل إحدى القصائد الرقمية الشهيرة "شجرة البوغاز" للشاعر المغربي المبدع منعم الأزرق من ناحية الشكل والعناصر الفنية فيها.

كلمات مفتاحية: الفضاء الرقمي، الشعر الرقمي، منعم الأزرق، شجرة البوغاز، العناصر الفنية الرقمية

المقدمة: ظل الورق الوسيط الأساسي لتدوين خلجات الفكر وتنوع إبداع الإنسان لفترة طويلة لا تناهز عن مئات السنين، أما بعد ظهور الثورة المعلوماتية الرقمية التي اجتاحت مناحي الحياة الإنسانية قد حدث انقلابا كبيرا في معايير الكتابة والإبداع، التكنولوجيا غيرت مجرى السرد والأدب والإبداع كما أثرت انعكاسات الثقافة الرقمية على كافة جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية. ومن ثم ظهر عالما مغايرا للعالم الواقعي، هو "عالم الواقع الافتراضي" الذي فرض هذا العالم واقعا افتراضيا جديدا وعلمّ دروس التخيل الجديد وجذب ملايين من البشر مختلفي الأعمار والثقافات.

*أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية أنوار الإسلام العربية بكونيل، ملابورام، كيرلا

فكان لزاما على الإبداع والأدب مواكبة هذا التقدم التكنولوجي في أنماط تعبيرية تناسبه، لا مناص لأي أديب عصر تكنولوجيا الحديث والعالم الافتراضية أن يهمل هذا التيار الجديد وينغلق ويعتكف في أشكاله التعبيرية التقليدية، الفضاءات الرقمية (Digital Spaces) أصبحت محل النقاش والتواصل والتفاعل ومنبع الإبداع والأدب. الفضاء الرقمي أو الإلكتروني هو ناتج عن تطور وسائل الاتصالات والتواصل في ظل التكنولوجيا والإنترنت والحاسوب، بمفهوم أشمل يعرف بأنه مجال رحب مشتمل على مجموعة من العناصر نحو: أجهزة الكمبيوتر، والهواتف الذكية، والبرمجيات وأنظمة الشبكات، وحوسبة المعلومات، ونقل وتخزين البيانات (1).

الإبداع الشعري في الفضاء الرقمي: إن الفضاء الإلكتروني أتاح عالما شعريا جديدا، حيث أبحر فيه شعراء لا بأس به، وتولدت عدة أشكال جديدة لفن الشعر بفضل التقنيات والوسائل المتعددة والبرمجيات والحركات والألوان والتسجيل والتصوير ونحوها من تطورات التكنولوجيا. هذه الفنون الشعرية نراها ناتجة عن تدخلات البشر المختلفة في الفضاء الرقمي. إذا نظرنا إلى تعامل الشعراء مع الحاسوب والفضاء الرقمي نجد أنه يتفاوت فيهما من عوالم افتراضية مترامية. ممكن نعدّ ثلاث فئات في هذا الموضوع، وهي تؤكد لنا حالة الشعر في الفضاء ومقاربة الشعراء نحوه. الأستاذ الناقد الدكتور مصطفى عطية يشير إليها تفصيلا في كتابه "شعرية الفضاء الإلكتروني: قراءة في منظور ما بعد الحداثة" (2).

الفئة الأولى من الشعراء هم ظلوا في منأى تام عن الحاسوب وعالمه إما بسبب الضعف في المهارات التقنية الحاسوبية أو بداعي السن وعدم توافر الإمكانيات المادية، ينظمون قرائحهم الشعرية معتمدين على أدوات التعبير التقليدية وهي القلم والورق، في مرحلة لاحقة، ربما قرائحهم الشعرية تنشر إلكترونيا وتتداول في الفضاءات الرقمية، لكن الكمبيوتر والإنترنت تبقيان مجرد وسيلتي كتابة ونشر. تأتي ضمن هذا النوع القصيدة الإلكترونية التي كتبت في المنوال التقليدي ونشرت إلكترونيا بعدها.

الفئة الثانية من الشعراء هم أقبلوا على أدب العصر الجديد وقدموا نصوصا إبداعيا موظفة بتقنيات الحاسوب والإنترنت. يعني أنهم أبدعوا قرائحهم الشعرية بمعطيات التكنولوجيا والحاسوب مثل إضافة الصور والألوان والحركات (Animations) والتصميم (Design) والأفلام (films) وغيرها، هنا هؤلاء الشعراء وقفوا موقفا

وسطا بين النص التقليدي وبين تقنيات الحاسوب في الإخراج والنشر، يأتي الشعر الرقمي وأنواعه على هذه الطبقة.

أما الفئة الثالثة هي زمرة من الشعراء الذين أتقنوا وغاصوا واندمجوا في عالم الفضاء الافتراضي، هم يعيشون في رحابه فاهمين أبعاده وفلسفاته ودلالاته المختلفة، قرائحهم الشعرية تصور الفضاءات الرقمية عالما واقعا جديدا يوازي عالمنا الدنيوي العادي بكل ما فيه من معالم مجهولة للذات والعقل والهوية، هذه التجارب الشعرية "مشتبكة اشتباكا حقيقيا مع الفضاء التقني، تعمقت فيه، سحبت تارة على شواطئه وغاصت تارة على شواطئه، وغاصت تارة في أعماقه، غير مكثفة بالوصف (...) فكأنها تقرأ الدنيا الحقيقية بأعين واقعية والنفوس عائمة بين العاملين، تكتشف مواضع ومساحات جديدة في العقل والذات وأيضا في حياة البشر"³. هذه القصائد متميزة بالرؤية الشاملة والطرح الجديد المسمى بشعرية الفضاء الرقمي. ديوان "إغواءات الفراشة الإلكترونية" لشاعر الستينات محمد يوسف خير مثال لهذا النوع من القصائد. هو يتعامل مع الفضاء الإلكتروني متجاوزا جيله ويبحر في الواقع الافتراضي.

التجلي الرقمي للشعر يتمثل على النوعين الرئيسيين هما الشعر الإلكتروني (القصيدة الإلكترونية) والشعر الرقمي (القصيدة الرقمية). الأول هو كل القصائد الورقية التي تنشر في الموقع الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي، أما الثاني يتفرع إلى أشكال فرعية حسب تقنيات الإنترنت وبرمجيات الحاسوب.

الشعر الرقمي (Digital Poetry): هو شكل من أشكال الأدب الرقمي الذي اعتمد تماما على الوسيط الإلكتروني في الإخراج والتلقي، أو شعر ولد في بيئة إلكترونية تجاوزا الصيغة الخطية التقليدية ومعتمدا على النص المتفرع أو النص المترابط Hypertext، يتميز هذا النوع الشعري عن نظيره الورقي بخصائص فنية عديدة باستخدامه تقنيات الوسائط المتعددة Multimedia وتطبيقات الحاسوب Computer Applications وما إلى ذلك.

لقد تعددت أنواع الشعر الرقمي ممكن حصرها كالتالي:

الشعر الرقمي التوليدي Generative Poetry: الشعر التوليدي يعتبر النموذج الأول للأدب الإلكتروني أو نواة الشعر الرقمي الأولي يتم فيه استخدام "ألجوريزمز

Algorisms" لتغذية بمفردات عديدة وتوليف العديد من التبديلات، الشاعر الألماني ثيولوتز ابتكر هذا النوع الشعري أولاً في عام 1959م، هذه النصوص الشعرية تولد رقمياً، ويمكن عرضها، وتلقيها، ورقياً دون أن تفقد خصائصها⁴. لقد قلت نماذج هذا النوع الشعري في الأدب العربي والذي يمكن أن نعدّ نموذجاً وحيداً لهذا النوع من "الأدب الرقمي" وهو "مهرج زاردشت (ليس لعبة- ليست كتابة)" (2015م) للشاعر العراقي ناصر مؤنس.

الشعر البصري (Visual Poetry) – الكاتب ورائد الشعرية الرقمية "لوس بيكينو جلازير Loss Pequeno Glazier" يضع تعريفاً شاملاً للشعر البصري الرقمي، حيث يقول: "هو شعر يعتمد على التشكيل البصري للنص من خلال توظيف تقنية الوسائط المتعددة، كإضافة المؤثرات البصرية والمؤثرات الصوتية مثل الصور والرسومات والألوان والموسيقى"⁵. يعدّ الشاعر المغربي "منعم الأزرق" أول شاعر عربي نشر قصائد بصرية رقمية، ممكن نقرأها ونشاهدها من خلال موقعه الرسمي "رقميات منعم الأزرق"⁶.

قصيدة الومضة أو الشعر الحركي (Flash Poetry) هذا النوع الشعري جزء من الشعر البصري (Visual Poetry)، والذي يختلف عن الشعر الرقمي البصري (Visual digital Poetry) هو كثرة استخدام تقنيات فلاش (Flash) وانيميشنز (Animations) والمؤثرات البصرية. الشعر الحركي أو الفلاشيات الشعرية قد أطلق عليها اسم "قصيدة الومضة" التي هو أسلوب شعري معروف يشبه القصة القصيرة. يعرف بيتر هاورد (Peter Howard) رائداً من رواد قصائد الومضة الرقمية حول العالم، على الصعيد العربي، ممكن نعدّ قصيدة "لعبة المرأة.. سماء ولكن"⁷ للشاعر والمخرج الرقمي منعم الأزرق فيما يعرف "بقصيدة الومضة (Flash Poetry)".

واقع الشعر الرقمي في الساحة العربية: ترجع الريادة في الشعر الرقمي العربي إلى الشاعر العراقي الشاب مشتاق عباس معن الذي نظم مجموعة شعرية رقمية رائعة باسم "تاريخ رقمية لسيرة بعضها أزرق" عام 2007م، وبعده يأتي الآخرون في هذا

المجال الإبداعي الجديد، ومن الأدباء الذين سلكوا في هذا الجنس الأدبي الشاعر المغربي عبد النور إدريس، الذي ألف ديوانا كبيرا يحمل قصائد "تمزقات عشق رقمي"، و"تمزقات نيتة"، "سهيل الهذيان الرقمي" و"سيدة يا هو" عام 2010م. قدّم الشاعر المغربي منعم الأزرق قصائد رقمية على النحو "قالت لي القصيدة ضوءها العمودي"، "مآثر غيمة لا تستطيع منها العيان" و"لعبة المرأة" و"شجرة البوغاز"، وتتميز قصيدته "رقيم البدن" بأنها قصيدة الفيديو التفاعلية، ويشتمل على قائمة شعراء الرقمنة الشاعر السعودي جمال المحمداوي، صدرت عنه القصيدة الرقمية المعنونة بـ"أسود ما يحيط بشقراء النعامتة" عام 2007م، وعبد الله عقيل صاحب قصيدة "كوشرتو الذئاب" الصادرة عام 2007م، وفاطمة بوذيان صاحبة عدة قصائد رقمية رائعة. ومما لا شك أن مجال الشعر الرقمي اتسع رحابه السنوات الأخيرة للعقد الثاني للقرن الواحد والعشرين، وشهد تناميا ملحوظا في نشر القصائد الرقمية في المواقع المختصة لها، قصيدة بعنوان "لا متناهيات الجدار الناري" (2017م) لعباس مشتاق معن تعتبر آخر الإبداعات الشعرية في هذا النوع. يجدر بالذكر إلى جهود الشاعر المغربي منعم الأزرق في هذا المجال، هو الشاعر العربي الوحيد الذي أنشأ منصة رقمية مستقلة لنشر الشعر العربي الرقمي باستفادة من التقنيات الحديثة. لا يزال يهتم موقعه الرسمي "رقميات منعم الأزرق" بنشر الجديد من القصائد الرقمية. في هذا الصدد، نلقي نظرة عامة في قصيدة "شجرة البوغاز" الرقمية المنشورة في هذا الموقع.

دراسة في قصيدة "شجرة البوغاز" الرقمية: "شجرة البوغاز" للشاعر المبدع منعم الأزرق واحدة من القصائد الرقمية التفاعلية قليلة التواجد في الثقافة العربية. إنها ظهرت بصيغتين مختلفتين إحداهما مرقمة والأخرى رقمية، نشرها في موقع المرساة أولا وتتوفر بعده في موقع الشاعر الرسمي "رقميات منعم الأزرق"⁸، نعالج هنا للتحليل صيغتها الرقمية الأخيرة، إذا نريد قراءتها يتطلب منا أولا الدخول إلى خانة "القصائد" في ذلك الموقع، فنجد واجهة تحمل عنوان القصيدة "شجرة البوغاز"، بمجرد النقر على العبارة التي تحت هذه الواجهة يحيلنا إلى واجهة أخرى تمثل صفحة الغلاف، وبالضغط عليها تظهر أمامنا واجهة جديدة تظهر فيها لأثمة أرقام مرتبة

ترتيباً تصاعدياً من 1-42. كل الأرقام يحيلنا إلى واجهة من واجهات القصيدة التي تحتوي على مضامين شعرية وصور متعددة.

يتمحور مضمون القصيدة عن الزلازل التي حدثت في المناطق والمدن التي تحيط بمضيق جبل طارق والذي يشار إليه في القصيدة بـ "البوغاز" من هذه الزلازل، "ذلك الزلازل الذي أصاب مدينة طنجة في 2 نيسان عام 1972م، والذي دمّر المدينة تدميراً يشبه كلياً ثم توالى على المنطقة سلسلة من الزلازل الأخرى أصابت طنجة والمدن المجاورة لها في الأعوام 1994، 2004، وراح ضحيتها أكثر من 600 ضحية"⁹. هذه الزلازل من الأحداث التاريخية التي مرت في تاريخ المغرب والشعب الأمازيغي، لتصوير الحدث في شكل أجود، يستحضر الشاعر أسماء الأماكن والشخصيات البارزة نحو "هرقل" و"هموت" و"طارق بن زياد" و"الرحالة ابن بطوطة" وغيرهم.

كالقصيدة السابقة التي تناولنا في هذا البحث، هذه القصيدة أيضاً تحمل دلالات ومعاني متعددة في عتبات النص الشعري المختلفة، بداية من العنوان ومروراً بالصور والألوان وانتهاء من اللوحات والخطوط والروابط التشعبية. لا نخوض فيها بكل عمق مخافة الإطالة، بل نركّز انتباهنا على مبنى القصيدة وعناصرها الرقمية الفنية. ومما لا شك أن مبنى القصيدة في صيغتها الرقمية يحتاج إلى دراسة متأنية وتحليل عميق، لأنه يختلف كلياً عن نظريه المرقم، وبأنه مر بعمليات إنتاجية مركبة ذات اختصاصات متعددة. في نظرنا الخاطفة إلى هذه القصيدة نكتفي تحليلنا بذكر عناصر المؤثرات البصرية الموظفة في هذه القصيدة.

توظيف العناصر الفنية الرقمية في الشعر: المؤثرات البصرية هي الوسائط المتعددة والعناصر الفنية الرئيسية التي وظفها الشاعر في القصيدة، بما في ذلك الصور والرسومات والألوان والحركة والخط الطباعي بأنواعه، وتجلت هذه العناصر كلها في فضاء الشاشة. علاوة على ذلك، توظيف تقنية الهايبرتيكست (النص المترابط) قد أحدث إفادة طيبة على صعيدي الإنتاج والتلقي. يبدو لنا جلياً قول سيمانوسكي من خلال هذه القصيدة: "وكل ما يصاحب النص الرقمي المقروء هنا من مؤثرات بصرية يؤدي إلى تقوية المعنى أو يتم تولد معنى يضاف إليه"¹⁰.

الألوان: القصيدة الرقمية "شجرة البوغاز" ظهرت بألوان عديدة في مستويين: هما ألوان الكلمات وألوان الصور. وقد استخدم الشاعر ألواناً متعددة للمقاطع والجمل

والكلمات، ومن أبرزها: الأبيض، الرمادي، الأصفر، الأرجواني. كل هذه الألوان مرتبطة بدلالات متنوعة وحاملة أدوارا مختلفة، فعلى سبيل المثال: كل جملة أو كلمة اصطبغت باللون الأرجواني كانت عبارة عن رابط معين، وبالنظر عليه فإنه يحيل المتلقي إلى الصفحة السابقة، كما استخدمت بعض الألوان لدلالات رمزية مثل اللون الأبيض إنه استعمل لإبراز المعنى، كقوله: "ينزل الليل مضرجا بالحليب القدري" جاءت كلمة الحليب باللون الأبيض لإبراز المعنى.

الصور والرسومات: الصور في قصيدة "شجرة البوغاز" تتمثل في صور الحيوانات وصور الطبيعة وصور الشخصيات النسائية. صور الحيوانات معظمها صور القط الذي يظهر أكثر من 6 مرات وصور الضفدع الذي يظهر ثلاث مرات وصور الطيور التي تظهر مرة واحدة فقط. أما الطبيعة هي تظهر في القصيدة ممثلة بصورة الشجرة والوردة المتنوعة باللون الأبيض والأسود (انظر: الواجهة رقم 10، 39). وأما صور الشخصيات النسائية فتتجلى ثلاث مرات: صورة لفتاة عارية تعزف على البندير (انظر: الواجهة رقم 18) وصور لأوفيليا¹ (الواجهة رقم 23)، وصور نصف وجه امرأة في خلفية البدر (الواجهة رقم 33). ومن الجدير بالذكر أن معظم هذه الصور موجودة في الواقع، وارتباط هذه الصور بالمعنى والنص اللغوي.

الحركة: هي إحدى المؤثرات البصرية التي ظلت تواجدتها في النصوص الأدبية الرقمية فقط، قد ظهر هذا العنصر في معظم قصائده الرقمية. بالنسبة إلى قصيدة "شجرة البوغاز"، نرى "الحركة" تستخدم منذ البداية، وذلك من خلال الجملة الافتتاحية "صهيل حار لشمس تنز بالمعدن وبالشيء"، هذه العبارة تتشكل رويدا رويدا في الواجهة الرئيسية، كما ظهر عنصر الحركة بشكل جيد في الجملة: "نزيف شجرة البوغاز" في إحدى المقاطع الشعرية، هكذا ورد هذا العنصر في عدة واجهات القصيدة بشكل بارز. ولعل من أهم تغيير طرأ على القصيدة الرقمية، بعد توظيف الحركة، هو انهيار البنية المكانية للقصيدة وهندستها المعمارية مختلفا عن القصيدة الورقية².

الخط/ الشكل الطباعي والروابط: الخط له أهمية كبيرة في إنتاجات الأدب الرقمي، والشكل الطباعي يقصد به التلاعب بالكلمات من حيث أحجامها وسمك الخط فيها. وقد تم استغلال الخط في هذه القصيدة بحيث إنه يعرب عن النبر بما يوافق المعنى.

فمن الأمثلة التي تأتي بها في هذا الصدد، عبارة "مثل ظن الجن طار" في المقطع السابع من القصيدة، جاءت العبارة بخط كثيف ليعبر عن ارتفاع الصوت وبالتالي عن صوت الغضب لدى الشاعر. وكذلك في عبارة "نسيت في الصمت جاهي" في الواجهة 33 وهي أيضا جاءت بخط مكثف بارز مشير إلى صرخ الشاعر ومله بالصمت.

أما بالنسبة لتأثير تقنية "النص المترابط" أو الروابط (الهايبرتيكست) على إخراج النص وإبداعه فنعدّه مبدئياً أنه جعل النص نصاً جامعاً للفنون المتنوعة ونصاً هيبيريديا (Hybrid Text) بما فيها كافة أنواع الفنون فن الخط وفن الرسم والتصوير ونحوها، كما أدت تقنية الهايبرتيكست إلى تفاعل القارئ المتلقي مع النص جسدياً من خلال الضغط على الفأرة ومعنوياً خلال تحليل النصوص والروابط. فهذه القصيدة نفسها أصبحت متشعبة ومتخذة الأشكال العديدة مثل البناء والتعليق والإبحار ونحوها بعد توظيف تقنية الهايبرتيكست

بالجملة، العناصر البصرية حاضرة في النص بشتى أنواعها من الألوان والصور وتشكيل الكلمات والخط والحركة. وهذه المؤثرات البصرية كلها لعبت دوراً حيويًا في إبراز معاني القصيدة في أحسن الوجه وتأكيد دلالاته وإضافة على النص مسحة جمالية لم تكن متوفرة في شكله الورقي.

الخاتمة: يتأكد لنا مما سبق عن تطوّر الشعر وتنوعه في الفضاءات الرقمية، لا شك في أنّ الفضاء الإلكتروني قد أتاح عالماً شعرياً جديداً، حيث اتخذ أشكالاً متنوعة للتعبير، كما حمل دلالات وأبعاداً متنوعة ذات قيمة عالية. ومما يسعد جميع من يهتم بالعربية وآدابها أن بعض شعراء العرب في هذا الجيل الراهن يبشرون في خضم العالم الإلكتروني إنتاجاً، فاهمين طبيعة الفضاء الرقمي وعوالمه الفعلية الممثلة في الانفجار المعرفي والاتصالي، ومن أشهرهم صيتا، الشاعر المغربي منعم الأزرق، قصيدتها "شجرة البوغاز" غنية بمضمونها الراقى ومؤثرات بصرية قوية وتعدد الفنون فيها، وقد نالت قبولاً كبيراً من قبل المهتمين على صعيد الإنتاج.

الهوامش

¹ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. على الموقع: <http://shorturl.at/chuz0>

- 2 د. مصطفى عطية جمعة. *شعرية الفضاء الإلكتروني*. ص: 77، 78
- 3 المرجع نفسه، ص: 78.
- 4 حسني، ريهام. *من الداود إلى الجافا: الأدب الإلكتروني بين النشأة والتطور*، المرجع نفسه، ص: 10.
- 5 Glazier. L, "Digital Poetics" p.34, The University of Alabama Press, 2002, (ترجمة مستقلة).
- 6 قم بزيارة الموقع: <http://imzran.org/digital/qasayid.htm>
- 7 موقع رقميات منعم الأزرق، http://imzran.org/digital/mir_at/mir_at.htm
- 8 انظر موقع رقميات منعم الأزرق على الرابط:
- <http://imzran.org/digital/cajar/cajar.htm>
- 9 عايدة، نصر الله. إيمان يونس. *التفاعل الفني الأدبي في الشعر الرقمي*. المرجع نفسه، ص: 65.
- 10 Simanowski, R. (2010), *Against the Embrace. The Recovery of Meaning Through the Reading of Digital Arts*, Minnesota: University of Minnesota Press, 2010, P: 17 نقلا عن د. إيمان يونس. وعائدة، نصر الله، *التفاعل الفني الأدبي في الشعر الرقمي*. المرجع نفسه، ص: 65.
- 11 صورة للفنان بول ديلا روشيه (1797-1856 Paul Delaroche) كما ورد في كتاب *التفاعل الفني الأدبي في الشعر الرقمي*. المرجع نفسه، ص: 93.
- 12 المرجع نفسه، ص: 90

المصادر والمراجع

- الأزرق، منعم. *شجرة البوغاز*. موقع رقميات منعم الأزرق. <http://imzran.org/digital/cajar/cajar.htm>
- الأزرق، منعم. موقع رقميات منعم الأزرق. <http://www.imzran.org/digital/qasayid.htm>
- د. يونس، إيمان. *تأثير الإنترنت على أشكال الإبداع والتلقي في الأدب العربي الحديث*. عمان/ فلسطين: دار الهدى للطباعة والنشر/ دار الأمين للنشر والتوزيع، 2011م.
- د. يونس، إيمان. عايدة، نصر الله. *التفاعل الفني الأدبي في الشعر الرقمي*: قصيدة شجر البوغاز نموذجاً، دار الأركان للإنتاج والنشر، 2016م.
- عطية جمعة. د. مصطفى. *شعرية الفضاء الإلكتروني*: قراءة في منظور ما بعد الحداثة. القاهرة: دار الشمس للنشر والإعلام، 2016م.

قضية تعليم المرأة في قصة "عائشة" لحوحو، دراسة تحليلية

د. محمد أكرم*

Email: akramqadri93@gmail.com

ملخص البحث: أحمد رضا حوحو هو رائد القصة الجزائرية، رصد في قصصه هموم الجزائريين ومشاكلهم ومعاناتهم في ظل الاحتلال الفرنسي بأسلوب شيق وممتع مريح ممزوج بالسخرية الهادفة من أجل إغراء أكثر للقارئ لكي يبقى مستمرا في يقطته أثناء القراءة ولعل الكاتب يرى في السخرية "طريقة مناسبة لتنبية الظالمين والأشرار والمتعجرفين. تناول حوحو قضايا المرأة في وقت كان الكتاب يجتنب الخوض فيه، إذ كان لديه جرأة كبيرة على انتقاد مكانتها في المجتمع الجزائري داعيا إلى تعليمها وتحريرها إنها دعوة لم يسبق حوحو إليها أحد قبله يمثل هذه الجرأة ويمثل هذه المعالجة الصريحة. ومن أهم القصص لأديب أحمد رضا حوحو عن هذا القضية هي قصة "عائشة" التي تصور وعي المرأة الريفية واستجابتها للتطور وللأفكار الجديدة مما يوحي بالجرأة الكبيرة التي تمتع بها الكاتب وتجاوزته الانتقاد، إلى التنديد بهذه التقاليد والدعوة إلى تحرير المرأة من ظلام الجهل وأغلال العبودية. ومن المواضيع التي تتعلق بالمجتمع الجزائري وتطرق لها أحمد رضا حوحو هي فقر وبؤس وقهر وعقاب والعلاقة المحرمة وعقوق الوالدين وتعدد الزوجات والزواج بالأجنبيات الفقراء وتعليم المرأة وبعض المواضيع السياسية مثل الانتخابات وغيرها.

تسلط الورقة الحالية الضوء على المشاكل التعليمية للمرأة الجزائرية، كما صورها أحمد رضا حوحو في قصة "عائشة" من أعماله الشهيرة "نماذج بشرية". سأحاول في هذه الورقة البحثية أن إلقاء الضوء على الحالة البائسة للمرأة في المجتمع الجزائري بإيجاز، ثم أتوجه إلى القضايا المهمة التي ذكرها أحمد رضا حوحو في هذه القصة. وسأذكر النماذج والتحليل حول هذا الموضوع.

كلمات مفتاحية: قضية، تعليم المرأة، قصة، أحمد رضا حوحو، المجتمع الجزائري.

المقدمة: هذا هو معروف أن تعتبر القصة القصيرة جنسا أدبيا حديث النشأة في الجزائر مقارنة بالأشكال الأدبية الأخرى ورغم ظهور هذا الجنس متأخراً فقد استطاع "رضا

* استاذ مساعد جامعة لداخ حرم كارجيل

حوحو " أن يجسد طموحات ومعاناة الشعب " وهذا ما دفعه إلى أن ينشر مقالاً بجريدة البصائر يطلب من الكتاب أن يهتموا بكتابة القصة لهدفين: النهوض بالأدب بشكل عام والثاني هو ما أطلق عليه التقويم الخلقى والاجتماعي¹ دون أن نغفل جانباً مهماً في النشاط الفكري ويتجسد في القصص القصير: مثلاً قصة التلميذ وقصة الفقراء وقصة السكير وقصة الشيخ الزروق وقصة فتاة أحلامي².

وعندما ننظر إلى موضوعات قصصه نجد مجموعة متنوعة من مواضيع القصة الغنية التي لا تخلو في بداية العواطف والمشاعر الذاتية واستبدال الأحداث العاطفية. وأما المرحلة الأخيرة خاصة بعد عودته إلى الجزائر فقد أولى اهتماماً أكبر بالقضايا الاجتماعية والإنسانية. وبموازنة إنتاجه مع إنتاج معاصريه يبدو أحمد رضا هو أهم أديب جزائري شهدته حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى يوم استشهاده في ماي 1956 م. وهو أول كاتب جزائري يستجيب لتأثيرات الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية الجديدة وأول من أدخل في كتاباته معظم الموضوعات المعاصرة مثل: تعليم المرأة وبناء المجتمع وقضية الإصلاح الديني وتطور الحركة الثقافية والأدبية.

واهتم حوحو بالمواضيع الاجتماعية فعمل على نقل واقع مجتمعه وقضاياها وركّز على ما يشغل بال شعبه وذلك " بكشف ورصد وتحليل مختلف المظاهر الاجتماعية المزرية والمتردية فتصدى لها بالنقد اللاذع أحياناً وقد دعا الأدباء والنقاد الالتحام بالواقع وتسليط الضوء على مختلف العيوب والظواهر والأمراض الاجتماعية السلبية الفاسدة التي من شأنها تأخر المجتمع فتعيقه على التطور" من المواضيع التي تتعلق بالمجتمع وتطرق لها أحمد رضا حوحو. ومن أبرز ما فيها القضايا الاجتماعية الجزائرية من فقر وبؤس وقهر وعقاب والعلاقة المحرمة وعقوق الوالدين وتعدد الزوجات والزواج بالأجنبيات الفقراء وتعليم المرأة وبعض المواضيع السياسية مثل الانتخابات وغيرها.

قضية تعليم المرأة في قصة "عائشة" لأحمد رضا حوحو: ومما هو متعارف عليه أن المرأة مكانة مرموقة داخل المجتمع لأنها أساس الإنسانية وهي نصف المجتمع وتلد وتربي النصف الآخر ولا تتم الحياة الإنسانية إلا بالمرأة ولا بقاء للإنسانية على سطح الأرض بدونها ولكنها تعاني صعوبات شتى في واقع حياتها. والقصة القصيرة العربية وخاصة القصة الجزائرية القصيرة الحديثة لعبت دوراً هاماً في تصوير المرأة ومشاكلها داخل المجتمع. ونجد عدداً من القاصين الذين عرضوا قضية المرأة البائسة والحديث عن همومها وغمومها. وكانت المرأة

الجزائرية في القديم محرومة من التعليم ولم يهتم المجتمع الجزائري بتعليم المرأة لا قبل الاحتلال الفرنسي ولا في فترته. وامتنع أغلب الناس في الجزائر عن إرسال بناتهم إلى المدارس وكانت الأولوية لتعليم البنين وأدى كل ذلك إلى تأخر التحاق البنات بالمدارس إلا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فإنها أولت عناية خاصة لتعليم المرأة بالمجان في مدارسها. ومعلوم أن المرأة قد ظلت مكانتها متدنية في المجتمع العربي والجزائري على وجه الخصوص. في الحقيقة كان الأمر كذلك في العديد من المجتمعات منذ العصور القديمة، مقيداً بالقيود الصارمة للعادات والتقاليد. لم تتحسن حالتها في أوروبا إلا في العصور المتأخرة بشكل تدريجي. إلا أن أوروبا سبقت الشرق العربي في الأخذ بأسباب الإصلاح الاجتماعي وظهرت حركات مختلفة في الشرق والغرب للحفاظ على حقوق الإنسان وخاصة الطبقات الكادحة وتحرير المرأة.

اهتم القاصون والقاصات بقضايا الأسرة في الجزائر وجاءت موضوعات الزواج وما يتعلق بها من مشكلات في مصاف الموضوعات التي عالجها الكتاب الجزائريون مع ظهور القصة القصيرة الجزائرية. ومن تلك القضايا التي دارت حولها رحي محاور القصص: الزواج من الأجنبيات، العنوسة والطلاق والخيانة الزوجية ومشكلة العقم والعلاقة بين الرجل والمرأة وانتشار الزيف في المجتمع وتعليم للمرأة وغيرها كثير. وكانت هذه القضايا الاجتماعية التي تناولها الكتاب الجزائريون والتي أشرت إليها أعلاه.

وعندما ننظر إلى القضايا الاجتماعية التي قدمها أحمد رضا حوحو نجد فيها قضايا المجتمع وهموم الناس وانحيازه الصريح للفئات الاجتماعية الفقيرة والمتوسطة حيث دافع عنها بكل قوته وبكل مواهبه الأدبية. وهذا ليس موضوعاً اجتماعياً جديداً للأدباء والكتّاب الجزائريين لكن حافظ الحرب العالمية الثانية وتأثيرها على تنمية الوعي العام التي عمقت الحاجة إلى مثل هذا الموضوع.

وعندما عاد الكاتب إلى تناول وضع المرأة في المجتمع التي تمثل أبرز اهتماماته في المجموعة الأولى فإنه عاد إلى الموضوع بفكر جديد أكثر جرأة وعمقا. فلم يقف عند حدود التقاليد التي لا تعترف بالحب وتتجلى في اللحظات الحاسمة لتمنع زواج المحبين بل تجاوز ذلك التنديد بهذه التقاليد والدعوة إلى تحرير المرأة من ظلال الجهل وأغلال العبودية يقول الكاتب أحمد رضا حوحو في بداية القصة "عائشة" بشكل تقريرى مباشر: "عائشة امرأة ككل النساء الجزائريات واحدة من آلاف النساء اللاتي يموج بهن المجتمع الجزائري المظلم لم تتخرج من مدرسة لا شرقية ولا غربية ولم تتلق أي تربية خاصة أو نشأة معينة عدا التربية الفطرية

والنشأة المحافظة المروضتين من هذه البيئة الجزائرية الوحيدة التي لا تعرف التطور ولا تغير. وعاشت عائشة في محيطها الضيق المظلم لا تعرف عن نفسها إلا أنها عورة يستحي ذوها من ذكر اسمها واسمي والدتها وعمتها فهن جميعاً تكون نوعاً خاصاً من المخلوقات لم تفهم كنهه ولم تحاول أن تدرك كنهه ولكنها تعلم حق العلم أن والدها وغيره من رجال الأسرة لا يتلفظون بهذا الاسم إلا مقروناً بكلمة اعتذار (العباد) يطلقون عليهن جميعاً اسم يقصد جميع نساء (عبادي حشاك) وكثيراً ما سمعت والدها يتحدث مع جاره فيقول: الأسرة فيعتذر عن ذكر أسمائهن كما يعتذر حينما يتلفظ بلفظ قدر أمام شخص محترم³.

في الحقيقة تحدت في هذه القصة عن الوضعية التي تعيشها عائشة وهي الشخصية الرئيسية "امرأة ككل النساء الجزائريات في تلك الفترة كانت تعيش في مجتمع ضيق ومظلم تحكمه العادات البالية والأعراف المتشددة نشأت نشأة محافظة فهي لم تتلق أي تعليم ولا تعرف عن العالم الخارجي شيئاً تعيش كما يريد ذوها لا يحق لها أن تفكر أو تعبر، تسير في طريق محدد لا ينبغي أن تحيد عنه ممثلة للتقاليد الاجتماعية ومستسلمة لسلطة المجتمع الذي احتلت فيه أدنى مكانة يستحي والدها من ذكر اسمها أمام الآخرين وكأنها شيئاً قدر تعيش مذلولة محتقرة فقد تعودت على حياتها التي تشابهت أيامها وتتبع دون تغير أو اختلاف إلى أن تغيرت حياتها وانقلبت رأساً على عقب إثر عودة شاب من أبناء القرية الذي قضى في أوروبا مدة طويلة وإعجاب السكان به وبمظهره وأحاديثه فقد حل كالنجم المتألق في حلته الإفرنجية الأنيقة وشعره المصفف البراق وحذائه الأسود اللامع فكثرت الحديث عنه وانتشر بين الناس حتى وصل إلى مسامع عائشة فأعجبت به وتحدثت عنه وحفظت شيئاً من كلامه أسوة بالأخريات وفي يوم من الأيام صادفت الفتاة الشاب في طريق خال وهي متوجهة إلى بيت خالتها فالتقت نظرتهما وأعجب بها الشاب وحاول الاتصال بها وسخر لذلك عجزاً ماكرًا استولت على عقل الفتاة الساذجة بحيلها وما إن التقى بها حتى فتح لها أبواباً كانت موصدة عنها وأطلعها على أمور كانت تجهلها فقد حدثها عن الحرية التي تمتع بها الأوروبيات وعن حقوقها في الحياة وعرض عليها أن تفرّ معه لتعيش برفقته حياة سعيدة مليئة بالحب فتأثرت بكلامه تأثراً شديداً ووافقت على عرضه بكل ثقة فهربت من منزل والديها وسافرت معه إلى مدينة بعيدة وهي في غايه السرور تحلم بحياة جديدة. ولكن فرحتها لم تدم طويلاً وذلك لأن الشاب تركها وحيدة وفرّ عائداً إلى أوروبا بعد أن هتك ستر شرفها فوجدت نفسها في الشارع هائمة حائرة تمشي بلا هدف إن جهلها بالعالم الخارجي كان سبباً رئيسياً في وقوعها ضحية لهذا الشباب ثم فريسة للدئاب البشرية التي اصطادتها في لمح البصر وجعلت منها مومسا

محترفة تباع جسدها مقابل لقمة عيش وتنتقل من مكان إلى مكان وتتعاطى المخدرات والمسكرات حتى تفوقت في هذا المجال على جميع زميلات لها وأصابها شيء من الغرور فصارت ترى نفسها أسمى مقاما منهنّ وسعت إلى التميّز لتثبت وجودها فأخذت تبحث عن شيء جديد يميزها عنهن حتى طرقت سمعها الأحاديث السياسية والأفكار الوطنية فأعجبت بها واعتنقتها ودافعت عنها رغم سخريّة الناس منها فقد أعطاهها إيمانها الراسخ بالوطنية والتحرير دافعا قويا للخروج من عالم الرذيلة فأقلعت عن تناول تلك السموم وخرجت إلى الشارع تبحث من عمل شريف فتحصلت على وظيفة في فندق محترم وتزوجت برجل صالح فعاشت في أحضانه راضية فاندملت جروح قلبها بسرعة ونسيت ماضيها الذي لم يبق منه في ذكراتها سوى بعض الذكريات المريرة⁴.

ويقدم الكاتب أحمد رضا حوحو القصة في شكل مأساة تهون بجانبها دموع المحبين وحرمانهم من اكتمال سعادتهم بالزواج كما رأينا في قصص صاحبة الوحي رأينا في هذه القصة أن عائشة قد غرر بها أحد الشبان العائدين من أوروبا وزين لها الهرب معه إلى المدينة كما ذكر القاص في القصة: "توجّهت عائشة ذات يوم إلى منزل خالتها لأن والدها وذويها أرادوا منها أن تتوجه إلى ذلك المنزل، فهي مسيرة في كل شيء لا تعرف الاستقلال في قليل أو في كثير من حياتها العامة والخاصة على السواء وصادف أن قابلت ذلك الشاب في طريق خال وهو يتأرجح في مشيته والتقت نظرتها بنظرته وراقت بشباب وهي تتمنّع بشيء غير قليل من الحسن والجمال فابتسم لها ولكنها لم تفهم لماذا ابتسم ولم تدر أن هذه الابتسامة موجهة لها محمل زيادة على معنى الإعجاب بحسنها معاني أخرى لم تفهم حقائقها إلا بعد أن دفعت الثمن غالياً، وما كاد يتصل بها حتى فتح لها بأحاديثه المعسولة أبوابا كانت موصودة دونها، فحدّثها عن بنات أوروبا وحرّيتهن، كما وضح لها حقوقها في الحياة ولم ينس ذكر ما ادخره لها القانون من الحقوق والمحافظة على رغبتها، ثم عرض عليها أن تفرّ معه لتعيش صحبته في عيش رغد محفوفة بالحرية والحب والسعادة وأفهمها أن هذه حقوقها الشرعية لا يتنازعها فيها منازع، انخدعت عائشة بحديث فتاها وانقادت لرغباته بثقة عميا ففارقت منزل والدها خلست في ليلة ظلماء وسافرت مع الشاب إلى مدينة بعيدة وسرها، أول الأمر، أن ترى نفسها حرة تركب القطار وتعيش في المدن في أحضان شاب أنيق لم تكن تحلم به، ولكن هذا السرور لم يدم طويلاً لأن الفتى ما إن استولى على عفافها وهتك ستر شرفها حتى تركها وفرّ قافلاً إلى أوروبا من حيث أتى...."⁵.

وكان سبب انحدارها كما يوحي القاص إلى هذا الدرك هو جهلها بالحياة وعدم إعدادها وأميته وخلو يدها من أية حرفة تمكّنها من العيش الكريم نتيجة التربية المنغلقة التي نشأت عليها فهي لا تملك أي سلاح في الحياة رغم إرادتها القوية واستعدادها الطبيعي لاعتناق المبادئ السامية والكفاح من أجل الشرف والكرامة في الحقيقة هذه القصة ككل تمثل صرخة في وجه التقاليد الجامدة ودعوة إلى تحرير المرأة وتعليمها وهي دعوة لا يسبق أحمد رضا حوحو إليها أحد قبله بمثل هذا الجرأة وبمثل هذه المعاجزة الصريحة⁶.

عالج الكاتب أحمد رضا حوحو في هذه القصة قضايا اجتماعية في غاية الأهمية وهو موضوع المرأة حيث دعا إلى تحريرها والاعتراف بإنسانيتها وإعطائها حقوقها الكاملة التي أقرها لها ديننا الحنيف كما نقد الأوضاع الاجتماعية المتردية والأفكار السائدة ورسم لنا صورة المرأة ومكانتها في المجتمع الذي ذلها واحتقرها وقيد حريتها وفي القصة مفردات كثيرة تدل على ذلك نذكر منها: عورة دولاب بشري خيالها محجوز المخلوقات العجماء صامتة كالقبر لقد كان الكاتب جريئاً في دعوته لتحرير المرأة والارتقاء بأفكارها.

في الحقيقة استهل أحمد رضا حوحو قصته بعنوان "عائشة" ما يدل على أن نصه يدرج قضية المرأة بشكلها العام لكن حين نعوض في حيثيات القصة يشدنا انتباه كبير إلى أن عائشة هي صورة من صور النساء الجزائريات اللواتي عانين ويلات الإهمال والظلم في فترة من الفترات كما أن اسم عائشة هو من الأسماء الإسلامية فمن منا لا يعرف عائشة زوجة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

في الحقيقة انعكس فيها الواقع المرير الذي عاشته النساء من قهر وحرمان حيث كن يعاملن معاملة الحيوانات بل أشد قسوة حيث يقول: "تعودت عائشة هذه النشأة وألفت هذه المكانة الخاصة في المجتمع أو قل إنها ورثت هذه المكانة كما ورثتها والدتها عن السابقات من النساء منذ عهد قديم هي إذا كائن تافه لا مسئولية له في الحياة بل إنها آتفه من أي حيوان من الحيوانات التي يملكها والدها الذي لا يستحي من ذكر حماره أمام الناس ويفتخر بذكر حصانه والحديث عنه ولكل منها مسئولية في الحياة وبعض الحرية في تصرفاته وشؤونه الخاصة، أما عائشة فإنها دولاب بشري تديره يد ذويها فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإراداتهم ووفقاً لرغباتهم وكل هذا لا يعنيه ولم تفكر فيه بل إنها لا تملك حق التفكير فيه، فهي تسير في طريق مرسوم محدد كما سارت وستسير بنات بجدتها في الماضي والحاضر والمستقبل لا يعرفن الجديد ولا قديم وإنما يعرفن حياة يومية متشابهة لا يختلف فيها يوم عن يوم"⁷.

كما لاحظنا في البحث أنفا لم تكن لهن أبسط الحقوق بل كانوا يستحيون حتى من ذكر أسمائهن أمام الملأ وعلى النقيض من ذلك كان سيد الخلق يصرح بحبه وإكرامه لعائشة رضي الله عنها ولا يجد حرجا في ذلك وهذا منتهى الإكرام للمرأة. وهكذا إذن صور لنا أحمد رضا حوحو من خلال مجموعته القصصية نماذج بشرية احوال المرأة في المجتمع الذكوري الذي يسرق حقها في الحياة ويعمل على كتم صوتها وحرمانها من حقوقها الشرعية التي كفها لها الإسلام فالقصة الإصلاحية عموما وأحمد رضا حوحو خصوصا نموذج رائع لنظرة الرجل الإصلاحية الذي يرى المرأة شريكة له في الحياة لأنه يعي جيدا الدور الكبير الذي تؤديه المرأة الواعية المثقفة التي تملك كامل حقوقها في بناء المجتمع وصلاح أفراد.

تناولت القصة القصيرة الجزائرية في القرن العشرين وخاصة في فترة الثورة الجزائرية وبعدها عددا من القضايا المهمة التي احتلت مركز الصدارة في المجموعات التي صدرت في هذا الوقت. وقد كانت هذه القضايا مدار اهتمام العديد من القاصين الجزائريين الذين طرحوها وعبروا عنها من خلال القصة التي عالجتها بأكثر من طريقة. وعندما نطالع المجموعات القصصية في هذا الوقت نلاحظ تنوعا واضحا وملموسا في القضايا التي عالجتها القصة القصيرة. وهذا يحتم علينا ترتيبها ترتيبا يجعل من السهل تناولها ودراستها حيث جاءت مرتبة على النحو التالي حسب عدد ورودها في القصة القصيرة الجزائرية في هذه الفترة.

الهوامش

¹ ابن سالم، عبد القادر. مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد. دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب، 2001م. ص: 18.

² شريط، أحمد. تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة. ص: 69.

³ حوحو، أحمد رضا. نماذج بشرية تقديم الأستاذ الدكتور بوطاجين. القطر: الناشر وزارة الثقافة والفنون والتراث. ص: 42.

⁴ حوحو، أحمد رضا. نماذج بشرية، قصة عائشة. ص: 41 - 48.

⁵ حوحو، أحمد رضا. نماذج بشرية تقديم الأستاذ الدكتور بوطاجين الناشر. القطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث. ص: 44-45.

⁶ منور، أحمد. قراءات في القصة الجزائرية. ص: 40-41.

⁷ حوحو، أحمد رضا. نماذج بشرية، قصة عائشة. ص: 41-42.

المصادر والمراجع

- بن سالم، عبد القادر. مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد. دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب، 2001م.
- الجلولي، العيد. النص الأدبي للأطفال في الجزائر (دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته)، الجزائر: مطبعة دار هومة، 2003م.
- حوحو، أحمد رضا. نماذج بشرية، مؤسسة الهداوي، للتعليم والثقافة، 2012م
- حوحو، أحمد رضا. نماذج بشرية تقديم الأستاذ الدكتور بوطا جين. القطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث.
- حوحو، أحمد رضا. مع حمار الحكيم. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.
- سعداوي، حفيظة. نماذج بشرية لأحمد رضا حوحو، دراسة فنية. مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. الجزائر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، السنة الجامعية، 2012-2013.
- شريط، أحمد. تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة.
- طهاري، نجية. أحمد رضا حوحو وأدبه، دراسة في موضوعاته وبنائه الفني. الجزائر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 2019-2020م.
- عائشة، ممد. أحمد رضا حوحو رائد القصة القصيرة في الجزائر. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العام الجامعي، 2016-2017م.
- عميش، عبد القادر. قصة الطفل في الجزائر دراسة في المضامين والخصائص. وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003م.
- منور، أحمد. مسرح أحمد رضا حوحو. رسالة ماجستير معد الأدب واللغات، جامعة الجزائر، 1986م.

قصة صبحي فحماوي "ساحتفل بعيد ميلادي": دراسة تحليلية

أمير الدين*

altamatto@gmail.com

ملخص البحث: كما نرى أن القصة القصيرة في الأدب العربي ظهرت في بداية القرن العشرين، وكان من أهم أسباب ازدهارها هي الطباعة والاهتمام بالترجمة، وبعثات الطلاب إلى فرنسا، وبالإضافة إلى التحولات الاجتماعية التي طرأت على بنية مجتمع العربي والتي استدعت ظهور جنس جديد عربي يعبر عن تلك التحولات والتناقضات والأزمات. ومن أهم كتاب القصة القصيرة في الوطن العربي محمود تيمور، يوسف شالوني، يحيى حقي، يوسف ادريس ونجيب محفوظ، صبحي فحماوي وغيرها- هناك سنذكر فقط قصة صبحي فحماوي "ساحتفل بعيد ميلادي" ونحلل القصة في هذه الدراسة وسنركز على الزمان والمكان والشخصيات خلال التحليل.

كلمات مفتاحية: صبحي فحماوي، قصة عيد ميلادي، دراسة تحليلية، الشخصيات. **المقدمة:** ظهرت القصة القصيرة في الأدب العربي مع مطلع القرن العشرين نتيجة مجموعة من العوامل، منها الطباعة التي كان وراء ازدهار الصحافة والاهتمام الكبير بالترجمة، وبعثات الطلاب. إضافة إلى التحولات الاجتماعية التي طرأت على بنية مجتمع العربي والتي استدعت ظهور جنس جديد عربي يعبر عن تلك التحولات والتناقضات والأزمات. ومن أهم خصائص القصة القصيرة الكثافة والإيجاز، ومن عناصرها الشخصيات، الأحداث، الزمان، المكان، السرد، العقدة والحل، والوصف، والحوار. ومن أهم كتاب القصة القصيرة في الوطن العربي محمود تيمور، يوسف شالوني، يحيى حقي، يوسف ادريس، ونجيب محفوظ- وأما هذه القصة فهي مأخوذة من كتاب "موسم حصاد الحزين" لصبحي فحماوي. وقد أصدر الكاتب أكثر من أربع مجاميع قصص قصيرة، منها: الرجل الموميا، فلفل حار، موسم حصاد الحزين، وصباي في العشرينات.

اعتماداً على ملاحظة بعض أدوات عنوان البداية والنهاية يتضح أن هذا النص قصة قصيرة تتناول حياة الكاتب المولودة والاجتماعية التي سقط رأسه فيها.

*باحث الدكتوراه جامعة جواهر لال نهرو.

بدأت القصة بمقدمة، حيث زوجة السارد تسأله عن ميلاده وهو لا يصغي الى كلامها لأن سؤالها عنده مما لا يعنيه. واستهلت عقدة القصة حينما ازداد إلحاح زوجته بالمعرفة عن ميلاده، فاجابها السارد، ولدتني أمي في موسم حصاد العدس والبقول، عندما نشبت الحرب بين الصهاينة والمسلمين عام 1948م، وقص السارد تفاصيل القصة على زوجته حتى كادت أن تبكي، وقالت له لو علمت تفاصيل ميلادك لما سألتك عنه ابدا، ونهاية القصة هي حزينة اذ اكفهر وجه الكاتب حينما سمع ما قالت له أمه: يا بني! أنت مستاء لضياح شهادة الميلاد وأنا ضاع مني وطني وبيتي وزوجي. تنتظم أحداث القصة في الزمان والمكان وغيرها من العناصر، ندرجها على الشكل التالي.

الزمان: أشار السارد فيه إلى عقدة القصة ومشكلتها بتصريف الأفعال الماضية ووجود تاريخ معين، اذ يقول السارد: "على ذمة أمي، وحسب أقوالها، وبعد استجواب عدد من خالاتي وأعمامي مؤخرا، فهمت مجمل الرواية، ولدتني أمي في موسم حصاد البقول في قرية أم الزينات حيفا في جبال الكرمل، وبعد شهر من ولادتي طلب منها والدي ان تذهب على الأقل لتراقب النساء اللواتي يجمعن العدس والبقول من ارضنا... قال عمي ابو يونس سقطت أم الزينات بيد المحتلين في ١٥ من شهر ايار عام ١٩٤٨م، معنى ذلك أنني ولدت في شهر نيسان".

انتبه من درس العبارة المذكورة اعلاه الى دمار شامل وقع في ١٥ من شهر ايار عام ١٩٤٨م بقرية أم الزينات وبجوارها من القرى، أمثال عين غزال، اجزم، وجبع. وبهذا الصدد هناك معلومات تشعل نار الاشتهااء الى ذهن القارئ أن يعلم أحوالا هائلة سادت حينئذ على اهل ام الزينات، وهي كما ياتي. "هدم الأعداء أم الزينات وأخرجوا سكانها وأقاموا على أراضيها مستعمرتهم الياقيم عام ١٩٤٩م، كان بها عام ١٩٦١م، ٥٣٢ يهوديا. وأما الأمكنة فقد وردت أسماء خمسة مواضيع بهذه القصة، منها ثلاث قرى، هي أم الزينات، اجزم، ومرج بن عامر، ومدينتان، هي حيفا وجنين.

أم الزينات: سمة المكان: قرية كان المسلمون يسكنون فيها. أغلبية سكانها فلاحون، أهم محاصيلها الزيتون، ثانية قرى حيفا غرسا له. اذ ورد عن ام الزينات في كتاب "بلادنا فلسطين" "في الجنوب الشرقي من حيفا وعلى بعد ٢٧ كم عنها (عن طريق المنصورة) ترتفع أم الزينات ٣١٧ مترا عن سطح البحر. مساحتها ٦٩ دونما. أقرب قرية لها (الريحانية) في جنوبها وتبعد أم الزينات بنحو أربعة أميال للجنوب الشرقي من دالية

الكرمل. وتملك أم الزينات ٢٢١٥٦ دونما، منها ١٢ للطرق والوديان و٥١ لليهود، غرس الزيتون في ١٨٣٤ دونما فهي بذلك ثانية قرى قضاء حيفا غرسا له^١.
دلالة المكان: ولد القاص بأم الوينات في شهر نيسان عام ١٩٤٨م. اثناء معركة نشبت بين اليهود والمسلمين. اذ يشير النص اليه. " ولدتني أمي في قرية أم الزينات، حيفا، في جبال الكرمل..... قال عمي أبو يونس سقطت أم الزينات بيد المحتلين في ١٥ من شهر ايار عام ١٩٤٨م معنى ذلك أنني ولدت في شهر نيسان. وهي قرية فيها فوضى وفلتاني تماما. وذلك لما بدأ الناس يهاجرون منها الى مدينة جنين خائفين على أنفسهم وعائلتهم. اذ يقول السارد. "لم يستمر الحصاد، بل ظلت الغمار على أرضها، وذلك لأنهم قد أعلنوا أن الصهاينة قد وصلوا الى مشارق أم الزينات وأن المعارك تشتد في المنطقة..... حينما ازدادت المعارك ضراوة، وازداد الضغط على أم الزينات، شعر والدك رحمه الله بأن بلدنا في خطر..... كانت القافلة المهاجرة معظمها من النساء والأطفال، بعضهن يمشين سيرا على الأقدام وحيدات، أو حاملات لأطفالهن يتعثرن، أو تسقط واحدة منهن من شدة الإعياء والتعب لطول المسيرة".

و"اجزم: من جزم بمعنى "قطع" و"عزم". في جنوب حيفا. مساحتها ٩١ دونما. ترتفع نحو مئة متر عن سطح البحر. عين غزال وجبع أقرب قريتين لها. الأولى في جنوبها الغربي والثانية في شمالها الغربي."^٢

دلالة المكان: بعد انهزام العرب في المرة الأولى بمشارف أم الزينات. ذهب والد القاص الى اجزم حيث تجمع الناس للدفاع عن حيفا. اذ يقول السارد. "عندما ازدادت المعارك ضراوة، شعر والدك بأن بلدنا في خطر فدخل البيت وأخذ منه كل الأوراق الهامة.... وأعطاني اياها وقال دبري بالك على الأولاد يا حمدة وتركني وذهب الى اجزم حيث انتقل المدافعون عن جبال الكرمل بعد أن سقطت حيفا وتجمعوا في منطقة أجزم" ويضيف الكاتب الآخر الى حادثة مؤلمة حلت بهذه القرية.

"وفي ٢١/٧/١٩٤٨ بدأت الطائرات اليهودية تقصف هذه القرى الآمنة التي اطمأنت الي الهدنة. وقد استمر قصف الطائرات اليهودية لها عدة أيام زحف بعدها الجيش اليهودي فاحتل هذه القرى بعد أن انسحب منها أغلب اهلها وأسر الباقون وقتل منهم ما يزيد على مئة وأزالوا جبع، عين غزال، واجزم من الوجود."^٣

و"اجزم: من جزم بمعنى "قطع" و"عزم". في جنوب حيفا. مساحتها ٩١ دونما. ترتفع نحو مئة متر عن سطح البحر. عين غزال وجبع أقرب قريتين لها. الأولى في جنوبها الغربي والثانية في شمالها الغربي.⁴

دلالة المكان: بعد انهزام العرب في المرة الأولى بمشارف أم الزينات. ذهب والد القاص الى اجزم حيث تجمع الناس للدفاع عن حيفا. اذ يقول السارد. "عندما ازدادت المعارك ضراوة، شعر والدك بأن بلدنا في خطر فدخل البيت وأخذ منه كل الأوراق الهامة.... وأعطاني اياها وقال دبري بالك على الأولاد يا حمدة وتركني وذهب الى اجزم حيث انتقل المدافعون عن جبال الكرمل بعد أن سقطت حيفا وتجمعوا في منطقة أجزم"- ويضيف الكاتب الآخر الى حادثة مؤلمة حلت بهذه القرية.

"وفي ٢١/٧/١٩٤٨ بدأت الطائرات اليهودية تقصف هذه القرى الآمنة التي اطمأنت الى الهدنة. وقد استمر قصف الطائرات اليهودية لها عدة أيام زحف بعدها الجيش اليهودي فاحتل هذه القرى بعد أن انسحب منها أغلب اهلها وأسر الباقون وقتل منهم ما يزيد على مئة وأزالوا جبع، عين غزال، واجزم من الوجود.⁵

حيفا: "يرى البعض أن أصل الكلمة من حف بمعنى شاطئ (٢) بينما يرى صاحب معجم البلدان بان الاصل مأخوذ من حيفاء وهي من الحيف بمعنى الجور (٣) وقد تكون التسمية مأخوذة من الحيفة بمعنى الناحية(٤) ويرجح رأي آخر بأن الأصل في الحيفة بمعنى المظلة والمحمية وذلك نظرا لأن جبال الكرمل تحيط بها وتحميها وتظلها (٥)" قصة مدينة حيفا، سلسلة المدن الفلسطينية (٢١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينيين.

ان جميع المعاني المذكوره يدل على الواقع بناحية ما، ولكن المفهوم الأول راجح، تثبته جغرافيتها، وتؤيده الخريطة الفلسطينية.

كما أورد مصطفى مراد الدباغ في كتابه عن وقوعها، ما يلي، "لقد ساعدت طبيعه حيفا في موقعها فانها واقعه على بحر وطرف سهل وسفح جبل. البحر ينفعها من الوجهة التجارية والسهل من الوجهة الزراعية، وجبل الكرمل يزيد موقعها جمالا وميناؤها امنًا حتى ان السفن لا ترسو في فلسطين عند اشتداد الانواء في فصل الشتاء الا فيها.⁶

دلالة المكان: حيفا مدينة تقع فيها أم الزينات، والتي تحدث فيها الحادثة الرئيسية لهذه القصة.

و"جنين. مدينة تقع في شمالها الناصرة، وفي غربها الشمالي بيسان، وفي شرقها حيفا، وفي جنوبها نابلس.

دلالة المكان: أعان أهل مدينة جنين اللاجئين من المسلمين وبحثوا لهم عن المأوى المؤقت. اذ يقول السارد: "بسبب رهبة الموت المنتشر في ثنايا قافلتنا وطول الطريق ووعورتها؛ واستمرت القافلة المهاجرة حتى وصلنا الى مشارف جنين حيث قابلنا الناس، وتلقفونا ليقدموا لنا الطعام والدواء، واخذوا يساعدوننا في ايجاد الماوى المؤقت".
وأما الشخصيات فهي كالتالي.

الشخصية الرئيسية: الكاتب هو الأساس الذي تدور حوله القصة الكاملة. بعدها الجسماني: كان الكاتب مولودا رضيعا حملته امه الى مزارعها حين حصاد العدس، ودهنته بزيت الزيتون، لتتقذه من أشعة الشمس أو من ريح جافة، اذ يقول السارد "وضعتني أمي بين غمار العدس، وظللت فوقى قطعة قماش بيضاء، على بشكل مظلة ودهنتني بزيت الزيتون.... حتى صاحت خالتي أم إبراهيم يا ويلك يا حمدة ابنتك أكله النمل بين العدس، هجمت أمي (وهي لم تزل نساء) باتجاه طفلها".
بعدها النفسي: قد غشيه الهم وصاحبه الحزن بسبب عدم معرفته تاريخ ميلاده، اذ يقول السارد "صحيح أنني لا أفكر بالاحتفال بعيد ميلادي، ولكن لا أخفي عليك أن عدم معرفتي تاريخ ميلادي، ينغص على حياتي ويحزنني في كل مناسبة".
الشخصية الثانوية: زوجة القاص.

بعدها الجسماني: الضحك والبكاء، وهذا هو النص الآتي الذي يدل اليهما "في كل مرة أشترى الجريدة، تتلقفها زوجتي.... ثم تسألني، من أي برج أنت؟ أجبتها بصراحة. أنا مولود في موسم حصاد العدس تضحك زوجتي وتتمتم بكلام غير مفهوم. كانت دموع زوجتي تسبح على خديها وهي تقول لو علمت تفاصيل قصة لما سألتك أبدا.
بعدها النفسي: الاشتياق الى أن تعرف تاريخ ميلاد زوجها وتسأله عنه مرارا. كما يشير السطر الآتي اليه "أنني متلهفة لمعرفة ظروف اختفاء تاريخ ميلادك هذا"
بعدها الاجتماعي: غير موجودة.
الشخصية الثانوية: أم القاص.

بعدها الجسماني: ذهبت الأم الى مزارع العدس لتجعل حصاده وهي لم تزل نفساء. اذ يقول السارد: هجمت أُمي (وهي لم تزل نفساء) باتجاه طفلها، فوجدت وجهي مغطى بالنمل الأسود.

بعدها النفسي: الحزن والكآبة والكرب حيث يقول السارد "تسألني عن شهادة ميلادك يا ولدي؟ أولى لك أن تشكر الظروف التي أبقتك حياحتى هذه الأيام، أنت مستاء لضياع شهادة ميلادك وأنا ضاع مني وطني وبيتي وزوجي".

بعدها الاجتماعي: يبدو أنها كانت من فلاحي القرية ورؤسائها، لأنها لها خدم وأجراء، تستاجرهم ليحصدوا محاصيل العدس، وحماران يساعدانها في أعمال الزراعة. اذ يقول السارد "طلب منها والدي أن تذهب على الأقل لتراقب النساء اللواتي يجمعن العدس والبقول من أرضنا". ويضيف "وكان لنا حماران أحدهما أبيض والآخر أسود يساعداننا في أعمال الزراعة والمعيشة".

أفعال الشخصيات: هذه هي الفقر العمودي للقصة حيث يتقدم الكاتب بمساعدة الشخصية الثانوية الى الأمام بسهولة متحدثا إياها بأشكال متعددة مع وسائل متفرقة تنطبق على الشخصيات.

ويلى ما يوجد من أفعال القاص وزوجته (الشخصية الرئيسية والشخصية الثانوية) "في كل مرة أشتري الجريدة، تتلقفها زوجتي، وتفتحها بسرعة على صفحة الأبراج، ثم تسألني، من أي برج أنت؟ فأجيبها بصراحة أنا مولود في موسم حصاد العدس. ويضيف. فتعود زوجتي لتسألني. ألا تريد أن تحتفل بعيد ميلادك؟ فأجيبها لا مباليا: عندما يأتي موسم العدس، احتفلي بعيد ميلادي معك موسم كامل لتحتفلي خلاله.

وأما العلاقة بين الشخصية الرئيسية والشخصية الثانوية فهي علاقة الزوج والزوجة. أفعال الشخصية الرئيسية والشخصية الثانوية.

القاص وأمه: سألت أُمي عن هذا الموضوع، فأجابت: عندما ازدادت المعارك ضراوة.... شعر والدك بأن بلدنا في خطر.... فدخل البيت وأخذ منه كل الأوراق الهامة.... وشهادات ميلاد الأولاد... وأعطاني إياها.... ووضعت الأوراق والوثائق الثبوتية كلها في كيس ربطته في عنقي... ركبت الحمار الذي في المقدمة.... واستمرت القافلة المهاجرة حتى وصلنا الى مشارف جنين، حيث قابلنا الناس هناك... تفقدت صدري

وتحسست عنقي هنا وهناك، فكان خالياً من الكيس... سقط الكيس الذي وضعت فيه جميع الأوراق الثبوتية... تسألني عن شهادة ميلادك يا ولدي؟ أولى لك ان تشكر الظروف التي أبقتك حيا حتى هذه الأيام". وأما العلاقة بينهما فهي علاقة الابن والأم. مهنتها:

مهنة الشخصية الرئيسية والشخصية الثانوية: غير مذكورة. وأما مهنة الشخصية الثانوية فهي زراعة.

الشخصيات العابرة: صديق القاص محمود، الذي ولد في ٢٩ من شهر شباط. وعمه أبو يونس، الذي أخبر أن أم الزينات سقطت بيد المحتلين في ١٥ من شهر أيار عام ١٩٤٨م. وخالته أم إبراهيم التي صاحت يا ويلك يا حمدة ابنك أكله النمل بين العدس. وأما الأسلوب فرسم به الفنان الأدبي بواسطة جمل بسيطة وألفاظ غير غريبة، ومعان واضحة، تخط على ذهن القارئ صورة حقيقية.

إن كاتب هذه القصة يهدف الى رفع الستار عن الأوضاع الزراعية الفلتاتية في فلسطين، وعن الأوضاع الاجتماعية الحربية السائدة عليها، وما أصاب الفلسطينيين من سفك اليهود دماء الأطفال وقصفهم بيوتهم وقتلهم الشيوخ والنساء وانتزاعهم أوطانهم قسراً، ويقصد الكاتب خاصة الى كشف السر عن أحوال الهجرة الى مدينة جنين، بواسطة قصة شهادة ضائعة في الهجرة من قرية أم الزينات الى مدينة جنين، حينما تفاقم ضغط الصهاينة (الصهيونية فكرة يهودية دينية وسياسية معا وهي مأخوذة من كلمة (صهيون) أحد جبال القدس. هدفها تحقيق الطموح الديني اليهودي بالاستيلاء على فلسطين وجعلها مركزاً للدولة اليهودية وإعادة بناء معبدهم المسمى (هيكل سليمان) مكان المسجد الأقصى المبارك وممارسة العبادة الدينية فيه. "حسني أدهم جرار، نكبة فلسطين عام ١٩٤٧-١٩٤٧ مؤامرات وتضحيات، دار المأمون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ١٢. على أم الزينات واشتدت الأوضاع عليها سوءاً، عقب ما أعلنت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين الى جزئين لليهود وللمسلمين، وحظي اليهود بنصيب أكبر من أراضي فلسطين مساحتها، فاستشاط المسلمون غضباً على هذا التقسيم الظالم الغاصب، واحتدم الصراع بينهما، وكان اليهود يساعدهم الانتداب البريطاني في هذه الحرب، ويناوئهم سلاحاً مختلفاً للقتال والدمار اذ تحرم الحكومة البريطانية المسلمين السلاح ايا كان نوعه، ويوجه إليهم إرشادات ليكونوا بموجبها

خاوي الوفاض دون أي عدة حربية. اذ ورد في كتاب "قصية مدينة حيفا." "لأن حكومة الانتداب البريطاني حرمت على السكان العرب اقتناء السلاح أو حمله في حين تكدست الأسلحة لدى الصهيونيين".

فكانت الحرب بين اليهود المسلحين المدربين والمسلمين المنعزلين عن أي عتاد. ولما شاهد والد القاص الحياة في خطر بقرية أم الزينات، فأعد زوجته وأولاده، وأذن لهم بالهجرة مع القافلة المهاجرة الى مدينة جنين ليقيموا بها في بيئة آمنة غير مذعورة ريثما تستمر الحرب في قريتهم. وانضم الوالد الى المدافعين عن حيفا بقرية اجزم. ولم تكد تنتهي الحرب حتى انتبعت حمدة (ام القاص) الى أن لقي زوجها مصرعه. ولم تكن هي أرملة فقط بل انتزع الصهاينة وطنها وبيتها وزوجها.

الهوامش

- 1 الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين. ص: 659.
- 2 بلادنا فلسطين. ص: 664.
- 3 بلادنا فلسطين. ص: 655.
- 4 بلادنا فلسطين. ص: 664.
- 5 بلادنا فلسطين. ص: 655.
- 6 الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، ج 7. ق 2، ص: 531.

المصادر والمراجع

- عدنان محمود سلمان. تاريخ الدولة العثمانية، ج 2، 1. مراجعة وتحقيق: د. محمود الأنصاري، إستانبول: منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، 1988 م.
- حسني، أدهم جرار. نكبة فلسطين عام 1947 م، ط 1. دار المأمون للنشر والتوزيع، 2008 م.
- د. أكرم حجازي. الجدور الاجتماعية للنكبة فلسطين عام 1948. مدارات للأبحاث والنشر.
- قصة مدينة حيفا، سلسلة المدن الفلسطينية. تصدر عن: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية.
- التل، عبد الله. كارثة فلسطين، مذكرات عبد الله التل، ط 1. دار الهدى 1959 م.
- البارودي، فخري. كارثة فلسطين العظمى. الناشر مؤسسة هندواوي.

أمل الرندي: إسهاماتها في قصص الأطفال الكويتية

قمر الإسلام*

Kamrulau2016@gmail.com

ملخص البحث: تعد القصة أبرز جنس من الأجناس الأدبية للأطفال. لأن القصة تؤدي دورًا ملموسًا إلى حياة الأطفال من حيث تنمية تفكيرهم وقدراتهم وخيالهم. ولذا قد اهتم الأدباء والأدبيات بكتابة قصص الأطفال. ومن هؤلاء الأدباء والأدبيات أن الأدبية الكويتية أمل الرندي تعتبر من أبرز كاتبات قصص الأطفال باللغة العربية في العصر الراهن. ولها أكثر من أربعين كتابًا في مجال أدب الأطفال. وحصلت على عدة جوائز من الكويت ومختلف الدول العربية. وقد كتبت عددًا ضخمًا من الأبحاث والكتب والقصص الموجهة إلى الأطفال واليافعين. وتستمر في كتاباتها القصصية الإبداعية للأطفال حتى يومنا هذا.

ونظرًا إلى إسهامات الأدبية أمل الرندي في قصص الأطفال، قد اخترت هذا الموضوع. وفي هذه المقالة، سأسلط الضوء على حياة الكاتبة أمل الرندي بشكل موجز، وأناقش إسهاماتها في قصص الأطفال الكويتية. كما سأتناول بعض أهم قصصها الإبداعية المتضمنة لموضوعات شتى بالتحليل الوصفي.

كلمات مفتاحية: أمل الرندي، مرحلة الطفولة، قصص الأطفال، التحليل الوصفي. **المقدمة:** يمر الإنسان بمراحل مختلفة في الحياة الإنسانية منذ الولادة حتى الوفاة. وتعتبر مرحلة الطفولة من المراحل المهمة في كل حياة الإنسان. لأن هذه المرحلة تلعب دورًا بارزًا في حياة الإنسان لبناء مستقبل الأمة. ومن هنا تأتي أهمية أدب الأطفال وانتشر أدب الأطفال بشكل كبير على مرور الزمن في العالم العربي مع مختلف الفنون الأدبية.

ومنها أن قصص الأطفال تعد من أبرز فنون أدب الأطفال. وتلعب قصص الأطفال دورًا كبيرًا في تنمية الأطفال في مختلف جوانب شخصيتهم اللغوية والعقلية والانفعالية والاجتماعية. لأن القصص تعطي الأطفال شعورًا واضحًا بالعلاقة بين خبراتهم الشخصية والخبرات الإنسانية كلها. ولذا قد اهتم الأدباء والكاتبات بكتابة قصص الأطفال وشهد العالم العربي تطورًا مذهلاً في مجال أدب الأطفال والقصص الموجهة

*باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، الهند

للأطفال بشكل خاص. فظهر جيل من الأدباء المهتمين بالأطفال في العالم. ومن هنا نرى أن الأدبية أمل الرندي تعد نجمًا من النجوم اللامعة في سماء قصص الأطفال الكويتية. ولها دور بارز في مجال تطور قصص الأطفال الكويتية في العالم العربي. قبل مناقشة موضوع البحث يحسن بنا أن أقدم مسيرة حياة أمل الرندي موجزًا.

مسيرة حياة أمل الرندي موجزًا: الأدبية أمل عبد الجبار مزعل عبد الجليل الرندي ولدت في الكويت¹ من أب كويتي وأم مصرية. ولكنها نشأت في مصر بحضارتها المتنوعة حيث حصلت على دراستها العلمية. قالت الأدبية الرندي عن طفولتها: "كنت في طفولتي أحب الاشتراك في أنشطة المدرسة، كالتمثيل والعزف على الأوكورديون والاكسيلفون، والاشتراك أيضًا في العمل الكثفي. كنت أحب الأنشطة كثيرًا"².

وبعد إكمال دراستها الثانوية، التحقت بكلية التربية في قسم رياض الأطفال بجامعة حلوان- القاهرة³. درست فيها مادة أدب الطفل وعلم النفس والاجتماع وغير ذلك. وهذه الدراسة ساعدتها للتعرف على تركيبة النفس البشرية ونفسية الطفل واحتياجاته ودوافعه⁴. والتقت بالدكتور يعقوب الشاروني، عميد أدب الطفل في الوطن العربي. وهناك درست منه أدب الأطفال وتأثرت منه تأثيرًا كثيرًا. فاهتمت بمجال أدب الأطفال وبدأت كتابة الأطفال خلال دراستها الجامعية.

وبعد التخرج من الجامعة، انتقلت الأدبية الرندي إلى الكويت. وبدأت حياتها العملية كصحفية بكتابة في مجلة "أسرتي" الكويتية عام 2005م⁵. ثم انضمت إلى جريدة "الراي" الكويتية وبدأت فيها كتابة المقالة الأسبوعية تحت عنوان "نافذة الأمل" منذ عام 2006م وحتى يومنا هذا⁶. وقد نالت هذه المقالات الأسبوعية قبولًا حسنًا لدى القراء. لأن الأدبية الرندي ناقشت في هذه المقالات الأسبوعية سبل الوصول إلى أفكار جديدة لحل الظروف الصعبة في حياة الإنسان من الاكتئاب واليأس والحزن وغيرهم. كما كتبت الأدبية الرندي المقالات المتنوعة التي تعالج الموضوعات المختلفة للأطفال في العديد من مجالات الأطفال المتخصصة؛ ومن أهمها: "العربي الصغير"، و"مجلة أجيالنا للأطفال" و"مجلة كونا الصغير" وغيرها⁷. تحدثت الرندي عن تجربتها الصحفية: "كانت تجربة صحفية هامة وثريّة حرصت فيها على تطوير نفسي دائمًا والبحث عن الأفضل، والتركيز على المقالات الهادفة"⁸.

علاوةً على ذلك، تتمتع الأدبية الرندي أيضاً بمشاركة فعالة في العديد من المجالات الثقافية والبرامج التلفزيونية والإذاعية المختصة بالأطفال في الكويت وخارجها. **إسهاماتها في قصص الأطفال الكويتية:** إن الأدبية أمل الرندي لم تتوقع يوماً أن تكون كاتبة أدب الأطفال، رغم أنها تحب الأدب بشكل عام وتستمتع به كثيراً. لا يعرف أحد أين يذهب مصيرنا، أحياناً لا تسير الأمور كما يشتهي المرء. ولذا نحن نرى في بعض الأحيان أن القدر يأخذنا إلى مستقبل باهر أو عكسه. كتبت الرندي أول قصة للأطفال عندما كانت طالبة بكلية التربية في قسم رياض الأطفال بجامعة حلوان بالقاهرة⁹. كما تحدثت الرندي عن بداياتها الإبداعية للأطفال: "فعندما كنت في السنة الثالثة بكلية التربية في قسم رياض الأطفال في جامعة حلوان بالقاهرة، طلب منا الدكتور يعقوب الشاروني، وهو من رواد أدب الطفل في الوطن العربي، كتابة قصة للأطفال، ووعد الطلاب بأن القصة التي يجدها مناسبة سينشرها في مجلة "نصف الدنيا". حينها كتبت أول قصة في حياتي وكانت بعنوان "الفيل صديقي"، وشكلت نقطة انطلاقي الأولى في عالم أدب الطفل، وعندما أبدى د. يعقوب الشاروني إعجابه بها، وفعلاً نشر القصة ولم تكن الدنيا تتسع لفرحتي"¹⁰. هكذا بدأت الأدبية الرندي مسيرتها الأدبية للأطفال بمحض الصدفة. وتستمر في كتاباتها القصصية الإبداعية للأطفال حتى يومنا هذا.

قدّمت الأدبية الرندي العديد من القصص والكتب المتنوعة التي تعالج الموضوعات المختلفة حتى تجاوزت نحو 40 كتاباً في مجال أدب الأطفال¹¹؛ ومن أهمها: مجموعة "قصص الأمل التربوية" (الصادرة عن دار الحافظ للطباعة والإنتاج والنشر والتوزيع، دمشق) ومجموعة "حدائق العسل" (الصادرة عن دار شمس الكويت، 2015م)، وقصة "نجم المستطيل الأخضر" (الصادرة عن دار المؤلف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2016م) وغيرها. كما أصدرت الرندي العديد من الإصدارات المختلفة في مجال التنمية البشرية¹²؛ ومنها: كتاب "نافذة الأمل" (الصادر عن دار اليقين، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010م)، وكتاب "هل أنت" (الصادر عن دار اليقين، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013م)، وكتاب "صباح الحياة" (الصادر عن دار شمس الكويت، 2014م) وغيرها. وقد نالت قصصها الأطفال قبولاً حسناً لدى الأطفال. ولأجل ذلك نرى، نظراً لأهمية أعمالها القصصية، قد انتشرت أعمالها القصصية في

العالم شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً. وساعدتها إلى الشهرة والإبراز على انتشار أعمالها الأدبية في مجال أدب الأطفال. وأدرجت كثير من الدول العربية بعض قصصها لتكون ضمن المنهج الدراسي الرسمي في المرحلة الابتدائية. كما قد اختارت "إدارة المكتبات" في وزارة التربية والتعليم مجموعة من قصصها الأطفال لتوزيعها على مكتبات رياض الأطفال في الكويت¹³.

إنها قد شاركت في الكثير من الأنشطة الأدبية المتعلقة بالطفل في مختلف الدول العربية؛ ومنها:

في الكويت: شاركت في ورش عمل أقامتها جامعة الكويت على هامش "مؤتمر المواطنة وتعزيز قيم الولاء والانتماء".

وفي الشارقة: شاركت في ملتقى الإمارات للإبداع الخليجي عام 2016م الذي أقيم تحت شعار "الطفولة.. تربية الإبداع".

وفي القاهرة: شاركت في "مؤتمر أدب الأطفال وتنمية الإبداع محلياً وعربياً وعالمياً"¹⁴. كما شاركت في العديد من البرامج التلفزيونية والإذاعية المختصة بالأطفال في الكويت وخارجها.

ولها أيضاً مشاركات فعالة في العديد من الورش للقراءة والندوات والمؤتمرات المختصة بالأطفال في المدارس والجامعات الحكومية والخاصة في مختلف الدول العربية. كما نظمت حلقة نقاشية حول "إعلام الطفل بين الحاضر والمستقبل" في جمعية الصحفيين الكويتية¹⁵. وساهمت في إطلاق مبادرات متنوعة مختصة بالأطفال لتشجيع القراءة ومشاركة الأطفال فيها بصورة مباشرة؛ ومنها: أسست الرندي مبادرة "أصدقاء المكتبة" في دولة الكويت بالتعاون مع رابطة الأدباء الكويتيين، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب¹⁶. وهذه مبادرة ثقافية مختصة بالأطفال في المكتبات، حيث يأتي فيها الأطفال مع والديهم لحضور الجلسات المختلفة التي يحضرها كاتب القصة ليعرض عمله على الأطفال، ويتحدث الكاتب في حلقات نقاش مع الأطفال، حيث يتحاور فيها الأطفال مع صاحب العمل مباشرة. وقد لقيت هذه المبادرة ترحيباً حاراً لدى الأطفال ونالت استحسان الأطفال ومشاركتهم.

إنها شاركت الرندي في تحكيم عدد كبير من المسابقات والجوائز في العالم العربي حتى حصلت على العديد من الجوائز من الكويت مختلف الدول العربية؛ ومن أبرزها:

جائزة الدولة التشجيعية في أدب الطفل من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت مرتين¹⁷: للمرة الأولى عام 2011م عن مجموعتها القصصية "مجموعة الأمل التربوية"؛ وللمرة الثانية في عام 2015م عن مجموعتها القصصية "حدائق العسل"، وجائزة الشيخ راشد بن حميد للثقافة والعلوم في عجمان بالإمارات العربية المتحدة في مجال قصص الأطفال مرتين متتاليتين لعامي 2015م و2016م¹⁸ في مجال قصص الأطفال وغيرها. كما كرمها العديد من كبار الشخصيات والمنظمات العربية للفنون والإعلام داخل الكويت وخارجها لإبداعها الأدبية في مجال أدب الأطفال؛ ومن أبرزها: رئيس الوزراء الكويتي الشيخ جابر المبارك الصباح لإبداعها في مجال أدب الطفل عام 2014م¹⁹، ووزير التربية والتعليم الكويتي السابق د. رشيد الحمد عن مجموعتها القصصية "قصص الأمل التربوية" للأطفال في حفل تكريم المعلم العالمي عام 2005م²⁰، ووزيرة التربية والتعليم الكويتية السيدة د. نورية الصباح على انضباطها وتميزها في العمل عام 2004م²¹ وغيرها.

إنها قد أعطت شكلا وملامح مميزة وجديدة لكتابة قصص العربية للأطفال واليا فعيين. وفتحت أمامهم الأبواب الجديدة. ولأجل ذلك تنتشر قصصها للأطفال وتمتد في جميع أنحاء الوطن العربي بدون قيد أو شرط. وهكذا تحتل الأدبية الرندي مكانة مرموقة في نفوس الأطفال واليا فعيين حتى أختيرت من ضمن 14 شخصية نسائية لعام 2016م في مجال الأدب من قبل جريدة النهار الكويتية²².

وهنا نستطيع القول إن الأدبية أمل الرندي قد كتبت عدداً ضخماً من الكتب والقصص الموجهة إلى الأطفال واليا فعيين. وتستمر في كتاباتها القصصية الإبداعية للأطفال حتى يومنا هذا.

وهذه دراسة مختصرة عن أعمالها القصصية للأطفال واليا فعيين، وعندما نتكلم عن أعمالها البارزة، يمكننا أن نتناول تعريف أعمالها المهمة الشهيرة بالإيجاز؛ فيما يأتي: حدائق العسل: هذه مجموعة قصصية للأطفال. وتصدر هذه المجموعة القصصية عن دار شمس الكويت في الكويت عام 2015م²³. تحتوي على أربع قصص متنوعة تعالج الموضوعات المختلفة للأطفال بين الخيال والقيم وحقوق الأطفال وغير ذلك. وهذه القصص الأربعة هي: القصة الأولى بعنوان "الكرسي المتحرك لا يعيقني": تتحدث

الأدبية الرندي في هذه القصة عن طفل يعرف مفهوم التعاون والمساعدة وحسن التعامل مع الآخرين.

القصة الثانية بعنوان "جميل في كل مكان": تتناول هذه القصة عن حقوق الطفل ومساعدة الأطفال الذين يرمي بهم الدهر.

القصة الثالثة بعنوان "حدايق العسل": تتحدث الرندي في هذه القصة عن طفل يتعرف إلى معنى المثابرة، وعالم النحل النشيط، حيث يحرص الطفل على أن يكون مثابراً ويتجنب الكسل في حياته.

القصة الرابعة بعنوان "أحمد ونورة...والكناري": تبين هذه القصة عن الطفل الذي يتعرف إلى عصفور "الكناري" يسكن في قفص بدون الحرية. ثم يدرك الطفل أهمية الحرية في الحياة، والحرص على العطف والرفق بالطيور.

وكتبت الأدبية الرندي هذه المجموعة القصصية بأسلوب شيق ولغة سهلة. ويتعلم الأطفال من خلالها القيم الأخلاقية والاحترام المشترك وحسن التعامل مع الآخرين. قد لاقت هذه المجموعة القصصية قبولا حسنا لدى القراء حتى فازت الأدبية الرندي بها بجائزة الدولة التشجيعية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عام 2015م²⁴.

نجم المستطيل الأخضر: هي قصة لطيفة تدعو إلى قيم التسامح والمنافسة الشريفة. وتصدر هذه القصة عن دار المؤلف للنشر والطباعة والتوزيع في بيروت، لبنان عام 2016م²⁵. تتحدث هذه القصة عن البطل يوسف الذي تلميذ ودود ولاعب كرة القدم في المدرسة ويتمتع بأخلاق رياضية عالية في الملعب. فيصفق الجميع لمهارته، لكن زملائه لا يعرفون سوى العدوان. ثم يحاول يوسف أن يوحد بين زملائه في الفريق ويمنع الخلاف بينهم. كما يستمر حلمه في أن يكون "ميسي" اللاعب.

نحن نستطيع أن نقول إن هذه القصة تعزز قيم التسامح في نفوس الأطفال، من خلال اعتبار ملعب المدرسة رمزاً للعالم الذي نعيش فيه. والجدير بالذكر أن هذه القصة قد حازت على المركز الثاني لجائزة الشيخ راشد بن حميد للثقافة والعلوم في عجمان بالإمارات العربية المتحدة في مجال قصص الأطفال²⁶.

قصص الأمل التربوية: كتبت الرندي سلسلة قصص تحت عنوان "قصص الأمل التربوية" لمرحلة الطفولة المبكرة والمتوسطة. ثم تصدر هذه المجموعة بين عامي

2006م و2009م عن دار الحافظ للطباعة والإنتاج والنشر والتوزيع، دمشق²⁷. تحتوي هذه المجموعة على أكثر من 40 قصة للأطفال واليافعين؛ ومن بينها: الطفل السعيد، وراما تلعب مع الشمس، والحاسوب صديقي وغيرها. وتضم هذه المجموعة معلومات علمية مبسطة كثيرة للأطفال واليافعين. وتركز الأدبية الرندي خلال أحداث القصص على غرس قيم المجتمع العربي وعاداته الأصيلة في نفوس الناشئة والأطفال. قد لاقت هذه المجموعة القصصية قبولا حسنا لدى القراء حتى حازت هذه المجموعة على جائزة الدولة التشجيعية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عام 2011م²⁸.

اللغة والأسلوب في أعمالها القصصية: لا شك فيه أن الكتابة للأطفال مهمة صعبة ومختلفة عن الكتابة للكبار من حيث الأسلوب واللغة المستخدمة في أدب الأطفال في بعض طرائقها عن اللغة المستخدمة للكبار. لأن الكتابة للكبار لا تلتزم بالضرورة بمعايير تربوية وأخلاقية وتنموية. ولكن الكتابة للأطفال تفرض الكثير من المسؤولية على أصحابها، لا بد من معرفة على نفس الطفل، وخصائص كل مرحلة عمرية، وفهم طبيعة الاحتياجات في كل مرحلة من مراحل الحياة. كما قالت الأدبية الرندي "إن الكتابة للطفل مسؤولية مضاعفة، مشددة على حرصها في انتقاء الفكرة في كل قصة تكتبها للأطفال وأن تكون معالجة لجانب من جوانب الطفل"²⁹.

تكتب الأدبية الرندي قصصها بأسلوب إبداعي، فحتى أننا نجد أنها تحرص دائماً على البسمة في الكتابة، وعلى وجود أبطال إيجابيين في قصصها لغرس قيم التسامح والتعاون والاحترام المشترك في نفوس الأطفال. ولذا حينما نقرأ قصتها الشهيرة "نجم المستطيل الأخضر"، نجد فيها أن بطل القصة يوسف هو بطل إيجابي يمثل الطفل الذي يسامح من يمارس العنف ضده ويحاول أن يوحد بين زملائه ويمنع الخلاف بينهم. كما قالت الرندي "إن قصتها "نجم المستطيل الأخضر" تصور ملعب المدرسة يمثل العالم، ويوسف لاعب كرة القدم يمثل من يتصرف بتسامح مع من يمارس العنف ضده في أسلوب يمتص ردود الفعل ويمنع تفاقم الخلاف بين اللاعبين"³⁰.

نحن نرى أن الكاتبة الرندي قد فهمت في أعمالها القصصية ضرورة تصميم اللغة بأسلوبها المتميز، وجرأتها في طرح المواضيع المختصة بالأطفال. كما اهتمت باستخدام اللغة البسيطة التي تحمل الأفكار، وبالأسلوب المناسب لإلقاء المعرفة في ذهن القارئ

الصغير. ولذا حينما نقرأ قصتها الشهيرة "مفاجأة أبي"، نجد فيها أن هذه القصة تهدف إلى غرس القيم الأخلاقية واحترام الآخرين في نفوس الأطفال لحل المشكلات والعقبات في حياتهم بسهولة ويسر. وتتناول هذه القصة إلى عدة أفكار كعلاقة الأب بالابن الإيجابية، وكيف يكون الأب قدوة حقيقية للأبناء بالأفعال لا بالأقوال والتلقين وغيرها من القيم الأخرى. كما نرى أيضا أن اختيارها لحكاياتها دائما ينطوي على الرغبة في غرس قيم عالية وجميلة للطفل بأسلوب محبب. وجدير بالذكر أن ميزات قصصها الكويتية للأطفال بعدها عن التراكيب الغامضة والألفاظ الغريبة وخلوها من الكلمات المعقدة والتراكيب الصعبة. الخاتمة: وفي الأخير نحن نستطيع أن نقول إن الكاتبة أمل الرندي من أهم الكتاب في مجال كتابة الطفل على مستوى العالم العربي. إنها قد أعطت شكلا وملامح مميزة وجديدة لكتابة القصص العربية للأطفال واليافعين وفتحت أمامهم الأبواب الجديدة ولأجل ذلك تنتشر قصصها الإبداعية الحديثة لليافعين وتمتد عبر أرجاء الوطن العربي بدون قيد أو شرط. وهكذا تحتل الكاتبة الرندي مكانة مرموقة في تاريخ أدب الأطفال العربية الحديثة. ولها دور كبير في التواصل مع الكتاب العرب في جميع أنحاء الوطن العربي. وقد جعلت مكانة خاصة في نفوس قراء الأطفال. وقد أصبحت كاتبة متميزة في مجال القصص العربية لليافعين عند رواد أدب الأطفال.

الهوامش

- ¹ يوسف، وداد. "الكاتبة الكويتية أمل الرندي- الكتابة وحدها لا تكفي لترتقي بثقافة الطفل"، مجلة مرامي. سبتمبر 2020م، ع143.
- ² "الكاتبة الكويتية أمل الرندي تتحدث عن واقع الطفولة والتأسيس نحو القراءة"، جريدة الوطن- <https://alwatan.com>، تاريخ النشر: 28 يوليو 2019م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- ³ توفيق، محمد. أمل الرندي: أحلم يجيل جديد بعيد عن العنصرية، صحيفة القبس- www.alqabas.com، تاريخ النشر: 24 أغسطس 2020م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- ⁴ رشدي، فيصل. "حوار مع الكاتبة أمل الرندي"، مكتبة ثقافات- thaqafat.com، تاريخ النشر: 3 يناير 2017م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- ⁵ أنظر إلى موقع "دار ناشري للنشر الإلكتروني"- www.nashiri.net.
- ⁶ المرجع نفسه.

- ⁷ المرجع نفسه.
- ⁸ يوسف، وداد. الكاتبة الكويتية أمل الرندي- الكتابة وحدها لا تكفي لترتقي بثقافة الطفل، مجلة مرامي، سبتمبر 2020م، ع143.
- ⁹ توفيق، محمد. أمل الرندي: أحلم يجيل جديد بعيد عن العنصرية، صحيفة القبس- www.alqabas.com، تاريخ النشر: 24 أغسطس 2020م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- ¹⁰ الفضلي، حسين. أمل الرندي: أخلصت لأدب الطفل.. وكان وفيًا لي، صحيفة القبس- www.alqabas.com، تاريخ النشر: 25 أبريل 2017م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- ¹¹ أمل الرندي: ثقافة الطفل تؤسس لمستقبل المجتمعات، جريدة نبض- <https://nabd.com>، تاريخ النشر: 13 مارس 2022م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- ¹² أنظر إلى موقع: دار ناشري للنشر الإلكتروني- www.nashiri.net.
- ¹³ المرجع نفسه.
- ¹⁴ الفضلي، حسين. أمل الرندي: أخلصت لأدب الطفل.. وكان وفيًا لي، صحيفة القبس- www.alqabas.com، تاريخ النشر: 25 أبريل 2017م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- ¹⁵ الكاتبة الكويتية أمل الرندي في ضيافة صالون عواطف الزين، جريدة كنوز عربية- <https://kenoozarabia.com>، تاريخ النشر: 29 مارس 2022م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- ¹⁶ عبد السمیع، محمد. "أمل الرندي: أدب الطفل فضاء للإلهام"، جريدة الاتحاد- www.alittihad.ae، تاريخ النشر: 18 سبتمبر 2022م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- ¹⁷ يوسف، وداد. "الكاتبة الكويتية أمل الرندي- الكتابة وحدها لا تكفي لترتقي بثقافة الطفل"، مجلة مرامي، سبتمبر 2020م، ع143.
- ¹⁸ المرجع نفسه.
- ¹⁹ أنظر إلى موقع "دار ناشري للنشر الإلكتروني"- www.nashiri.net.
- ²⁰ المرجع نفسه.
- ²¹ المرجع نفسه.
- ²² قرينة حاكم عجمان تكرم الفائزات بجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم، وكالة الأنباء الإمارات-وام- <http://wam.ae/ar>، تاريخ النشر: 23 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- ²³ الرندي، أمل. حدائق العسل. الكويت: دار شمس الكويت، 2015م.
- ²⁴ رشدي، فيصل. حوار مع الكاتبة أمل الرندي. مكتبة ثقافات- thaqafat.com، تاريخ النشر: 3 يناير 2017م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.

- 25 الرندي، أمل. **نجم المستطيل الأخضر**. لبنان: دار المؤلف للنشر والطباعة والتوزيع، 2016م.
- 26 أنظر إلى موقع: دار ناشري للنشر الإلكتروني - www.nashiri.net.
- 27 رشدي، فيصل. حوار مع الكاتبة أمل الرندي. **مكتبة ثقافات** - thaqafat.com، تاريخ النشر: 3 يناير 2017م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- 28 أنظر إلى موقع: دار ناشري للنشر الإلكتروني - www.nashiri.net.
- 29 الفضلي، حسين. أمل الرندي: أخلصت لأدب الطفل.. وكان وفيًا لي. **صحيفة القبس** - www.alqabas.com، تاريخ النشر: 25 أبريل 2017م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.
- 30 وجه من الأخبار "أمل الرندي"، **جريدة الأخبار** من دولة الكويت - وزارة الإعلام قطاع الأخبار والبرامج السياسية - <https://news.gov.kw>، تاريخ النشر: 11 نوفمبر 2015م، تاريخ الزيارة: 20 نوفمبر 2022م.

المصادر والمراجع

- الرندي، أمل. **حدائق العسل**. الكويت: دار شمس الكويت، 2015م.
- الرندي، أمل. **نجم المستطيل الأخضر**. لبنان: دار المؤلف للنشر والطباعة والتوزيع، 2016م.
- الرندي، أمل. **قصص الأمل التربوية**. دمشق: دار الحافظ للطباعة والإنتاج والنشر والتوزيع، 2009م.
- الفضلي، حسين. أمل الرندي: أخلصت لأدب الطفل. وكان وفيًا لي، **صحيفة القبس** - www.alqabas.com.
- توفيق، محمد. أمل الرندي: أحلم يجيل جديد بعيد عن العنصرية، **صحيفة القبس** - www.alqabas.com.
- رشدي، فيصل. حوار مع الكاتبة أمل الرندي، **مكتبة ثقافات** - thaqafat.com.
- يوسف، وداد. الكاتبة الكويتية أمل الرندي - الكتابة وحدها لا تكفي لترتقي بثقافة الطفل، **مجلة مرامي**، سبتمبر 2020م، ع143.
- عبد السميع، محمد. أمل الرندي: أدب الطفل فضاء للإلهام، **جريدة الاتحاد** - www.alittihad.ae.
- الكاتبة الكويتية أمل الرندي في ضيافة صالون عواطف الزين، **جريدة كنوز عربية** - <https://kenoozarabia.com>.
- قرينة حاكم عجمان تكرم الفائزات بجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم، **وكالة الأنباء الإمارات-وام** - <http://wam.ae/ar>.

محمد جمال عمرو وأثر شعره في تربية الأطفال "دراسة تحليلية"

محمد مظهر *

mazharjamali@gmail.com

ملخص البحث: في مرحلة الطفولة من حياة الإنسان تتبلور ملامح شخصيته، ويكتسب أنماطا من القيم والسلوك، ويتعلم عاداته وميوله واتجاهاته المختلفة. ولعل أبرز ما يميز هذه المرحلة أنها تمكن تشكيلها حسب الصورة التي يرغبها المجتمع لأجياله القادمة، مما جعلها تتمتع برعاية خاصة تناسب موقعها والآمال المعلقة عليها. في الواقع، أصبحت العناية بالأطفال من أهم مقاييس التقدم الحضاري، ومظهر من مظاهر الوعي والنهوض بالمجتمع.

وفي ضوء هذا الفهم لأدب الأطفال، الذي أصبح لونا أدبيا بارزا في العصر الحديث، تأتي هذه الدراسة التي تتوقف عند إحدى التجارب المهمة في هذا المجال، وهي تجربة الكاتب الأردني، محمد جمال عمرو، الذي أصبح أدب الأطفال بالنسبة له "وجهاً من وجوه الإبداع الأدبي، وليس فعالية، حيث تتوجه أدبية جانبية أو هامشية أقل شأناً من غيرها" وتتجه الدراسة بشكل خاص إلى البحث في أعماله الشعرية، في محاولة لقراءة أعماله الابداعية، واللقاء الضوء على أبعادها المختلفة، وأثر أعماله في بناء شخصية الأطفال وتربيتهم.

خلال الدراسة سنحدد المحاور الرئيسية التي تدور حولها المحتويات الشعرية بشكل أكثر دقة، كالمحاور التالية: المحور الوطني، والمحور الترفيهي أو الترويحي، والمحور الديني، والمحور السلوكي الاجتماعي، والمحور الثقالي.

كلمات مفتاحية: محمد جمال عمرو، أدب الأطفال، الشعر، الأردن، التربية، المحور.

المقدمة: لا شك أن رؤية "الطفولة" قد تطورت بشكل كبير في عصرنا الحالي، ويكفي أن نشير إلى أنها أصبحت تعتبر أخطر مرحلة يمر بها الإنسان في حياته، وهو ما يرجع إلى اكتشاف عدد لا بأس به من أسرار هذه المرحلة وخصائصها، والوقوف على دورها الفاعل في تشكيل آفاق المستقبل سواء للفرد أو للجماعة.

* باحث الدكتوراه مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهر، الهند

في مرحلة الطفولة من حياة الإنسان تتبلور ملامح شخصيته، ويكتسب أنماطا من القيم والسلوك، ويتعلم عاداته وميوله واتجاهاته المختلفة. ولعل أبرز ما يميز هذه المرحلة أنها تمكن تشكيلها حسب الصورة التي يرغبها المجتمع لأجياله القادمة، مما جعلها تتمتع برعاية خاصة تناسب موقعها والآمال المعلقة عليها. في الواقع، أصبحت العناية بالأطفال من أهم مقاييس التقدم الحضاري، ومظهر من مظاهر الوعي والنهوض بالمجتمع¹.

ومن هنا فإن "أدب الأطفال" بفضونه وأشكاله المختلفة يُستمد من الشعر والقصص والمسرحيات. بخلاف ذلك فهو ذو أهمية كبيرة لأنه يرتبط مباشرة بمرحلة الطفولة، حيث يشكل هذا الأدب أحد أبرز الروافد التي تساهم في بناء هذه المرحلة التأسيسية وإثرائها وتنميتها بشكل سليم ومتكامل.

الطفل في حاجة ماسة إلى فنون الأدب المختلفة "لتغذي جوانب تفكيره وتقوي نواحي الخيال فيه، ولتكون وسيلة من وسائل التعليم والتثقيف والتسلية والمشاركة في الخبرة، وطريقا لتكوين العواطف السليمة والوطنية الصادقة للأطفال، وأسلوباً يقفون به على حقيقة العقيدة ويكتشفون مواطن الصواب والخطأ في المجتمع، ويعرفون طرق الخير والشر في الحياة"².

وعليه، فإن مهمة الكتابة للأطفال ليست سهلة على عكس ما قد يتخيله المرء، نظراً لصعوبة فهم دوافع الطفل وسلوكه وما يدور في ذهنه، بالإضافة إلى التناقض الذهني بين الكاتب الذي ينتمي إليه فئة الكبار والمتلقي للطفل³.

وإذا كان الكبار هم الذين ينهدون لأداء هذه المهمة، فإن هذا يقتضي أن يمتلك الكاتب الأدوات التي تؤهله لأن يقدم أدبا معتبرا في هذا الميدان، ولعل في طبيعة ذلك أن يكون واعياً بمراحل تطور الطفل ونموه، وحاجاته النفسية والمعرفية واللغوية في كل مرحلة من مراحل الطفولة، حتى يكون قادرا على تلبية تلك الحاجات⁴.

وفي ضوء هذا الفهم لأدب الأطفال، الذي أصبح لونا أدبيا بارزا في العصر الحديث، تأتي هذه الدراسة التي تتوقف عند إحدى التجارب المهمة في هذا المجال، وهي تجربة الكاتب الأردني، محمد جمال عمرو، الذي أصبح أدب الأطفال بالنسبة له "وجهاً من وجوه الإبداع الأدبي، وليس فعالية، حيث تتوجه أدبية جانبية أو هامشية أقل شأناً من غيرها" وتتجه الدراسة بشكل خاص إلى البحث في أعماله الشعرية، في محاولة لقراءة أعماله

الإبداعية، وإلقاء الضوء على أبعادها المختلفة، وأثر أعماله في بناء شخصية الأطفال وتربيتهم.

جدير بالذكر أن تجربة محمد جمال عمرو في مجال الطفولة لم تقتصر على كتابة الشعر، بالإضافة إلى ذلك، كتب: "القصّة، والمسرحيّة، والنقد الأدبي، كما أعد غير قليل من الأعمال الفنيّة والثقافيّة، مثل: أفلام الرسوم المتحركة، والمسلسلات، وبرامج الحاسوب.. وغير ذلك، كما رأس تحرير عدد من المجلات الخاصّة بالأطفال، واشترك في تمثيل بعض المسرحيات المقدّمة لهم"⁵.

ولو اختارت هذه الدراسة أن تتعامل مع إبداعه الشعري، لأن المساحة المتوفرة محرّجة، ولا تسمح باستيعاب كل نشاطه، وهو ما يحتاج إلى كتاب يقف على رأسه، وليس بحثاً في حدود ما تستطيع المجلة تحمله، بالإضافة إلى كونه أهم إنجاز من الكاتب، بحق جاء في مجال الشعر على وجه الخصوص، حيث كان له هذا الفن عناية كبيرة، ربما لا يضاهيه سوى اهتمامه بفن القصّة، ومن المعروف أن هذين الفنين هما أقدم فنون أدب الأطفال، وتشكل مادته الأساسيّة.

يشار إلى أن الإنتاج الشعري لمحمد جمال عمرو للأطفال لم يحظ باهتمام نقدي كاف، حيث لم يجد المتتبع سوى مقالات قليلة في هذا الصدد، وبعضها جاء على عجل وفي إطار صفقة جزئية، مما يجعل تجربته الشعريّة في حاجة ماسّة إلى دراسة متأنية تعمل على تطوير الفهم والشمول، حتى تتمكن من إبراز معالمها الرئيسيّة وتشخيصها بشكل واضح ودقيق⁶.

ما هي أعماله الشعريّة التي جاءت معظم نصوصها في مرحلتي الطفولة: المتوسطة 6-8 والمتأخرة 9-12 وقد توصلت حتى الآن إلى عشرة أعمال، ولعل من المفيد الإشارة إليها هنا على النحو التالي

"نسى إلى مستقبل" وهو أول ديوانه الشعري للأطفال صدر عن الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1990 م، يقع في ست وثلاثين صفحة متوسطة الطول، ويضم خمس عشرة قصيدة. وصدر الديوان بمقدمة موجزة كتبها الأستاذ عبد التواب يوسف يقول فيها: "هذا الشاعر، يكتب لكم كلمات عذبة، كأنها من مياه النيل والأردن وبردى، ويستهلّ قصائده بدعاء ديني يصعد من القلب إلى السماء.. ويحاول من خلال ما يكتب أن يرصف لكم الطريق إلى النجاح"⁷.

"باسم الجريء" قصة شعرية من سلسلة "غنوا معنا" الصادرة عن دار يمان للنشر والتوزيع، عمان، 1994. تقع في خمس عشرة صفحة من متوسطة الحجم.

"أحلى الأنغام" مجموعة شعرية من سلسلة "الدانات الشعرية" أصدر معهد اللغات الحديث بأبوظبي، الطبعة الأولى 1995م، تقع في 64 صفحات من القطع الكبير، وتضم ثلاثين قصيدة.

"يحكى أني" الديوان الشعري، صدر عن دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1997م، يقع في ست عشرة صفحة من القطع المتوسط، ويتضمن ثماني قصائد.

"درة الأقصى" قصة شعرية صادرة عن المجلس الأعلى للطفولة، الشارقة، الطبعة الأولى، 2001م، تقع في ست عشرة صفحة من القطع الصغير، وهي مستوحاة من استشهاد الطفل الفلسطيني "محمد الدرة" برصاص جنود الاحتلال الصهيوني عام 2000م.

"نسيمات الطفولة" مجموعة شعرية نالت جائزة الشيخة ميرا بنت هزاع بن زايد آل نهيان لشعر الطفل العربي في دورتها السادسة عام 2001م، وصدرت بإشراف الهيئة العليا لجوائز الحفل أنجال الشيخ هزاع بن زايد آل نهيان لثقافة الطفل العربي، تقع في ثلاث وعشرين صفحة من القطع الكبير، وتضم عشر قصائد.

"همس البلابل" وهو عمله الشعري، نشر ضمن سلسلة كتاب الأطفال 14، الصادر عن وزارة الثقافة الأردنية عام 2005م، ويقع في إحدى وثلاثين صفحة من القطع المتوسط، ويشمل على عشر قصائد.

"نبع الحنان" مجموعة شعرية للأطفال، دار المنهل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2007م.

"طه الحبيب" مجموعة شعرية للأطفال، دار المنهل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2007م.

"غيث السماء" مجموعة شعرية للأطفال، دار المنهل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2007م.

وتجدر الإشارة هنا بشكل عام إلى الاهتمام الكبير بالشكل المرئي أو المطبعي لهذه الأعمال الشعرية، حيث نجد تعقيداً واضحاً في إخراجها، بما يناسب المتلقي (الطفل) ويخدم النص الموجه إليه، كما نرى، على سبيل المثال، من خلال الورق المصقول

والقاسي، أحرف كبيرة وواضحة وخطوط جميلة ومسافات بين الأسطر ورسومات ملونة تجذب انتباه الأطفال الصغار وتثري النص الشعري وتقريب دلالاته وإشاراته، من المؤكد أن خبرة الشاعر الطويلة في مجال صحافة الأطفال ونشر ثقافة مناسبة لهم والتي تمتد لأكثر من عشرين عاماً، هي التي فتحت عينيه على أهمية فضاء العمل الأدبي، خاصة بعد إن التطور الكبير في الطباعة والتصوير الفوتوغرافي يعني في عصرنا الحالي، حيث نجده يحتفل باحتفال رائع بالعنصر الغريب، ليس فقط في أعماله الشعرية، ولكن في جميع أعماله الأدبية، محاولاً قدر الإمكان استغلاله التعبيري والقدرة المؤثرة.

المضامين: هناك أهمية خاصة للمحتوى في أدب الأطفال إذ يؤدي "دوراً خطيراً في عمليات بناء الأجيال الجديدة التي ستحمل عبء تشكيل الحياة على هذه الأرض في الغد القريب، لأن ما يكتسبه الطفل في سنوات عمره الأولى من معلومات واتجاهات وقيم ومثل، يؤثر في تكوين شخصيته في المستقبل بدرجة يصعب تغييرها أو تعديلها فيما بعد"⁸.

كان محمد جمال عمرو مدركاً لهذه الحقيقة بعمق، لذلك كان اهتمامه الشديد بهذا العنصر أحد عناصر العمل الأدبي، في إطار رؤيته الشاملة المستمدة من انتماؤه للإسلام، وإيمانه الراسخ بأن صلاح أمتنا لن يكون إلا مع هذا الدين الذي تصالح معه سابقاً، وهي الرؤية التي يجدها القارئ تسرياً في ثنايا كل أديبه الشعرية والنثرية.

"ولعل قضية بناء مستقبل هذه الأمة العربية والإسلامية، الذي يتطلع الشاعر إلى أن يكون مستقبلاً مشرقاً، حافلاً، بالأمجاد والفخار، على حد تعبيره"⁹، أن تكون قضيته المركزية في معظم إنتاجاته الشعرية للأطفال، والتي كشف عنها بوضوح في مجموعته الأولى، عندما قدمها تحت العنوان: "نسعى إلى مستقبل".

لقد أدرك محمد جمال عمرو، وهو يحمل هذا الهم الكبير، ضرورة ظهور جيل صالح وقوي، قادر على الخوض في الحياة، ومواجهة مختلف المخاطر والتحديات، من أجل تحقيق الرقي والكرامة، وبناء الأرض، والانتشار راية الخير والرحمة والسلام، وهي ليست مهمة سهلة، لأنه يتطلب، أول ما يلزم، أن يربى هذا الجيل بشكل سليم، ومجهز بشكل كاف، بحيث يمتلك رؤية واضحة، والأدوات اللازمة، والعزيمة الصادقة.

ومن هنا جاء إصراره في مجموعاته الشعرية على تلك المضامين، مما يساهم بشكل فاعل في تكوين هذا الجيل المنشود الذي اعتمد عليه في تحقيق الآمال والتطلعات. خلال الدراسة نحدد المحاور الرئيسية التي تدور حولها المضامين الشعرية بشكل أكثر دقة، كالمحاور التالية: المحور الوطني، والمحور الترفيهي أو الترويحي، والمحور الديني، والمحور السلوكي الاجتماعي، والمحور الثقافي. هذا التعريف لأغراض الدراسة والتوضيح لا أكثر، لأن التداخل بين هذه المحاور هو تداخل كبير، وكذلك قصائد الشاعر نفسها ليست شرعا في تنقيتها لهذا المحور أو ذاك، بل بالأحرى في ضوء موضوعها الرئيسي، أو موضوعها السائد. المحور الديني: وبالتحديد يشمل هذا المحور قصائد الشاعر التي تتناول موضوعين: العقيدة والعبادة في الإسلام، وهي من المحاور الرئيسية في تجربته الشعرية، ولأهمية هذا الجانب في تربية وبناء شخصية الإنسان التي يسعى إلى رعايتها وإعدادها لتحمل عبء صنع المستقبل الذي يتطلعون إليه، مستقبل مجد وحياة كريمة. أما الموضوع الأول وهو موضوع الإيمان، فإن حرص الشاعر محمد جمال عمرو على تعريف الطفل بربه سبحانه وتعالى، لتوثيق علاقته به، وتعميق حبه له، يتجلى من خلال الاستماع إليه بعضا من أسماءه الحسنى وصفاته السامية فهو الخالق:

"يا خالق البشر
في أجمل الصور
في السر والجهر
أدعوك يا رباه"¹⁰.

توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له، في محاولة لتنوير الطفل بمفهوم "شهادة أن لا إله إلا الله"، الذي يقوم عليه معنى الدين كله:

"شهد أنك أنت الله
ربي لا أعبد إلاه
أنت الواحد يا رباه
أشهد أنك أنت الله أشهد أنك أنت الله"¹¹.

عقيدة الإيمان بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وفي قصيدة بعنوان " طه الحبيب " يصور فيها حبه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وشوقه لزيارة المدينة المنورة، نراه يختمها بالقول:

" فالأنبياء والرسُلُ

فضلٌ من الله العظيم

قد أرشدونا للعمل

درب النجاة المستقيم" ¹².

واللجوء إلى الله تعالى، والاستعانة به، والاعتماد عليه في كل وقت، وفي كل أمر، وهو ما نجده منتشرًا في عدد غير قليل من قصائده، كما في قوله، من قصيدة بعنوان " غيبث السماء "، حيث يتعامل مع موضوع " صلاة الاستسقاء " .

" نحن العطاش ربنا

فاغفر لنا والطف بنا

وارو الفؤاد إننا

لا نرتضي ربا سواك" ¹³.

والملاحظ أن الشاعر اعتمد في تناول معظم القضايا الإيمانية لتقريبها من إمكانيات الطفل وتسهيل التثبيت في قلبه، على النظر إلى عالم الكون، والتأمل في عناصره المختلفة، خاصة تلك التي تقع في حدود تصورات الطفولة وبيئتها الطبيعية الملموسة " حيث الاستدلال بالصنعة على الصانع" ¹⁴، إنه هو أسلوب المصير العظيم، لأنه أيضا يوقظ الحواس، وينشط طاقة العقل، ويعلم التفكير العلمي السليم، كما نقرأ في أمثال قوله:

" هذا طير في الأجواء

حوثٌ يسبح تحت الماء

جملٌ يعبر في الصحراء

يشهد أنك أنت الله يشهد أنك أنت الله" ¹⁵.

كما يشير إلى حقيقة الثناء، تسبيح الكون على هذا الخالق العظيم، بما في ذلك قوله، في قصيدة بعنوان " تسبيحة الأكوان ":

"الديك حين يصيح
يدعوك للتسبيح
وفي صفير الريح
تسبيحاً لله" 16.

وهكذا فإن كل شيء في هذا الوجود يسير وفق منهج الله عز وجل، ويمجد ثناءه، وبالتالي يهيئ الشاعر هذا الطفل، حتى يكبر في طاعة الله تعالى، متمسكاً بمقاربتة الصالحة التي هو عليه في كتابه الحكيم وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم. أما الموضوع الآخر، وهو موضوع العبادة، فيظهر اهتمام الشاعر في الأركان الأساسية التي قام عليها الإسلام، مثل إقامة الصلاة، وإخراج الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، وما يتصل بذلك من أمور مثل: كالآذان، ورؤية الهلال، وإحياء ليلة القدر، ويوم العيد، إلخ.

يقول على سبيل المثال في قصيدة بعنوان "الصوم":

"يا جنة الرضوان
قد صمتُ في رمضان
فاكتب لي الريان
يارب يا معبود" 17.

والظاهر أن الشاعر لا يهتم بتفاصيل هذه العبادات أو جوانبها الفقهية، إذ لم يكن يهدف إلى غرض تعليمي، بل اكتفى بالتلميح إلى معناها العام، التركيز على شرح ما تؤدي إليه هذه الأعمال من رضى الله عن الإنسان وفوز الجنة التي أعدها لمن يطيعه ويمتثل لأوامره، وكأنه بذلك يهدف ببساطة إلى تشجيع الأطفال على القيام بهذه الأعمال عبادة وتمجيد مكانتهم في نفوسهم.

في الحقيقة، كان محمد جمال عمرو شديد التنبه، وفضح موضوع الدين، سواء من حيث العقيدة أو الممارسة، لأهمية إيصال هذا المحتوى بالحب والقناعة، حتى يتضح للطفل أن الدين هو مصدر سعادته في هذه الحياة، وأنه مصدر اطمئنان في الحياة. هذا الوجود لا ينكر أنه أمر حساس للغاية، وإلا فسيكون للطفل تنشئة دينية فقط لمتابعة الأهل أو تقليد المجتمع الذي يعيش فيه، وبعد ذلك قد يشعر أن الدين أصبح عبئاً ثقيلاً عليه، وقد يدفعه هذا إلى الابتعاد عنه.

المحور السلوكي الاجتماعي: ويشمل هذا المحور على قصائد الشاعر التي تعنى بغرس القيم الأخلاقية الفاضلة، وصل الذوق وتوعيته، وتكوين المواقف السلوكية الحميدة، لكي ينمو الطفل في مجتمعه معاً، بحيث يكون قادراً على الاندماج بشكل إيجابي وتكوين علاقات طبيعية سواء مع الناس أو مع البيئة من حوله.

وهنا يمكن الإشارة إلى اهتمام الشاعر، عن طريق التمثيل، بتأكيد القيم التالية: وبر الوالدين والإحسان إليهما من فضل عظيم على الإنسان، وخاصة على الأم، كما نرى ذلك في أكثر من قصيدة، مثل: "إنني أفديك أمي"، و "نبع الحنان"، و"منها العظماء"، وغيرها:

"لو أملك روجي أفديها
أعطيها الأرض وما فيها
هيهات أرد فضائلها
فحسى الرحمن يكافئها"¹⁸.

وكل هذه القصائد ينقلها الشاعر على لسان الطفل نفسه، متغنياً بالثناء على أمه، ويدعو لها من قلبه، معترفاً بجمال أعمالها، ومجد يديها، فهي مصدر الحنان ورمز العطاء والكرم، فهي مصدر الأمجاد، فهي التي تلد وتربى الرجال الذين يصنعون أمجاد الأمة، فحق للأمة إذن أن تُعتبر دائماً فخراً للوطن، وجوهرة لا تقدر بثمن، وأن يضحي الأبناء بأرواحهم من أجلها، ومن أجل الأمة التي عاشت من أجلها، حتى تتحقق السعادة والسمو لها، وتكون من أفضل الأمم.

حب الآخرين، والرحمة بهم، والتواصل معهم، والمبادرة إلى زيارتهم، ولاسيما ذو القربى، والجيران، وسلامة الصدر من كل ألوان الضغائن والحسائك. يقول في أول قصيدته "العطف والرحمة":

"هب لي إلهي الحب
والعطف والحكمة
خلقت هذا القلب
فاملأه بالرحمة"¹⁹.

مساعدة الفقراء والمحتاجين، سواء على الصعيد المعنوي أو المادي، حيث يقول:

"من يطعم المسكيناً

أو يلبس العريان

فاغضله.. آمينا

يارب يا رحمن"20.

المساواة بين البشر وعدم التمييز بينهم على أساس الجنس أو اللون، فكل البشر من أبوين، ولا يعلو إنسان على أخيه إلا بعمل الخير وتقوى الله تعالى:

"الكلُّ عبيد

عند الرحمن

بيض .. أو سود

ما من ألوان"21.

احترام الأشخاص ذوي الإعاقة أو ذوي الاحتياجات الخاصة، والإعجاب بجهودهم التي يبذلونها لتجاوز معاناتهم والاعتماد على أنفسهم، كما نجد في قصيدته "يحكي أني ... التي نشرت في كتابه نفس العنوان، حيث تخبرنا فتاة كيف كانت تقف على الشباك تغني بسعادة، ويقترب منها البدر، وتدعوها إلى نزهاة في أرجاء الأرض:

"وقَفَ البدر على شباكي

نادى: "سلوى، ما أحلاك!

هيا نمشي في المعمورة

ونحلّق مثل العصفورة"22.

وهنا تأتي المفاجأة، حيث يكتشف القارئ أن الفتاة معاقّة حركيا، بالإشارة إلى عكازاتها، وبينما تدع الفتاة القارئ يفكر في هذه العكازات، فإنها تتابع قصتها، وتخبرنا أنها (ببصرها) سارت كما تريد، ثم عادت إلى المنزل سعيدة:

"فرحْتُ ومشتُ عكّازاتي

حملتني للفرح الآتي

عدتُ ونفسي مسرورة

ما أحلاها تلك الصورة"23.

من الواضح إلى أي مدى تتوافق فكرة النص مع النظريات التربوية الحديثة التي تتعلق بكيفية التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث تتطلب عدم إخطارهم بإعاقتهم، بل السماح لهم بعيش حياتهم بشكل طبيعي، دون أن يظهر الشفقة عليهم، وهو ما

حاول الشاعر أيضا أن يوضحه في قصيدة أخرى تحت عنوان " طفلة مبصرة"، تحكي قصة طفلة حرمت من هبة البصر، ولكنها لم تحرم من هبة البصيرة والعزيمة القوية، وبالتالي فهي تدير شؤونها وتفي باحتياجاتها مثل غيرها من المبصرين، ولا فرق بينهم وبينها في أي شيء:

"أحس بروعة الكون

وبالأشكال واللون

وأقرأ مثلكم كتبي

وأبدع مثلكم فني" ²⁴.

رد التحية، وإفشاء السلام بمثلها أو بأحسن منها:

"رد التحية

رداً مثيلاً

أوزد عليها

قولاً جميلاً" ²⁵.

الصدق في الكلام، وحفظ اللسان من الكذب والغيبة والنميمة وغيرها من العادات البغيضة التي تشوه شخصية الإنسان وتفسد العلاقات والصدقات وتقوض بنية المجتمع:

"الصدقُ تاج

للصادقين

لهم سراج

دنيا وديناً" ²⁶.

اللطف في المعاملة، ليس فقط مع البشر، ولكن أيضا مع الحيوانات والنباتات، وذلك بالاعتناء بهذه الكائنات، وحمايتها من الأخطار التي تهددها، لذلك يقول تحت عنوان " صديق الحيوانات":

"أنا أحميها في الصحراء

في الأجواء... وتحت الماء

كي تحيا دوماً بهناء

أعمل في صيف وشتاء" ²⁷.

المحافظة على نظافة البيئة العامة، وعدم إفسادها وتلويثها، لتظل دائماً جميلة وخيرة وكريمة، وهذا من الموضوعات التي احتقى بها الشاعر بشكل لافت، مثل قصائده: "في البيئة" و"حماة البيئة" و"حكاية العصفور" وغيرها، ومنها قوله:

"وطني معطاء ونظيفُ
وهواه نقي ولطيفُ
هيا مثل النحلة نعملُ
هيا نبني لغه أجمل" 28.

"وغير خاف أن الحديث عن نظافة البيئة، وحماية مقدرات الأرض، من الموضوعات المهمة، التي بات يلتفت إليها أدب الأطفال في الآونة الأخيرة، وخاصة بعد أن تنامي الإحساس بأهمية معالجة قضايا البيئة، وضرورة أن يربي الأطفال تربية بيئية سليمة. فقد بلغ الإنسان في تأثيره السلبي على بيئته حداً مرعباً، إذ أحدث اختلالات بيئية تكاد تهدد حياته على سطح الأرض، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة الاستجابة لدعوة علماء البيئة والتربية بشأن الاهتمام بالبيئة ومشكلاتها الخطيرة التي نتجت عن سلوك الإنسان الخاطئ تجاهها كاستنزاف الموارد الطبيعية، والتلوث، وغير ذلك من المشكلات التي تتطلب وعي الأفراد وتعاونهم، لتجنب كوارث بيئية متوقعة" 29.

الجدية والعمل، ونبذ الإهمال والكسل، وهو ما نجده منتشراً في عدد لا بأس به من قصائد الشاعر، بمواضيعها المختلفة، حيث كانت هذه القيمة أساس النجاح وتحقيق الأهداف في كل مجال من مجالات الحياة، من خلال الكفاح والاجتهاد والعمل الصالح لتحقيق كرامة الفرد وتبني الأمم وتبني الحضارات والأمة تصنع مستقبلها المشرق.

يقول محمد جمال عمرو على لسان أحد الأطفال "في مرصد الفلك":

"سأدرس العلوما وأتقن العملُ
أسابق النجوما أنا.. أنا البطل" 30.

ويقول في مكان آخر:

"لا عاش من يرضى الكسلُ فالروض ميدان العمل" 31.

وبذلك نلاحظ حرص الشاعر على القيم الأخلاقية والسلوكية التي من شأنها أن تسهم في تنمية الوجدان، وبناء شخصية قادرة على العطاء والتفاعل الإيجابي مع

الآخرين، والانتماء وهو من الحاجات النفسية الضرورية، إنه أكثر شدة " يؤلم الطفل أن يشعر بأنه منبوذ من جماعة مقصى عنها، ومما يؤلمه أيضاً ألا يبادل حباً بحب، وألا يقدر الآخرون شعوره نحوهم وحبهم لهم، ولكم يجرح أحاسيس الإنسان ويطعن كرامته أن يبذل الحب صادقاً للآخرين، ثم لا يجد عوضاً أو مردوداً أو تقديراً متبادلاً"³².

المحور الثاني: لا شك أن الأدب من أهم الوسائل التي تساهم في تلبية احتياجات الأطفال المعرفية وبناء ثقافتهم العامة، والتي تلعب دوراً فاعلاً في تشكيل شخصياتهم، وتحديد سلوكهم وهوياتهم، وتنميتهم في مختلف الجوانب.

" وفي هذا الإطار، تأتي قصائد هذا المحور، التي ترتبط بالأهداف التعليمية والثقافية لأدب الأطفال"³³. حيث يمكننا توضيح ذلك من خلال التوقف عند النقاط الرئيسية التالية:

رفع قيمة المعرفة، والحث على مطالبتها، من خلال إبراز العلاقة الوثيقة بين اكتساب المعرفة وصنع مستقبل الأمة والوطن المزدهر، وهي فكرة أصر عليها محمد جمال عمرو في معظم مجموعاته الشعرية، وخاصة مجموعته الأولى التي سماها " نسعى إلى مستقبل"، حيث نقرأ تحت هذا العنوان:

يا معشر الصغار	" هيا نغني كلنا
الأمجاد والفخار	نسعى إلى مستقبل..
تغفو على الأشجار	نداعب الشمس التي
الآباء والكبار	نصغي إلى نصائح..
يا بسمته الأزهار	قالوا لنا: أحبابنا
صرتم من الأشرار	إن تهملوا دروسكم
أنتم حماة الدار" ³⁴ .	أنتم عماد عزنا

تحبيب المدرسة إلى نفوس الأطفال، فهي المصدر الذي يستمدون منه المعرفة والعلم، والطريق الذي يقودهم إلى الأهداف السامية والأهداف النبيلة التي يتطلعون إليها، كما يتضح من قصيدة بعنوان " مدرستي" كتبها الشاعر على لسان مجموعة من الطلاب يغنون بفرح عند عودتهم إلى المدرسة، بعد غيابهم الطويل عنها خلال الإجازة

الصفية، يعبرون عن شوقهم لها، عازمين على استكمال رحلة المعرفة والدراسة، حتى يحققوا ما يطمحون إليه من الشرف والسمو، ومنها قوله:

"من بعد غياب جئناك

يا مدرستي ما أبهاك!

لن نبلغ مجداً لولاك

يحميك الله ويرعاك" ³⁵.

مما لا شك فيه أن هذا من شأنه أن يشجع الأطفال على تنمية قدراتهم وإثراء تجاربهم، بحيث تتعزز ثقتهم بأنفسهم ويزيد شعورهم بالذات، وبالتالي ينمون عناصر فاعلة قادرة على العطاء والبناء وتحمل المسؤولية، كما نقرأ في قصائده مثل: "صديقتي المريضة" و"الصحفي الصغير" و"القبطان الصغير" وغيرها، ومما قاله في الأخير:

"يا ليتني قبطان

أحمي ثرى الأوطان

من معتد جبان

سلمت يا وطن" ³⁶.

تشجيع الأطفال على استخدام الإنجازات التقنية الحديثة في مجالات التعلم والتواصل واكتساب المعارف والمهارات المختلفة، كالكومبيوتر والإنترنت وغيرها، ليتمكنوا من مواكبة مستجدات العصر ومواجهة تحدياتها الحضارية. يقول محمد جمال عمرو، من قصيدة بعنوان "إنترنت"، لتعريف الأطفال بهذه الشبكة العالمية:

"إنترنت... إنترنت هذا عصر الإنترنت

هيا ندخل هذا الموقع

نكتشف الماضي والآتي

أسرع.. أسرع.. هيا أسرع

نستعرض كل الصفحات" ³⁷.

تشجيع الأطفال على الاستماع لنصائح الكبار والاستفادة من آرائهم وخبراتهم وتجاربهم خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة حيث يظهر دور البيئة المنزلية بشكل أساسي في هذه المرحلة مثل دور الأم، الأب، والجدة، وهذا ما لاحظته الشاعر محمد جمال

عمرو، وقد اعتنى به، حيث نراه في أكثر من قصيدة، مثل: "فرح القمر" و"نخلت جدي" و"نسعى إلى مستقبل" و"لوعاد أبي" وقصائد أخرى، قد سبق ذكرها. المحور الوطني: اعتنى الشاعر محمد جمال عمرو اهتماماً كبيراً بموضوع الوطن، فالقصائد التي تحاول ترسيخ شعور الطفل بالانتماء لوطنه، ورفع قيمة الدفاع عنه والتضحية من أجله، تشغل حيزاً واسعاً في إنتاجه الشعري للأطفال، حيث نجدها تُذاع في جميع أعماله.

وجد اهتمام الشاعر بقضية فلسطين، وحرصه على تعريف الطفل بها، ونقل بعض همومها إليه، منذ مجموعته الأولى من قصائد "نسعى إلى مستقبل" والتي كانت مليئةً بالمشاعر الوطنية، على سبيل المثال، يمكن الإشارة إلى قصيدته "لوعاد أبي" التي تحكي قصة طفل استشهد والده في معركة الدفاع عن أرض الوطن، فجاء إليه أصدقاء والده، ليأخذوه معهم إلى ساحات الجهاد، تنفيذاً لوصية والده الشهيد:

"يا سعد أبوك مضى بطلا
بدرًا في ركب الأخيار
أوصى أن تكمل رحلته
وتعد شراع الإبحار"³⁸.

وكذلك قصيدته "دمعة على التاريخ" التي تحكي قصة فتاة في المدرسة تسمع لأول مرة عن وطنها فلسطين من مدرسة تاريخ فتذهب إلى والدتها وتساؤها عن فلسطين وتحكي لها أن درس التاريخ كان درساً مؤثراً لم تنسها أبداً، كما كان عن شعبها والأرض التي عاشت فيها أخذها الأعداء منهم، ثم وصفت الطالبة حالة المعلمة مع شرح الدرس، كيف كانت تتحسر على ضياع فلسطين، وتنصح الطالبات بحبها، والحفاظ على ذكراها حية في قلوبهن:

دروساً لستُ أنساها	"درستُ اليوم يا أمي
وعن أرضٍ سلبناها	عن التاريخ عن شعبي
بلاداً ما رأيناها	لقد ذكرتُ معلمتي
وراحت ترسل الآها	فلسطيناً، فقالتها
بلادي ما أحياها	وقالت: يا أحبائي
و من منكن تهواها" ³⁹ .	فمن منكن تذكرها

يتجلى اهتمام الشاعر بمأساة فلسطين ومعاناة أهلها ومقدساتها في إصداره ديوانين مستوحى من هذا: "باسم الجريء" و"درة الأقصى" وكلاهما يضم على قصة شعرية. ولعل من المناسب هنا توضيح مفهوم كلمة وطن للشاعر محمد جمال عمرو، فهو لا يستخدم هذه الكلمة بمعناها الضيق، بل بمعناها الواسع الذي يشير إلى بلاد العروبة والإسلام، حيث يمكننا أن نرى في قصيدته "أحفاد المجد" التي قدمها بقوله:

"طيري فوق الغيم العالي

فوق ربوع الوطن الغالي

وخذي أشواقي وحنيني

وخذيني.. أفديك خذيني⁴⁰.

يحاول الشاعر في هذه القصيدة أن يعرف الطفل أنه ينتمي إلى أمة عظيمة، لها تاريخ وحضارة عريقة، وذات ثروات وقدرات، وهي الأمة العربية والإسلامية، من خلال رحلة جوية، "البديل العصري والواقعي للبساط السحري في الحكايات القديمة"⁴¹، ينفذها مجموعة من الأطفال ينتمون إلى عدة دول: السعودية، الأردن، فلسطين، لبنان، تونس، أفغانستان، مصر، سوريا، السودان، اليمن، الجزائر، العراق، تركيا، والكويت، وهم يزورون كل هذه الدول (حسب الترتيب السابق)، بحيث تكون مهمة كل طفل أن يعرف زملائه ببلده، عند الوصول إليه أو التحليق فوقه، مبيئاً أبرز سماته المميزة سواء في الماضي أو الحاضر، كما في قول الطفل المصري، مثل:

"أنا من مصر يا صبحي بلاد الخير والحب

فنهر النيل والأهرام.. والصحراء في قلبي

بلادنا موطن للعلم.. فاقت موضع الشهب

وعند الأزهر المعطاء يحلو مجلس الأدب"⁴².

وهكذا يتعرف الطفل من خلال هذه القصيدة على وطنه العظيم وأهل أمته، حيث يعيش آمالهم وآلامهم، ويتفاعل مع قضاياهم المختلفة، وفي هذا السياق تضمنت قصائد الشاعر، على سبيل المثال: "أردن"، و"عمان"، و"ديرتي" التي يغني فيها عن الإمارات، وقصائد أخرى.

المحور الترويحي: لفت الشاعر محمد جمال عمرو الانتباه إلى أهمية الترويحي عن الطفل من خلال حقه في اللعب والمرح والمتعة مع أقرانه، وتنمية هواياته المختلفة، والتي من خلالها يحقق المتعة والاستفادة في نفس الوقت.

ومن القصائد الهامة التي يمكن سماعها هنا، على سبيل المثال، قصيدته "قف.. لا تلعب"، والتي أكدت على أهمية هذا الجانب في حياة الطفل اليومية، من أجل خلق نوع من التوازن النفسي لدى الطفل، خاصة أنه في طور التعليم والتربية، وفي مجال الوعي بالحياة والاستعداد لتحمل أعبائها الثقيلة. ومن العنوان نصرخ بصوت الوالدين اللذين لا يتوقفان عن أمر الطفل بالتوقف عن اللعب، والعودة إلى الدراسة والكتب:

"عجبي عجبي عجبي عجبي"

كم تأمرني أمي وأبي

قف.. لا تلعب.. كي لا تتعب

عد للكتب.. عد للكتب"43.

إلا أن مثل هذه الأوامر هي أكثر ما يؤدي الطفل ويخنفه، حتى لو لم يظهر لهم ذلك على أنه صراع، يؤثر على الصمت ويقمع الغضب في روحه الرقيقة، الأمر الذي قد ينذر بعواقب وخيمة ويؤدي إلى نتائج عكسية ناجمة عن حرمانه من هذا الحق البسيط من حقوقه في هذه المرحلة:

"وأنا دوما أكتم غضبي أبدي لهما كل الحب

ربي.. ربي.. أنا ما ذنبي؟ هذي نفسي تهوى الفرحة

وبه أمضي وقتي مرحة إنني أستنكر بالهمس

سراً أستنكر في نفسي"44.

ومن بين هذه القصائد أيضا ما كتبه الشاعر تحت عنوان "كرتي وأنا" حيث نجد الطفل وهو المتحدث في هذا النص يقدم كرتة لنفسه مما يدل على حبه لها والتعلق الشديد بها الذي وصل معه إلى كل المستويات. القصيدة مثل سابقتها، تحاول معالجة هذه القضية، قضية حق الطفل في اللعب والترفيه عن نفسه، ها هو الطفل (حسونة) يتذكر ما حدث معه عندما كان يلعب بالكرة داخل المنزل، حيث كسرت الكرة المصباح، فصرخت والدته، وغضب والده:

"صرخت أمي وأبي صاحاً: ها أنت كسرت المصباحا

أنت شقي أنت مشاعب" غضبت أُمي، وأبي غاضب" 45.

ثم يأتي هذا الحوار اللطيف، الذي دار بين الطفل وبين الكرة، فيقول في نفسه:

"ماذا تفعل يا حسوناً مع هذي الكرة المجنوننة"

قلتُ لها: "هيا للملعب قالتُ: "بل في بيتك نلعب" 46.

من الواضح كيف يزيل الطفل اللوم من نفسه على اللعب داخل المنزل، ورميها على كرتة التي أصر على اللعب هناك وليس في الملعب المخصص لهذا الغرض، وكأنه يقف عاجزاً أمام هذه "الكرة المجنوننة"، ولا يستطيع أن يناقضاها في أي شيء، مما يدل على أن سلطة اللعب تسود، وخضوعه الكامل لها، وهذه هي الحقيقة التي أدركتها الأم بسرعة، التي بدأت تنادي طفلها لاستئناف اللعب، دون أن تشعر بأي شيء ضيق أو انزعاج:

"أُمي قالتُ: "يا حسوني عد واللعب يا نور عيوني"

ماذا قالتُ أُمي.. عجباً نلعب أم منعنا اللعب؟! 47.

لا أريد هنا أن أتبع قصائد الشاعر التي تتناول هذا الموضوع، أو أن أراجعها، لذا لا يمكنني إلا أن أشير، على سبيل المثال، إلى قصائده فقط: "أقبل العيد" و "رواد الضرح" و "الحاسوب" و "هوايتي رسام" و قصائد أخرى احتفلت بها في هذا الجانب سواء كلياً أو جزئياً.

الخاتمة: وبعد ذلك، سعت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على واحد من التجارب الغنية في مجال "أدب الأطفال"، وهي تجربة الشاعر "محمد جمال عمرو"، حيث جاءت الدراسة، بعد "مقدمة" عامة، في موضوع كبير.

توقف البحث عند "محاوَر المضمون"، وتضمن الحديث عن المحاور الرئيسية التالية: المحور الديني، والمحور السلوكي الاجتماعي، والمحور الثقافي، والمحور الوطني، والمحور الترفيهي. ولعله قد تبين مدى اهتمام الشاعر محمد جمال عمرو بالمضامين التي تسهم في بناء جيل صالح قوي، يتأسس على الالتزام بالإسلام الصحيح: العقيدة والعبادات والأخلاق، والانفتاح الواعي على الحضارة الإنسانية المعاصرة، والاستفادة من المنجزات النافعة، وهو الجيل الذي يعتمد عليه الشاعر، ويعتقد أنه الأقدر على التغلغل وسط الحياة، ومواجهة العديد من الصعوبات والتحديات، من أجل تحقيق الرفعة والنصر، وحماية الأوطان والمقدسات، وبناء مستقبل زاهر للأمة.

الهوامش

- 1 طعيمة. أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية. ص: 22.
- 2 الحديدي. في أدب الأطفال. ص: 5.
- 3 عربي العاصي. الحيوان في قصص الأطفال. مجلة الموقف العربي، العدد: 101، ص: 104-105.
- 4 الأسعد. أدب الأطفال. ص: 63-64.
- 5 حمدان، يوسف. أدباء أردنيون كتبوا للأطفال. ص: 363.
- 6 خليل، عماد الدين. منصور لم يمت ضمن كتابه: في النقد التطبيقي. 1998م. ص: 112-118.
- 7 عمرو، محمد جمال. نسعى إلى المستقبل. ص: 3.
- 8 نجيب. المضمون في أدب الأطفال. ص: 45.
- 9 عمرو، محمد جمال. نسعى إلى المستقبل. ص: 6.
- 10 عمرو، محمد جمال. أحلى الأنغام. ص: 58.
- 11 المرجع نفسه، ص: 8.
- 12 المرجع نفسه، ص: 28.
- 13 المرجع نفسه، ص: 44.
- 14 القيام. أدب الطفولة في منظور إسلامي. ص: 645.
- 15 المرجع نفسه، ص: 8.
- 16 المرجع نفسه، ص: 46.
- 17 المرجع نفسه، ص: 22.
- 18 عمرو، محمد جمال. نسعى إلى المستقبل. ص: 18.
- 19 عمرو، محمد جمال. أحلى الأنغام. ص: 36.
- 20 المرجع نفسه، ص: 14.
- 21 عمرو، محمد جمال. أحلى الأنغام. ص: 40.
- 22 عمرو. يحكي أني. ص: 2.
- 23 المرجع نفسه، ص: 2.
- 24 عمرو. نسيامات الطفولة. ص: 22-23.
- 25 عمرو. أحلى الأنغام. ص: 6.
- 26 المرجع نفسه، ص: 38.
- 27 عمرو. همس البلابل. ص: 4.
- 28 عمرو. يحكي أني. ص: 7.
- 29 حسن، شحاتة. أدب الطفل العربي. ص: 195.
- 30 عمرو. يحكي أني. ص: 16.
- 31 عمرو. أحلى الأنغام. ص: 54.

- 32 طعيمة، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، ص: 31 .
- 33 عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص: 32-34 .
- 34 عمرو، نسعى إلى المستقبل، ص: 6 .
- 35 المرجع نفسه، ص: 8 .
- 36 المرجع نفسه، ص: 16 .
- 37 عمرو، همس البلابل، ص: 22 .
- 38 عمرو، نسعى إلى مستقبل، ص: 21 .
- 39 المرجع نفسه، ص: 27-28 .
- 40 عمرو، نسعى إلى مستقبل، ص: 29 .
- 41 شبلول، جماليات النص الشعري للأطفال، ص: 55 .
- 42 عمرو، نسعى إلى مستقبل، ص: 34 .
- 43 عمرو، نسيمة الطفولة، ص: 20 .
- 44 المرجع نفسه، ص: 21 .
- 45 عمرو، يحكي أي، ص: 4 .
- 46 المرجع نفسه، ص: 4 .
- 47 المرجع نفسه، ص: 4 .

المصادر والمراجع

- الأسعد، عمر، أدب الأطفال، إربد: عالم الكتب الحديث.
- الحديدي، علي، في أدب الأطفال، مكتبة الانجلو المصرية، 1982م.
- حمدان، يوسف، أدباء أردنيون كتبوا للأطفال، عمان: دارالينابيع، 1995م.
- خليل، عماد الدين، "منصور لم يمت" في النقد التطبيقي، عمان: دار البشير، 1998م.
- شبلول، أحمد فضل، جماليات النص الشعري للأطفال، القاهرة، 1996م.
- شحاتة، حسن، أدب الطفل العربي، الدار المصري اللبنانية، 1994م.
- الشريف، جلال، تطوير أدب الأطفال، مجلة الموقف الأدبي، العدد: 95، 1979م.
- طعيمة، رشدي، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، القاهرة: دارالفكر العربي، 1998م.
- عبد الفتاح، إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، القاهرة: مكتبة الدار العربية، 2004م.
- عربي العاصي، "الحيوان في قصص الأطفال"، مجلة الموقف العربي، العدد: 101 .
- عمرو، محمد جمال، أحلى الأنغام، أبو ظبي: معهد اللغات الحديث، 1995م.
- عمرو، محمد جمال، باسم الجريء، عمان: داريمان، 1994م.

- عمرو، محمد جمال. **نسعى إلى مستقبل**. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- عمرو، محمد جمال. **نسيمات الطفولة**. أبو ظبي: الهيئة العليا لجوائز مسابقات أنجال الشيخ هزاع بن زايد لثقافة الطفل العربي، 2001 م.
- عمرو، محمد جمال. **همس البلابل**. وزارة الثقافة الأردنية، 2005 م.
- عمرو، محمد جمال. **يحكي أني**. عمان: دار البشير، 1997 م.
- نجيب، أحمد. **المضمون في أدب الأطفال**. القاهرة: دار الفكر العربي، 1979 م.

مساهمة مسعود عالم الندوي في تطوير الصحافة العربية في الهند

محمد آفاق قريشي*

mhdafaq39@gmail.com

ملخص البحث: تلعب الصحافة دورًا بارزًا في حياة الإنسان من النواحي الفكرية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية. وتوفر المعلومات والتحليلات المرتبطة بالحياة اليومية، مما يمكن الفرد من التفاعل بشكل أفضل مع البيئة المحيطة به. فليست الصحافة مجرد وسيلة إعلامية، بل هي قوة تمتلك تأثيراً كبيراً في حياة الفرد، حيث تتمثل فاعليتها في قوة الكلمة، التي تترسخ في العقول والأذهان؛ ويفضل قدرة الصحافة على التفاعل مع آمال الأمم وطموحات الشعوب، أصبحت اليوم أداة أساسية في تشكيل وجهات نظر الشعب، وتوجهات المجتمع والعالم.

فبلادنا الهند الخصبة لم تكن لتتخلف كالمعتاد عن جودها بنجباء من أبناءها الأكفاء، الذين أسهموا بشكل كبير في تطوير الصحافة العربية في الهند، وأفرغوا جهدهم في مجال نشر اللغة العربية وآدابها بين أبناءها. فمن هؤلاء العباقرة الأفاضل، الذين أصبحوا غرة جبين الأمة الإسلامية من خلال إسهاماتهم العلمية والمعرفية، هو الأستاذ مسعود عالم الندوي، الذي كان من أبرز علماء الهند، وجهابذة العلم والفن، وأرياب ناصية البيان، وأحد أعلام النهضة الفكرية في العصر الحديث، ورواد إصلاح نظام التعليم، والفضول المتضلعين من اللغة العربية وآدابها، وأقوى الكتاب المتميزين بلغة الضاد بالهند، ومعتمد دار العروبة للدعوة الإسلامية بباكستان، والذي أثرى المشهد الثقافى والعلمى بتفوقه وإسهاماته المميزة من خلال إصدار مجلة "الضياء" الغراء التي نالت قبولاً حسناً لدى الأوساط العلمية والأدبية في الهند والعالم العربي؛ بصحة لغتها، وجمال أسلوبها، وسمو فكرها، وتنوع موضوعاتها. فهذا المقال يسلط الضوء على خدمات جليلة قدمها الأستاذ مسعود عالم الندوي في تطوير الصحافة العربية في الهند، ويتحدث عن أسلوبه في اللغة العربية، ويستكشف مزاياه اللغوية إلى جانب فصاحته وجماله.

كلمات مفتاحية: الصحافة العربية، الضياء، العالم العربي، اللغة العربية، مسعود عالم الندوي، الهند.

* باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي.

المقدمة: كان الأستاذ مسعود عالم الندوي من مواليد عام 1910م في مديرية باتنا من ولاية بيهار، في بيت من بيوت الثقافة، والنباهة، والعلم. وتلقى تعليمه الأولى من والده مولانا عبد الشكور، الذي كان عالماً وطبيباً بارعاً في منطقتة، ثم قرر والده إلحاقه ببعض المدارس المحلية ليواصل مساره على دروب العلم والمعرفة. وفيما بعد، في عام 1928م، شهدت حياته تحولاً كبيراً عندما أوصاه العالم الجليل العلامة السيد سليمان الندوي بأن يلتحق بدار العلوم لندوة العلماء في لكانا. وهناك، أسهم الأستاذ مسعود عالم الندوي بجدية في تطوير مهاراته ومعرفته في مجموعة متنوعة من المجالات، سواء الأدبية، أو العلمية، أو الفكرية، وذلك تحت إشراف العلامة السيد سليمان الندوي، الذي كان معلمه ومرشده، والذي يعود إليه الفضل بشكل كبير في تشكيل حياته بتربية أدبية، علمية، فكرية¹.

تضلع الأستاذ مسعود عالم الندوي من علوم اللغة العربية وآدابها بندوة العلماء، وقام خلال زمن دراسته هناك ببناء علاقة علمية وأدبية وفكرية وثيقة مع أستاذه المشفق، والكاتب الشهير الشيخ تقي الدين الهالالي المغربي لدى فترة تدريسه فيها. فاستفاد من معرفته، وأخلاقه، وعقيدته. ففي عام 1932م، قام الأستاذ مسعود عالم الندوي بإصدار مجلة "الضياء" الشهرية، التي كانت مجلة علمية، فكرية، ثقافية، متميزة، وحظيت بإعجاب الكثير من العلماء والأدباء العرب؛ بسبب دقتها اللغوية، وعضوية أسلوبها، وارتفاع مستوى فكرها، وتنوع مواضيعها. وبالإضافة إلى دورها الثقافى، كانت مجلة "الضياء" وسيلة مهمة للأستاذ مسعود عالم الندوي؛ للتواصل مع صفوة من أرباب العلم والصحافة في العالم العربي. كما كانت هذه المجلة وسيلة قوية؛ للتعرف على الأحداث السياسية، والثقافية، والاجتماعية، في مختلف أنحاء الوطن العربي من خلال متابعته للصحف، والمجلات، والمنشورات الثقافية، الصادرة من البلدان العربية، والتي كانت تأتي إلى دار العلوم في المبادلة. وبهذا، كان يتبادل المعرفة والآراء مع زملائه العرب في هذا المجال².

عاش الأستاذ مسعود عالم الندوي سنوات عديدة في رحاب دار العلوم لندوة العلماء، حيث بدأ مسيرته كطالب في التخصص، ثم تحول إلى دور المعلم للأدب العربي، وفيما بعد، أسس مجلة عربية علمية. لكن القدر قاده في اتجاه مختلف عن المسار الأكاديمي، حيث اعترض له ما حملته على أن يدع دار العلوم، ويتوجه نحو تحديات

الحياة العملية؛ لكسب لقمته العيش. وهكذا، وجد نفسه في مكتبة خذا بخش الشرقية، حيث عمل في إعداد الفهارس لمدة ست سنوات، من عام 1937 حتى عام 1944م³. فخلال هذا المكوث، كان الأستاذ مسعود عالم الندوي يمضي وقته في القراءة والتأمل، ويسجل ما يفكر فيه، ويؤلف أعماله. ففي هذه الفترة، صدرت من قلمه البليغ معظم أعماله العلمية ومقتنياته الفكرية. كما قد قدم أداءً متميزاً في إعداد الفهارس، مما جعل أعماله المفهرسة من أروع نماذج الفهرسة، حيث كان يعتبر من أبرز خبراء الفهرسة في المكتبة. وفيما بعد، انتسب إلى حركة الجماعة الإسلامية في عام 1944م، وقام بدور فعال في نشر دعوة هذه الحركة، كما اتفق أن يواجه ظلام السجن لفترة من الزمن مع كبار أعضاء الجماعة الإسلامية؛ وذلك خلال حملة "ختم النبوة" التي شنتها الجماعة لدحض المزاعم القاديانية في عام 1953م. وبعد الإفراج عنه من السجن بعد عدة شهور، في 1 مارس 1954م، رحل إلى رحمة الله تعالى، ونسأل الله أن يتغمده برحمته كما يتغمد الأبرار الصالحين⁴.

ومن أعماله: "تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند" (بالعربية)، و"نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان" (بالعربية)، و"حاضر مسلمي الهند وغابره" (بالعربية)، و"تأثير الإسلام في الشعر العربي" (بالعربية)، و"العلامة شبلي النعماني مؤسس النهضة الفكرية" (بالعربية)، و"الحركة الإسلامية الأولى في الهند (بالأردنية)، "نظرة على أفكار الشيخ عبید الله السندي" (بالأردنية)، "محمد بن عبد الوهاب المصلح المظلوم والمفتري عليه" (بالأردنية)، و"الاشتراكية والإسلام" (بالأردنية)، و"الترجمة العربية" (في قواعد اللغة العربية)، و"محاسن سجاد" (بالأردنية)، و"زيادة في كتاب المولد والدخيل المعروف بـ"اللغات الجديدة" في الأردية للعلامة سيد سليمان الندوي، و"شهور في ديار العرب" (بالأردنية)، و"مكاتيب سليمان" (بالأردنية)، و"الحركة الوطنية العربية" (بالأردنية). وغيرها الكثير من مقالاته العلمية القيمة التي أصدرت في مختلف المجالات والجرائد العربية والأردنية في الهند وخارجها.

الصحافة العربية في الهند: كما هو معروف لدى الجميع، أن بذور الصحافة العربية في شبه القارة الهندية غُرست في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، بظهور أول جريدة عربية في عام 1871م باسم "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم"، برئاسة تحرير الشيخ

مقرب علي. وكانت هذه الجريدة بمثابة لبنة أولى للصحافة العربية في شبه القارة الهندية، وخلفت آثاراً بعيدة المدى في أبناء هذه البلاد. واستمر صدور هذه الجريدة بانتظام، إلى أن وُقفت في عام 1885م⁵.

فبعد احتجاج جريدة "النفع العظيم"، سارت على دربها، الفينة بعد الفينة، مختلف الجرائد والمجلات العربية الأخرى، التي ساهمت في تطوير الصحافة العربية، ونشر اللغة العربية بين أبناء الهند، منها مجلة "أخبار شفاء الصدور" التي أصدرت في عام 1875م، ثم مجلة "الحقائق" في عام 1889م، ثم مجلة "أخبار نسيم الصبا" في عام 1893م، ثم مجلة "البيان" في عام 1902م، ثم مجلة "الجامعة" في عام 1923م⁶. وأخيراً، بعد فترة امتدت لبضع سنين، ولم يظهر فيها أي مجلة أو جريدة عربية، أشرقت أرض الهند بنور "الضياء" في عام 1932م بإدارة الشخصية الأملية، الأدبية، الفذة، الأستاذ مسعود عالم الندوي، وبإشراف العلامتين الجليلين السيد سليمان الندوي، والشيخ تقي الدين الهلالي المغربي.

مسعود عالم الندوي ومجلة "الضياء": كانت مجلة "الضياء" مجلة عربية، علمية، أدبية، تعليمية، اجتماعية، ثقافية، فكرية، وامتازت بتنوعها وتعدد مجالاتها. وكانت تصدر في منتصف كل شهر حسب التقويم الهجري، وتحتضن في صفحاتها مقالات علمية تغطي مختلف المجالات مثل الأدب، والسياسة، والتاريخ، والتعليم، والتربية، والشؤون الدينية، والثقافية والفكرية. بالإضافة إلى ذلك، تضمنت المجلة أقساماً متخصصة مثل "سير الحوادث"، و"نظرات"، و"آثار وأخبار"، حيث عرضت من خلالها أخباراً ومعلومات حول الأحداث والأمور في البلدان العربية، والإسلامية، والعالمية، مع تقديم تعليقات وتحليلات عنها. واحتل باب "عالم الأدب" مكاناً مرموقاً من بين أبواب المجلة، حيث كان مدير المجلة الأستاذ مسعود عالم الندوي يقدم تعريفاً للمجلات، والكتب العلمية، والمطبوعات الجديدة، الصادرة في اللغات العربية، والإنجليزية، والأردية. ويقدم تعليقاته وملاحظاته حول محتواها، وقيمتها الأدبية والعلمية. وتألقت المجلة بفضل مساهمات مديرها الكريم، الأستاذ مسعود عالم الندوي، الذي كان له الفضل الكبير في تقديم تحليلات ومراجعات قيمة للمقالات والرسائل المنشورة فيها، وبذلك أسهم في إثراء تجربة القراء وتوسيع آفاق معرفتهم⁷.

وتجدر الإشارة هنا، أن مدير مجلة "الضياء" الأستاذ مسعود عالم الندوي سعى بجديّة لإصلاح نظام التعليم العربي في الهند، ورفع مستواه إلى شأو متقدم. واستهدف قلمه من خلال تعليقاته وملاحظاته المختلفة، الواردة في مجلة "الضياء" إلى توفير ظروف دراسية ملائمة للشبيبة المسلمة، حيث يمكن للطلاب الناشئين الاستفادة من فرص التعلم والتطوير. وإن هذه الرؤية تمثلت بشكل جلي في كتابات مدير المجلة، الذي أشار إلى أهمية دور المدارس والمجلات العربية في النهوض بمستوى فن التعليم في المدارس الإسلامية الواقعة في المجتمع الهندي. وشدد على أن الضياء هي ناطقة بحال المدارس والمجلات العربية الهندية كلها، لا بعضها دون بعض، ولذلك أدخل في المجلة باباً خاصاً بأخبار التربية والتعليم، يذكر فيه كل ما يمت إلى هذه المدارس بصلته من برنامجها التعليمي ومناهج دروسها، وتغيير أو انقلاب في إدارتها التعليمية. وكذلك أعرب المشرف الكريم لمجلة "الضياء" العلامة السيد سليمان الندوي عن غاية المجلة وأهدافها في فاتحة الضياء، المعنونة بـ "طلوع الضياء" قائلاً: "وليعلم أن المجلة مواد بحثها، ومواضع إنشائها، تنحصر في علوم الدين، وفنون الأدب، وآداب اللغة، وطرق التربية والتعليم، وما يناسبها من المسائل والأخبار، وإنها لاتعزو نفسها إلى معهد دون معهد، وتتعصب لأحد على أحد، بل هي لسان حال المعاهد العربية كلها في هذه الديار"⁸. إن هذه الرؤية الشاملة والجادة للمجلة تعكس بشكل واضح التفاني في تحسين نوعية التعليم، والإثراء الثقافي في مجتمعات الهند العربية.

فبناءً على ذلك، قامت المجلة بتخصيص جزء من محتواها؛ لتحقيق هذا الهدف النبيل. وقد ساهم مدير المجلة ولاسيما أستاذه العلامة تقي الدين الهاللي بشكل كبير في هذا المجال من خلال كتابته العديد من المقالات والأبحاث التي تتعلق بتعليم الآداب العربية. لقد سعى كل من الأستاذ وتلميذه سعياً إلى تطوير مناهج الدروس، وبرامج التعليم في هذا المجال، والتي كانت في ذلك الوقت تعاني من التجامد والتقليدية. كما قام بتقديم الحلول للعقبات، التي كانت تعترض سبل تطوير هذه البرامج، وساهم في إلهام طرق جديدة، تؤدي إلى تطوير أفضل لمجال تعليم الآداب العربية في الهند.

وأصدرت في مجلة "الضياء" تسع مقالات قيمة ضافية، ككل، لمنشئها مسعود عالم الندوي، ويتمحور معظمها حول موضوع التاريخ، والأدب، وفنونه، مما يدل على تضلعه من علوم هذه المجالات العلمية، ومن هنا، تمنح قائمة مقالات الأستاذ مسعود عالم

الندوي التي نشرت في مجلة الضياء، فهي كما يلي: "تأثير الإسلام في الشعر العربي" (نُشرت في أقساط)، و"الإسلام في أوروبا"، و"الفخر والحماسة"، و"مجمل تاريخ الحركات الإسلامية في الهند"، و"شبلي النعماني" (نُشرت بأقساط وتعتبر أول ما أُلفَّ بالعربية عن العلامة شبلي النعماني)، و"انتشار الإسلام في الهند"، و"الثورة الهندية الكبرى"، و"تأثير المسلمين في الهند"، و"الحركة الوهابية السياسية".

وفضلاً عن ذلك، يمكن رؤية ملامح عمق الأستاذ مسعود عالم الندوي في الدراسات العربية والتراث الإسلامي، وإلمامه البالغ بمجموعة متنوعة من المجالات، بما فيها التاريخ الإسلامي، والآداب العربية، والأمور الاجتماعية، والأخبار السياسية، سواء على الصعيدين الوطني والدولي، من خلال التعليقات والملاحظات التي كان يقدمها بين صفحات بابي "نظرات" و"عبرات" للمجلة، حيث يرى أنه شخص مجار لأحداث العالم، ويواكبه في كل تطور من تطورات، وله فيها من قول أو رأي، فعلى سبيل المثال، يمكن مشاهدة تركيزه على بعض القضايا الساخنة والمشيرة للجدل، مثل "قضية فلسطين"، و"سياسة المسلمين الحاضرة"، و"غاندي وحركة اللاتعاون السلمي"، و"صراع الحجاز واليمن"، و"جواهر لال نهرو واعتقاله"، و"المؤتمر الهندي الوطني والمجلس النيابي"، و"جمعية مسلم ليغ ومستقبلها"، و"حركة كشمير"، و"قضية العراق" وغيرها الكثير من المواضيع الأخرى المختلفة.

ظل الأستاذ مسعود عالم الندوي يؤدي خدماته للغة العربية وآدابها، من خلال مجلة الضياء لمدة أربع سنوات متتالية، من عام 1932م إلى 1936م. وعمل بشكل جاد؛ لتنشيط شباب الطلاب المسلمين، وتحسين برامج تعليمهم، وتطوير مهاراتهم العلمية. وقام بجهود كبيرة في نشر اللغة العربية في الهند، وتشجيع طلاب المدارس الإسلامية على اهتمامهم بها، سواء في التحدث أو الكتابة، مستهدفاً توجيههم إلى الفكر الإسلامي الصحيح. فنتيجةً لذلك؛ لقت المجلة ترحيباً واسعاً، وحظيت بتقدير كبير في البلدان العربية، وكانت محل ترحيب من الأوساط العلمية والأدبية. وأشادت بها الجرائد والمجلات العربية. حتى أُطلق على مدير تحريرها الأستاذ مسعود عالم الندوي لقب "العلامة" من قبل بعض نقاد العرب على الرغم من صغر سنه⁹.

مساهمته في الجرائد والمجلات العربية الأخرى: كان الأستاذ مسعود الندوي يتميز بمعرفته الواسعة بسير الأحداث والأخبار عبر أنحاء العالم. وكان يلقي عناية بالغة نحو أخبار السياسة العالمية الحاضرة، ولا سيما كان مهتماً بالنظر في السياسات الوطنية للدول العربية، وتطورات الحركات الإسلامية في تلك البلدان. ونتيجةً لهذا الاهتمام العميق؛ امتلك رؤيةً مستنيرةً وفكرًا حادًا في مجموعة عريضة من المسائل، بدءًا من التربية والأدب، وصولاً إلى الصحافة، والثقافة، والسياسة، والبحث والتحقيق، والتعريب، وغيرها، مما تشهد به مصنفاته، ومقالاته، ورسائله، وتعليقاته، التي نشرت في مختلف المجلات والجرائد العربية والأردنية في الهند وخارجها خير شهادة.

كان الأستاذ مسعود عالم الندوي يساهم في مختلف الجرائد والمجلات العربية بمقالاته، ورسائله، وتعليقاته، منها، صحيفة "الفتح" المصرية، ومجلة "التمدن الإسلامي"، ومجلة "العرب"، وجريدة "السجل" ببغداد، و"المسلمون"، و"منبر الشرق"، و"الرسالة"، و"الدعوة"، وغيرها من الجرائد والمجلات الأخرى¹⁰. وبالتالي، قام بدور فعال في إذكاء الصحو الإسلامية في قلوب المسلمين بريشة قلمه، ومن أجل ذلك؛ قامت علاقة فكرية، وصلة أدبية، وصدقة مخلصية، وأخوة دينية قوية، بينه وبين الكثير من كبار علماء الأدب والفضن حينئذ، منهم، الشيخ السيد رشيد رضا، والأمير شكيب أرسلان، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ومحب الدين الخطيب، وطه فياض، والمفتي أمين الحسيني، ومحمود الصواف، وغيرهم. فكانوا يشيدون كثيراً بلغته العربية الفصيحة، وأسلوبه المتين، ومقالاته الرائعة، وآرائه السديدة، إشادةً بجهوده المستميتة في مضمار الدعوة الإسلامية، والصمود أمام تيار الإلحاد الجارف، ودحض نظرياته الباطلة المهلكة. وإيقاظ الأمة المسلمة من سباتهم العميق، وبعث الثورة الإسلامية في قلوب جيل شبابها المسلم، وتربيتهم وتثقيفهم على أسس المناهج الدينية السمحاء، والإنارة لهم معالم المحجة البيضاء.

بذل الأستاذ مسعود عالم الندوي جهوداً حثيثةً من خلال كتاباته ومقالاته؛ لاسترعاء انتباه البلدان العربية والإسلامية إلى الهند، وطلب من أهاليها بشد اهتمامهم بشؤون المسلمين الهنود؛ فنتيجةً لذلك، اضطلع الأستاذ مسعود عالم الندوي بكتابة تاريخ المسلمين الهنود وملوكهم، وسياساتهم حاضراً وغابراً لمجلة "الفتح" المصرية، وذلك

نزولاً عند رغبة الصحافي الكبير محب الدين الخطيب، وقد أصدرت مقالاته في المجلة باسم "حاضر مسلمي الهند وغابره" ¹¹.

أسلوب مسعود عالم الندوي: كان الأستاذ مسعود عالم الندوي ينتمي إلى صفة من العلماء البارزين، وكتاب العربية الموهوبين في شبه القارة الهندية، الذين كانوا يقدرون على الكتابة العربية كأبناء الضاد، فكان في مجال التعبير والإنشاء نسيج وحده ونظير نفسه، ولو أنه لم يعيش طويلاً، ولكن بقدراته الإنشائية، وصحة لغته، وجمال أسلوبه، وسمو فكره، وغازة علمه، واهتمامه بالبحث والتحقيق، استحق بأن يعتبر من أقدركاتيب بلغة الضاد في الشرق الأعجمي، وحاز لقب العلامة من قبل بعض نقاد العرب، وحتى وصفه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري بأصح كتاب العربية في الهند لغتاً، وثاني اثنين فيها إلى جانب الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي ¹².

كان الأستاذ مسعود عالم الندوي مبدعاً في التعبير والإنشاء، ويجري على منواله الخاص لأسلوبه في كل كتاباته، كما يظهر ذلك في كافة أعماله، حيث تنم كتابته بالعربية عن أسلوب عربي، بليغ، بسيط، مستوحى من الأساليب القرآنية، خلو من تعقيد اللفظ والمعنى في العبارة، بعيد عن الإبهام والغموض في الجملة، لا يمزجه شيء من الركاكة والرطانة، فيكون المفهوم واضحاً جلياً، كما يتسم أسلوبه بالارتباط والاتساق بين الفقرات، إلى جانب الأصالة، والجزالة. ولا يأتي الأستاذ في كتاباته بالجمل، التي لا علاقة لها باللفظ والمعنى، ويتفادى عن استخدام الكلمات الغريبة، والأساليب المعقدة. وجدير بالذكر، أنه يتسم بالإيجاز والاختصار، مع كثرة استخدام الاستعارة والكناية.

وعلى حد تعبير الأستاذ كاظم السباق: "كان من أول سمات أسلوب الأستاذ مسعود عالم الندوي هي الحفاظ على سلامة اللغة، وتجنب العيوب اللفظية، حيث يضع الأمثلة في مواضعها المناسبة، ويختار الكلمات الفصيحة بعناية، ويزين عباراته بأساليب بليغة. كما لا يلجأ أبداً إلى كلمات أجنبية أو مشكوك في أصلها في كلامه، ويتأكد دائماً من صحة الأمثلة التي يقدمها. وكان من دأبه أن ينصح تلامذته بأهمية عدم استخدام أي كلمة أو أسلوب إلا بعد التحقق من صحتهم، مشجعاً إياهم دوماً على الشك والتحقق من أصول الكلمات والعبارات قبل استخدامها" ¹³.

بالنظر في مطبوعات الأستاذ مسعود عالم الندوي من الكتب، والمقالات، والتعليقات، وغيرها، يتجلى للعيان أنه كان للأستاذ اهتمام بالغ بمجال التاريخ وبخاصة التاريخ الإسلامي؛ لذا يرى أن الطابع التاريخي كان يغلب على شخصيته، وكثيراً ما كان يتعرض للموضوعات التاريخية، كما تشهد به كتبه ومقالاته. وحينما كان يُقدِّم على الكتابة في موضوع، يوفي حقه من البحث والتحقيق. وكان يكثر من الإشارة إلى الأعداد والأرقام والسنين في إبان كتاباته على نحو العلماء المحققين ضد العلماء والكتاب الواسفين.

نماذج أسلوبه: من هنا، تقدّم بعض نماذج لأسلوب الأستاذ مسعود عالم الندوي، والتي ستبرر ما سبق لي القول فيه، وتظهر للقراء حلاوة أسلوب الأستاذ، وصحة لغته، وفصاحة تعبيره. وإن هذه النماذج مستمدة من مختلف مقالات الأستاذ المنشورة في مختلف الجرائد والمجلات العربية، فهاكم هي:

"ولا ريب أنه كان في المصلحين رجال عبقيون أفذاذ، قلما يوجد بمثلهم الدهر من بين علماء، وأدباء، وكتاب، وشعراء، اخترقت شهرتهم الآفاق، وطار صيت فضلهم في أقاصى الأرض وأدانيها، لكني الآن أدلك على رجل منهم، ارتوى من مناهل العلوم الدينية، حتى جعلت عيون العلم تتدفق من صدره، واستقى من موارد الآداب العربية، والفارسية، والأردوية، فكان قلمه ينثر دررا تزرى بقلائد العقيان ولالئ الجمان، وإذا هدرت شقاشق ارتجاله سحب ذيله النسيان على سحبان، وإذا قام في منتدى القوم شاعراً، فكان ما يخرج من فيه آيات بينات من البيان، وإذا أجال فرسه في مضمار التحقيق والتدقيق، فهو صاحب قصب السبق، لا يشق له غبار، ولا يدرك مرماه، أما تاريخ الإسلام فهو شعاره و دثاره، ورفيقه ورواحه، ألا وهو شبلي النعماني"¹⁴.

"أمتلك العرب تلك البلاد، فأمطروا شآبيب الأمن والسلامة مدراراً، ومنحوا الأمة الإسبانية حريةً كاملةً في أديانهم وعقائدهم، وأذنوا لكل فئة أن تبني لها معابد مخصوصة، وفكّوا رقاب العبيد، الذين كانوا يسامون سوء العذاب مدى حياتهم، فلم يمض عليهم حين حتى دخلوا في دين الله، وأصبحوا عباد الله، بعد أن كانوا عبيد الجائرين من أصحاب الثرى"¹⁵.

"ومما لا يستراب فيه، أن المنافع العلمية، والمدنية، والتجارية، والسياسية، التي أدخلها الإسلام في الهند، وانتفع بها أهلها، واقتطفوا من ثمارها، لا يأتي عليها الإحصاء، وليس

من همنا الآن أن نعدّها كلها واحداً واحداً، وما نسيت الأهالي، ووجدت بنعيم المسلمين، لا يمكن لها أن تنسى أيادي المسلمين السياسية، فإن هذه البلاد التي تضاهي قارة مستقلة، كانت عبارة عن ولايات صغيرة، متقطعة الأجزاء ومتفككة الأوصال، لم يجمعها جامع، وحينما دخلها المسلمون، كانت البوذية والبراهمة تتنازلان فيما بينهما، وتتنافس إحداهما الأخرى، فكسر المسلمون شوكة البوذية، وفتأوا حميها، حتى خرجت البرهمية ظافرة، وامتدّ نفوذ دين واحد في أكثر أقطار البلاد" ¹⁶.

"تحت أديم السماء المترجرجة، وتحت ظلام الليالي الهائدة، يروم الشاعر إيكار المعاني، ويذهب في ابتغاءها كل مذهب، يذهل عن نفسه، وينتقل إلى عالم آخر، لا تخاطبه آلام الحياة وهمومها، يتغنى ويفتكر حتى ينال بغيته." في نيران الحرب المضطربة، وفي أندية المساوقة، وفي أسواق الشعر ومحافله، تتراكم الأفكار على الشاعر تراكم الأمواج بعضها ببعض، وتتدفق كالسيل أو أشد منه، فيظل راكداً حتى يغلب على أمره، ويرى بعين قلبه يتيسر لغيره أن يرى بها، ويسمع بأذن لا تتاح لغير الشعراء، ويفتكر بقلب يناجي الفطرة، وينشد بروح كأنما يوحى إليها وحياً. الشعر والموسيقى كضجيجي مهد ورضعي ثدي" ¹⁷.

آراء الأدباء والنقاد: يقول أحد أبرز النقاد واللغويين العرب في العصر الحديث الأب أنستانس الكرملي، صاحب مجلة "لغة العرب"، والذي كان معروفاً في المجتمع العربي العلمي بانتقاداته اللاذعة، واهتمامه الشديد بالأخطاء اللغوية، في خطاب، وجهه إلى الأستاذ مسعود عالم الندوي، فيقول: "سيدي الجليل! ألقّبكم بالعلامة وإن كنتم في حداثة السن، وليست العبرة بالعمر، وإنما العبرة بالعلم، أرى في مجلتكم أنها تردم ثغرة واسعة في الأدب، عسى أن يكتب لكم النجاح في مساعيكم" ¹⁸.

وأدلت جريدة "الفتح" المصرية الزاهرة بتصريحها، تنويهاً بجهود أصحاب مجلة "الضياء" وقالت، "إن مجلة الضياء رصيفة عربية، شهرية، جديدة، صدرت في هذا العام بمدينة كوناو (الهند)، لمنشئها صديقنا الفاضل مسعود عالم الندوي، ويشرف على تحريرها العلامتان الجليلان، السيد سليمان الندوي، رئيس جمعية دار المصنفين، وخليفة مولانا العلامة شبلي النعماني، مؤسس الندوة، والسيد محمد تقي الدين

الهلال، الذي عقب أريج فضله في بلاد العرب والعجم، وقد تأخرنا في التنويه بهذه المجلة، وسننتهز لذلك فرصة أخرى¹⁹.

ويقول الشيخ تقي الدين الهلالي في تلميذه البار الوفي الأستاذ مسعود عالم الندوي: "إن هذه المجلة نالت غاية التقدير والإعجاب، عند جميع المجالات والجرائد، وبدأت معظمها تنقل مضامينها على صفحاتها، مما زادت شهرة مسعود عالم، وبدأ جميع العلماء والأدباء في العالم الإسلامي يعترفون بعلمه وأدبه هذا، ذلك الشيء لم يأت في نصيب آخر من العلماء والأدباء في الهند كلها"²⁰. وهناك غيرها الكثير من الخطابات والتعليقات، التي جاءت إلى مدير المجلة؛ تقديراً لما قامت مجلته من جهود حثيثة، وإسهامات بارزة في مجالات مختلفة، مما يضيق نطاق المقام عن ذكرها.

الخاتمة: بعد ما مرّ آنفاً، يمكن القول بأن الأستاذ مسعود عالم الندوي كان شخصية بارزة في عالم الصحافة العربية، إذ أنه كان مؤرخاً متميزاً، وباحثاً متقصياً، و مترجماً بارعاً. وكان معروفاً بقدرته على استيعاب وتحليل الشؤون التاريخية، إضافة إلى ذلك، كان يتسم بفهم عميق لروح الشريعة الإسلامية. كما كان لديه براعة كبيرة في التمييز بين الصحيح والزائف، والغث والسمين في تاريخ الأمة الإسلامية السمحاء. فهكذا، لعب الأستاذ مسعود عالم الندوي دوراً بارزاً في تطوير الصحافة العربية في الهند، وقام ببناء منصة قوية للتعارف والتفاهم بين المسلمين في الهند والعرب، وبالأخص من خلال مجلته "الضياء"، التي تمثلت في كونها وسيلة اتصال حضاري بين الهند والعالم العربي. وبُنيت من خلالها جسور إيجابية وطيدة؛ لتعريف مسلمي الهند لدى أبناء العرب، وإلى الاطلاع على سير السياسة والثقافة والاجتماع في أقطار العروبة، عن طريق الصحف والمجلات، التي كانت ترد في دار العلوم لندوة العلماء في المبادلة. فمن خلال هذا النهج، نجح الأستاذ مسعود عالم الندوي في توفير الفرصة لأبناء الهند والعرب؛ للتعرف على أحوال بعضهم البعض، بمزيد من الدقة والعمق، من خلال مصادر موثوقة. في الواقع، كان الأستاذ مسعود عالم الندوي يقدم دور السفير الثقافي للشعب الهندي إلى الشعب العربي، وقد أسهم بشكل ملحوظ في تعزيز التواصل والتبادل الثقافي بين الهند والعالم العربي²¹.

الهوامش

- 1 الندوي، مسعود عالم. "استاذ مرحوم" (نقوش وتأثرات)، معارف، 1955م، سليمان، ص 137.
- 2 - السباق، أبو الطيب. "مسعود الندوي"، جريدة البصائر، م 7، الجزائر: 1954 - 1955م، ع 278، ص: 3.
- 3 عاصم، محمد. "حالات زندكي"، جرائع راه، 1955م، مسعود عالم ندوي، ص 131.
- 4 المرجع نفسه، ص: 139.
- 5 الندوي، أيوب تاج الدين. "دور الصحافة في بناء المجتمع الهندي"، ثقافة الهند، م 56، ع 1، 2005م، ص: 135.
- 6 الندوي، أيوب تاج الدين. دليل الجرائد والمجلات العربية في الهند، ط 1. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2019م، ص: 41.
- 7 علي، ملك غلام. "الضياء"، جرائع راه، 1955م، مسعود عالم ندوي، ص: 165.
- 8 الندوي، السيد سليمان. "طلوع الضياء"، مجلة الضياء، م 1، ع 1، 1932م، ص: 9.
- 9 "نتف من آراء الأدباء في الضياء"، مجلة الضياء، م 1، ع 1933، 10م، ص: 2.
- 10 السباق، محمد كاظم. "الأستاذ كازا عربي أدب"، جرائع راه، 1955م، مسعود عالم ندوي، ص 177.
- 11 هذه الأعداد متواجدة في المجلد العاشر لمجلة الفتح بدءاً من الأعداد (451 - 460) وما بعدها.
- 12 الإبراهيمي، محمد البشير. "من هو المودودي؟"، جريدة البصائر، م 6، الجزائر، ع 231، 1954 - 1955م، ص: 3.
- 13 محمد كاظم السباق، "الأستاذ كازا عربي أدب"، جرائع راه، 1955م، مسعود عالم ندوي، ص: 178.
- 14 الندوي، مسعود عالم. "شيلي النعماني"، مجلة الضياء - م 2، ع 9، 1934م، ص: 323.
- 15 الندوي، مسعود عالم الندوي. "الإسلام في أوربا"، مجلة الضياء - م 1، ع 5، 1932م، ص: 11.
- 16 الندوي، مسعود عالم الندوي. "تأثير المسلمين في الهند"، مجلة الضياء - م 4، ع 7، 1935م، ص: 255.
- 17 الندوي، مسعود عالم الندوي. "تأثير الإسلام في الشعر العربي"، مجلة الضياء، م 1، ع 2، 1932م، ص: 16.
- 18 "نتف من آراء الأدباء في الضياء"، مجلة الضياء، م 1، ع 10، 1933م، ص: 2.
- 19 "نتف من آراء الأدباء في الضياء"، مجلة الضياء، م 1، ع 2، 1933م، ص: 3.
- 20 الحلاي، تقي الدين. "مسعود الندوي"، جرائع راه، 1955م، مسعود عالم ندوي، ص: 16.

المصادر والمراجع

- الندوي، مسعود عالم. ديار عرب میں چند ماہ (شہور فی دیار العرب)، لاہور: ادارہ معارف اسلامی، 1992م.
- الندوي، مسعود. نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان، القاهرة: لجنة الشباب المسلم.
- الندوي، مسعود، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، بيروت: دار العربية، 1370ھ.
- الندوي، مسعود. "تأثير الإسلام في الشعر العربي"، مجلة الضياء، م 1، ع 1، لکھنؤ: ندوة العلماء، 1932م.
- السباق، أبو الطيب. "مسعود الندوي"، جريدة البصائر، م 7، ع 278، الجزائر: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، 1954-1955م.
- الندوي، سعيد الأعظمي. الصحافة العربية نشأتها وتطورها، ط 1. لکھنؤ: مؤسسة الصحافة والنشر، 2009م.
- الندوي، أيوب تاج الدين. دليل الجرائد والمجلات العربية في الهند، ط 1. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، 2019م.
- الندوي، أيوب تاج الدين. "دور الصحافة في بناء المجتمع الهندي"، ثقافة الهند، م 56، ع 1، 2005م.
- الندوي، الدكتور سليم الرحمان خان. الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها وتطورها، ط 1. لکھنؤ: مطبعة كاكوري آفست، 2010م.
- الندوي، طلحة نعمت. الأستاذ مسعود عالم ندوي: حياته وآثاره، ط 1. مظفر بور: مكتبة الحمد العلمية، 2015م.
- ندوي، مسعود عالم، مكاتيب سليمان، ط 1. لاہور: مكتبه چراغ راه، 1954م.
- ایم اے، اختر راہی. مسعود عالم ندوي (سوانح وکتوبات)، ط 1. لاہور: مكتبه ظفر، 1975م.
- ندوي، مولانا ابوالحسن علی حسنی. پرانے چراغ (حصہ اول)، ط 6. لکھنؤ: مكتبه فردوس، 2010م.
- صدیقی، نعیم. چراغ راه: مسعود عالم ندوي نمبر، لاہور، مكتبه چراغ راه، 1955م.
- فاضلی، عبد الحمید. مولانا مسعود عالم ندوي: حیات اور کارنامے، دہلی: مرکزی کتبہ اسلامی پبلشرز، 1998م.

إسهامات "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية" بفرانكفورت في توثيق التراث العربي

محمد عبد الواحد*

mohdabdulwahid9@gmail.com

ملخص البحث: "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية" هي مؤسسة أكاديمية متخصصة في البحث والتوثيق لتاريخ العلوم العربية والإسلامية. وتغطي هذه العلوم مجموعة واسعة من التخصصات، بما في ذلك الرياضيات وعلم الفلك والطب والفلسفة والجغرافيا والكيمياء وغيرها. والمعروف لدى الجميع أن العالم العربي الإسلامي قدم العديد من المساهمات الكبيرة في إنتاج المعرفة عبر التاريخ، ولعب دورًا مهمًا في حفظ وترجمة الكتابات اليونانية والرومانية القديمة، وقد أثر هذا التراث على تطور العلوم المختلفة والفلسفة الأوروبية الحديثة. وكان يعمل "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية" بفرانكفورت منذ تأسيسه حتى اليوم سعيًا وراء هدفه المنشود، هو التنقيب عن المخطوطات الإسلامية والمؤلفات العربية القديمة، وقد تم الحصول على مخطوطات نادرة من جميع أنحاء العالم، سواء كانت أصلية أو مصغرة، ثم قام بتحقيقها وطباعتها بعد التصحيح وكتابة الملاحظات والتعليقات اللازمة. هذه الدراسة تسعى وتستهدف إلى تعريف معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت وانجازاتها العلمية في البحث والتوثيق والنشر. **كلمات مفتاحية:** البحث، التراث العربي، التحقيق، التوثيق بفرانكفورت، فواد سيزكين، المعهد، والنشر.

المقدمة: قد ساهم العالم الإسلامي في العلوم واسعة ومؤثرة، خاصة خلال العصر الذهبي الإسلامي الذي استمر من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر، وأثناء هذه الفترة تقدم العلماء المسلمون تقدمًا كبيرًا في مختلف مجالات العلوم، ووضعوا حجر الأساس لفروع علمية من الجديد تمامًا، على سبيل المثال، علم الاجتماع وفلسفة التاريخ. فإن العالم المعاصر مدين لأولئك الباحثين العرب. ولا يمكن لأحد أن يتجاهل مساهمة العلماء العرب في تطوير ونشر نظام الأرقام العشرية في الرياضيات الذي

* باحث الدكتوراه في جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند.

يستخدم الآن في جميع أنحاء العالم، ومصطلح (Algebra) نفسه يأتي من الكلمة العربية "الجبر"، وقد تقدم الموضوع بشكل كبير من قبل علماء الرياضيات مثل الخوارزمي¹. وقد ابتكر علماء الفلك العرب الأدوات الرباعية وغيرها، وهم قاموا بتحسين نموذج مركزية الأرض البطلمي والحفاظ عليه الذي كان له تأثير لاحق في الغرب. وقد دوّن ابن سينا الموسوعة الطبية المؤثرة تحت العنوان "القانون في الطب" التي كانت بمثابة كتاب دراسي قياسي في أوروبا والعالم الإسلامي لعدة قرون. قد ساهم العالم الإسلامي مساهمات كبيرة في مجال علم الصيدلة، بما في ذلك تطوير الأدوية الطبية والعلاجات العشبية، ومن بينهم ابن الهيثم من ساهم مساهمات رائدة في مجال البصريات والمنهج العلمي، مما أثر على العلماء اللاحقين مثل روجر بيكون (Roger Bacon)² ويوهانس كيبلر (Johannes Kepler)³ في أوروبا. قد تطور علم الكيمياء في العالم الإسلامي، ويعتبر الرازي من أحد الشخصيات البارزة في هذا المجال. وقام الجغرافيون المسلمون مثل الإدريسي بإنشاء خرائط تفصيلية للعالم، وهم حققوا تقدماً كبيراً في الجغرافيا. وقد حافظ الفلاسفة الإسلاميون مثل الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وغيرهم على أعمال فلاسفة اليونان القدماء وتوسعوا فيها، وساهموا في تطوير المنطق والميتافيزيقا. هكذا لعب العلماء العرب والمسلمون دوراً حاسماً في الحفاظ على المعرفة ونقلها من الحضارات القديمة، على سبيل المثال، اليونانيين والرومان والهنود إلى العالم الغربي الحديث. وكان لهذه المساهمات تأثير عميق ودائم على تقدم المعرفة الإنسانية، وقد أرست أعمالهم الأساس للعديد من التطورات العلمية اللاحقة في أوروبا وأجزاء أخرى من العالم، ويستمر الاعتراف بإرث هذه الإنجازات ودراسته في مجالات تاريخ العلوم.

وعلى الرغم من تلك الإنجازات، هذه الفترة الإبداعية للبيئة الثقافية الإسلامية ليست معروفة على نطاق واسع التي كانت تستمر حتى أوائل القرن السادس عشر، كما هو معروف لدى الجميع أن الغرب لم يتجاوز على العرب إلا في القرن السابع عشر. ويقال إن الغربيون في بداية العصر الحديث أخذوا كثيراً من هذه الإنجازات التي حققتها الحضارة العربية، وكثيراً ما نسبوها إلى أنفسهم.

ولا يمكن لأحد أن يتجاهل دور المؤسسات الاستشرافية الألمانية وإسهاماتها في ترويج الدراسات العربية في أوروبا، وقد تميزت هذه الجمعيات بنشاطاتها العلمية، كما تم

إنشائها لبحث في التراث الإسلامي، ولتوثيق المخطوطات العربية النادرة التي كانت توجد في ألمانيا منذ أواخر العصور الوسطى عندما بدأ الانحدار للقوى الإسلامية. وتلعب هذه الجمعيات والمعاهد دوراً كبيراً بشكل مستمر في نشر المصادر العربية الثمينة، وفي تعريف الدراسات الإسلامية إلى القراء الألمانية، وأثارت فيها الرغبة والشوق إلى تفهم العالم الشرقي من خلال ما نشرته من أمهات الكتب والبحوث العلمية والمقالات ذات القيمة في المجالات والدوريات. ونجد في ألمانيا عدة من المؤسسات الاستشراقية، وأبرز منها "الجمعية الشرقية الألمانية" و"الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية" و"معهد الشرق الألماني" و"معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية" وغيرها.

تأسيس المعهد: أدت بعض الأحداث التاريخية في القرن العشرين إلى تغيير النظام العالمي أعقاب الحرب العالمية الثانية (1939-1945م)، على سبيل المثال، (1) ظهور قوى عظمى جديدة: فقدت بريطانيا وفرنسا مكانتهما المتفوقة وأفسحتا مكانهما للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي. (2) بداية إنهاء الاستعمار: واجهت بريطانيا وفرنسا مشاكل داخلية وخارجية مختلفة، ولم يعد بإمكان كل منهما التمسك بمستعمراته، فشهد عالم ما بعد الحرب نهاية الاستعمار في أفريقيا وآسيا. (3) تأسيس الأمم المتحدة: كانت إحدى النتائج الهامة للحرب هي ولادة منظمة الأمم المتحدة، ويجسد ميثاقها آمال البشرية ومثلها العليا التي يمكن على أساسها أن تعمل البلدان معاً للحفاظ على السلام الدائم. (4) الحرب الباردة: بدأت الحرب الباردة بعد وقت قصير من نهاية الحرب العالمية الثانية، ونشأت في التراجع التدريجي مع الانقسام الصيني السوفييتي بين السوفييت وجمهورية الصين الشعبية (1961م)، وانتهت بانتهاء الاتحاد السوفييتي (1991م). وهي كانت فترة من التوتر الجيوسياسي بين الكتلة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والشرقية بقيادة الاتحاد السوفييتي. واستند الصراع إلى الصراع الأيديولوجي والجيوسياسي من أجل النفوذ العالمي بين هاتين القوتين العظميين. وبصرف النظر عن سباق التسلح النووي والانتشار العسكري التقليدي، تم التعبير عن الصراع من أجل الهيمنة عبر وسائل غير مباشرة، مثل الحرب النفسية، والحملات الدعائية، والتجسس، والدبلوماسية الرياضية والمسابقات التكنولوجية مثل سباق الفضاء. خلال هذه الفترة قد تم تقسيم ألمانيا وعاصمتها برلين إلى أربعة أجزاء، وكان من المقرر أن تخضع هذه المناطق لسيطرة بريطانيا

العظمى والولايات المتحدة وفرنسا والاتحاد السوفيتي، وتم تقسيم ألمانيا إلى دولتين منفصلتين لفترة طويلة، حيث كانت ألمانيا الشرقية تحت حكم النظام الشيوعي، وألمانيا الغربية كانت فيها حكومة ديمقراطية، وفيما بعد تم إعادة توحيد البلدين (1990م).

قد شجعت هذه التطورات الغرب على التقارب مع الشرق علماً وأدباً وثقافةً، فأخذت الحكومة الألمانية الأمر على محمل الجد لفهم الثقافة العربية والإسلامية. وكانت نتيجة هذا التطور إنشاء "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية" (Institut für Geschichte der Arabisch-Islamischen Wissenschaften) برئاسة الأستاذ فؤاد سيزكين (Fuat Sezgin)⁴، في جامعة جون فولفجانج جوته بفرانكفورت، (1981م) لتقديم الصورة العلمية الحقيقية للعالم الإسلامي، ويكون بمثابة جمعية مستقلة وحيادية سياسياً. كما اعتقد السيد فؤاد سيزكين في البداية أن هذا هو المطلوب الوقت لتصحيح المفاهيم الخاطئة الرائدة لدى الغرب حول ازدهار العلوم والتكنولوجيا والأدب والثقافة من قبل علماء المسلمين في العصور الوسطى. قد افتتح المعهد في 18 مايو 1982م بحضور وفود وزراء من العالم العربي والإسلامي بجانب نائب رئيس جامعة فرانكفورت⁵، في ذلك تقدم معظم الدول العربية والعديد من المنظمات الدولية والشخصيات المؤثرة من العالم الإسلامي لتمويله مثل أمير الكويت الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح الذي ساهم بمبلغ 3.5 مليون يورو لجعل هذا المعهد مركزاً عالمياً للبحث والتحقيق والتوثيق ومؤسسة ممتازة للنشر والترجمة⁶. ومنذ ذلك الحين قام المعهد بنشر أبحاث الدكتور فؤاد وأعاد نشر الوثائق ومجموعة مقالاته.

أهداف المعهد: كان هدف "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية" الأول هو أن يكون مركزاً خاصاً لتصحيح صورة الإسلام وتاريخه، وجمع المخطوطات العربية المنتشرة في مختلف البلدان الإسلامية، ثم اهتمامها بالبحث والتحقيق والترجمة والنشر، وحصر دراسات وأبحاث المستشرقين، بحيث تصبح متاحة للبحث العلمي في المستقبل. وقدم الأستاذ فؤاد سيزكين شرحاً موجزاً للمشاريع التي تم إنجازها في المعهد بقوله:
1- البحث في تاريخ العلوم العربية والتراث الإسلامي ونشر أعمال العلماء العرب والمسلمين في هذا المجال وترجمتها إلى اللغات الأوروبية وإصدار مجلة خاصة بها.

- 2- إعداد فريق من الباحثين والمعلمين لتاريخ العلوم العربية والتراث الإسلامي، ولتحقيق هذا الهدف ستقدم المنح الدراسية للطلاب المتفوقين.
- 3- بناء مكتبة متخصصة لجمع المخطوطات الإسلامية وأمّهات الكتب العربية.
- 4- دعوة الأساتذة والعلماء المتميزين للبحث في المعهد والمشاركة في ورش العمل والندوات العلمية.
- 5- إيصال النتائج والأبحاث المعاصرة حول تاريخ العلوم التي توصل إليها العالم الغربي، وجمع وإعادة طبع الأعمال الاستشرافية.
- 6- إنشاء قائمة بالدراسات العربية التي تنشر باللغة الألمانية وكذلك المراجع التي تنشر بالدول العربية أو تتعلق بها⁷.

مكتبة المعهد: من المشاريع المهمة للمعهد جمع وإعادة طبع الأعمال الموجهة، فتم جمع أمّهات الكتب والمخطوطات العربية بشكل مستمر، التي كانت توجد في مكتبات عديدة للبلدان الإسلامية، فضلا عن العديد من المكتبات الخاصة في أوروبا، وفي أعمال مئات من المستشرقين حصرا ومصنفة في الفهارس لتصبح في متناول البحث العلمي. وقد تطلب هذا العمل إنشاء مكتبة ممتازة، وإعداد الأرشيف الإلكتروني لنسخ المخطوطات العربية، وقد اندهش الخبراء من نتائج المعهد كما تحتوي مكتبته على أكثر من 25000 مجلد وحوالي 300 مخطوطة عربية، وحوالي 7000 ميكروفيلم. سنجد نصوصا ودراسات مهمة من العلوم الإنسانية والطبيعية العربية، ومجموعة كاملة من كتالوجات المخطوطات العربية في جميع أنحاء العالم ونسخ من معظم المجالات في مجالات الدراسات الشرقية والإسلامية وكذلك التاريخ العام للعلوم باللغات الأوروبية والعربية، فهكذا صار المعهد منصة لتلقي المعرفة.

قد تركزت مكتبة المعهد على الجغرافيا العربية الإسلامية، وقامت باهتمام كبير لعمل الخرائط والأطالس ليتم تقديم إنجازات العرب والمسلمين في المجال الجغرافي، بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من الخرائط والأطالس التاريخية الأوروبية⁸، وكلها الآن تحت تصرف دائرة واسعة من الباحثين، نصفهم تقريباً عبارة عن مخطوطات عربية منشورة بالطباعة التصويرية، والتي تضمن في كثير من الحالات بقاء هذا الكنز الثمين حياً وفي متناول اليد، هكذا تمت المكتبة الحفاظ عليها من فقدان أو الضياع التي كانت في حالة السيئة.

متحف المعهد: لم يستخدم الأستاذ فؤاد سيزكين المعهد لتجميع المخطوطات وحفظ الكتب ذات القيمة ودراساتها فحسب، بل قام أيضًا بتصحيح تاريخ العلوم، لأنه صنع بمهارة نسخاً من الأجهزة التي اخترعها العلماء العرب، مما يثبت مواهبهم الإبداعية وإمكاناتهم الكبيرة، والتي لا يذكرها الإعلام الغربي نتيجة الجهل أو سوء النية. فوضع في المعهد مجموعة من المعدات والنماذج العلمية الفريدة في العصور الوسطى للإسلام في مجال علم الفلك والجغرافيا وعلم الساعات والملاحة والبصريات والعلوم الميكانيكية والكيمياء والعلوم الطبية، كما قام بتطوير الأشياء وخاصة الآلات الموسيقية بناءً على النص من العصور الوسطى في شكل نسخة طبق الأصل من الأشياء الأصلية. وقام المعهد أيضًا بتجميع الإنجازات العلمية المستمرة التي تم تطويرها في جميع أنحاء القارات، وتشمل مجموعة من المعدات من بغداد والأندلس وأوروبا الغربية لإعادة بناء الأوصاف والرسوم التوضيحية في المصادر أو بناءً على العينات الباقية. كما يضم هذا المتحف 800 آلة في مجال العلوم والتكنولوجيا مطابقة تمامًا للأدوات والمعدات العلمية التي اخترعها واستخدمها العلماء العرب من القرن التاسع إلى القرن السادس عشر. يضم هذا المتحف الفريد من نوعه العديد من المعروضات التي تثبت أن العلوم والتكنولوجيا العربية كانت في ذروتها خلال تلك الفترة حينما كانت أوروبا محاطة بالظلام بسبب الافتقار إلى التقدم الثقلي. يعرض المتحف أجهزة من 14 فرعاً علمياً⁹. على سبيل المثال، في المختبر الكيميائي توجد أداة دمشقية تُستخدم لتقطير ماء الورد التي استخدمها الإيطاليون فيما بعد في القرن الخامس عشر الميلادي. وفي القاعات الفنية يشاهد سيخ الشواء المضغوط بالبخار. ولا تزال الصيدليات حتى اليوم تستخدم جهاز الوزن النوعي الذي اخترعه البيروني، وهناك نموذجان لمستشفى نور الدين في دمشق ومستشفى آخر في أدرنة في غرفة الأدوات الطبية، حيث استخدمت الموسيقى لعلاج الأمراض العقلية قبل وقت طويل من انتشارها في أوروبا. وتوجد 200 آلة طبية أيضاً، ويمكن إرجاع جزء كبير منها إلى الطبيب الأندلسي أبو القاسم الزهراوي. ويوجد نموذج لكل من مرصد مراغة ومرصد إسطنبول في قاعتي الفلك والنجوم، وكان لهما أثر ظاهر في ازدهار علم الفلك في العلم الغربي. وقام المتحف باهتمام كبير على الملاحة والجغرافيا، كما كان العرب أول من صنع خرائط دقيقة للعالم التي لا يمكن للأوروبيين سوى إعادة إنتاجها. منذ القرن التاسع، تم إنشاء خريطة واحدة للعالم بناءً على طلب الخليفة الأمين، ويعرض المتحف نسخة منها. لقد

ثبت أن خرائط العالم والخرائط الأوروبية الدقيقة التي تعود إلى بداية القرن الثامن عشر هي من أصل عربي¹⁰.

منشورات المعهد: ولم يقتصر تحول المعهد إلى مركز للبحث العلمي وتوثيق المخطوطات فحسب، بل أصبح أيضًا ملتقى ومنصة لتلقي المعرفة ونشرها، كما يصدر المعهد طبعات جديدة للعديد من أمهات الكتب العربية، نصفها تقريبًا مخطوطات، والترجمات إلى اللغات الأوروبية، وفي إطار هذا المشروع تم النشر في المجالات التالية:

- سلسلة نصوص ودراسات لأعضاء المعهد وزملائهم المتخصصين من ألمانيا وخارجها، وصدر منها 27 مجلدًا منذ عام 1984 م.
- بيبليوغرافيا اللغة الألمانية لدراسات اللغة العربية والإسلام، وصدر منها 27 مجلدًا منذ عام 1990 م.
- سلسلة من إصدارات الفاكس للمصادر العربية التي كانت في السابق إما غير معروفة أو يصعب الوصول إليها أو يستحيل الوصول إليها أو لم يتم تحريرها بعد، وصدر منها 169 مجلدًا حتى الآن.
- الجغرافيا: الجغرافيا الإسلامية، (المجلدات: 1-278)، المنشورة منذ عام 1992 م إلى 1998 م. ونشرت (المجلدات الباقية: 279-318) منذ عام 2008 م إلى عام 2010 م.
- أدب السفر: العالم الإسلامي في حسابات السفر الأجنبية، (المجلدات: 1-79)، المنشور منذ عام 1994 م إلى عام 1997 م.
- الرياضيات والفلك: الرياضيات الإسلامية وعلم الفلك، (المجلدات: 1-115)، المنشورة منذ عام 1997 م إلى 2020 م.
- الطب مع الصيدلة: الطب الإسلامي، (المجلدات: 1-100)، المنشور منذ عام 1995 م إلى 2004 م،
- الفلسفة: الفلسفة الإسلامية، (المجلدات: 1-121)، المنشورة منذ عام 1999 م إلى 2020 م.
- الموسيقى: علم الموسيقى في الإسلام، (المجلدات: 1-9)، المنشور منذ عام 1997 م إلى 2022 م.

- العلوم الطبيعية: العلوم الطبيعية في الإسلام، (المجلدات: 1-90)، المنشورة منذ عام 2000م إلى عام 2002م.
 - المسكوكات: المسكوكات في العالم الإسلامي، (المجلدات: 1-56)، المنشورة في عام 2003-2004م.
 - التاريخ وتصنيف العلوم: التاريخ وتصنيف العلوم في الإسلام، (المجلدات: 1-60)، المنشور في عام 2006-2007م.
 - العمارة: العمارة الإسلامية، (المجلدات: 1-35)، المنشورة منذ عام 2007م إلى عام 2014م¹¹.
 - التاريخ: التاريخ الإسلامي، (المجلدات: 1-15)، المنشور في عام 2012-2014م.
 - كتاب "تاريخ التراث العربي" لفؤاد سيزكين (Geschichte der arabischen schrifttums) بدأ المؤلف بجمع المادة العلمية لتأليفه وليمته به العمل في الكتاب أكثر من خمسة عشر عاما¹². تم الطبع مجموع المؤشرات للمجلد من الأول إلى التاسع من هذا الكتاب في عام 1995م، والمجلد الحادي عشر المنشور في عام 2007م، والمجلد الثالث عشر: الجغرافيا الرياضية ورسم الخرائط في الإسلام وبقائها في الغرب، والمؤلفون مع مقدمة، نشر في عام 2007م. والترجمة الإنجليزية للمجلد الثالث عشر نشرت في عام 2011م. والمجلدان الرابع عشر والخامس عشر: الجغرافيا البشرية. (الجزء الأول والجزء الثاني) نشر في عام 2010م¹³.
- مجلة المعهد: "مجلة تاريخ العلوم العربية والإسلامية" (Zeitschrift für Geschichte der Arabisch-Islamischen Wissenschaften): هي مجلة سنوية ألمانية تصدر من جانب "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية"، وتم النشر العدد الأول للمجلة في عام 1984م¹⁴، وهي تستمر حتى الآن. وتنشر المقالات باللغات العربية والألمانية والإنكليزية. وتتضمن أيضا ملخصات باللغة العربية. وقد اشتهرت بمحتوياتها المتنوعة، وسرى هنا أربعة أعداد من هذه المجلة فقط لتجنب طول هذا المقال:

يحتوي المجلد الأول (1984م) على المحتويات العلمية المختلفة، على سبيل المثال، "رسالة البيروني في القطع الفلكية" لإف أي. حداد، ود. بينجري، وإ.س. كينيدي، و"علم الفلك العربي وكوبرنيكوس" لصليبا، و"تعليق ابن رشد الأوسط على التأويل الأرسطي. تقرير عن الطبقات الحالية" إ. ماير وغيرها.

ويتضمن المجلد الخامس (1989م) الموضوعات المتنوعة وأبرزها: "الفلسفة العربية الإسلامية. تقرير بحثي" لجي إيندريس، و"تحديد ابن الهيثم لخط الطول من ارتفاع شمسي واحد" لكينيدي، و"المنصور والاستقبال المبكر للكيمياء اليونانية. مساهمة في دور التواصل غير الأدبي" لستروماير.

ويتضمن المجلد العاشر المضامين المختلفة، ومن أبرزها "دور الأندلس في نقل مسطحات بطليموس والمجسطي" كونيترز. و"واحة الفيوم عند عثمان بن إبراهيم النابلسي. مساهمة في تاريخ مصر الاقتصادي حوالي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي" لكينغ الأول. و"الحلال بن أحمد والتاريخ المبكر للعقيدة العربية (النگمات) والأوزان الموسيقية بترجمة كتاب النغم من قبل يحيى بن علي المناجم" لنويباور (Neubauer) وغيرها

ويشتمل المجلد الثالث عشر (1999/2000م) على الموضوعات العديدة، ومنها، "الطرق التي استخدمها الملاحون العرب لقياس المسافات في المحيط الهندي" لشرام. و"مجال (الشطرنج) حول ما يسمى بـ "الشطرنج الفلكي" عند المسعودي والأموي وألفونس العاشر" ليو شادلر. "لمحات من الموسيقى العربية في العصر العثماني من مصادر سورية ومصرية" لنويباور.

الخاتمة: وأخيرا يمكن لنا القول إن هذا المعهد يلعب دوراً مهماً في تصحيح تاريخ العلم، وفي تقدير التراث العلمي العربي في المجتمع الأكاديمي العالمي، بصناعة نسخاً من الأجهزة التي اخترعها العلماء العرب، وهو أمر نادر في أوروبا والعالم العربي أيضاً. وله مساهمات كبيرة في ابداع الرغبة والشوق بين الجمهور لفهم العالم الشرقي من خلال إصداراتها، ويمكننا أن نختم هذا المقال بذكر الأنشطة البارزة للمؤسسة في التالي:

1. الأرشفة والتوثيق: جمع وحفظ المخطوطات وأمهات الكتب العربية وغيرها من الوثائق في التراث العلمي العربي.

2. البحث: دراسة بدايات العلوم العربية وازدهارها المستمرة، بالإضافة إلى حياة الباحثين ومساهماتهم، ثم الوصول إلى إنجازات تحقيقاتهم.
3. المنشورات: نشر الكتب والمجلات وغيرها من المواد حول العلوم العربية الإسلامية لجعل نتائج البحوث متاحة للجمهور.

الهوامش

- ¹ الناجي، خليل. "الخوارزمي وتأسيس علم الجبر"، الجزيرة، تاريخ النشر: 25 مارس 2018م، <https://www.aljazeera.net/blogs> وتاريخ الاطلاع: 25 أكتوبر 2023م. نقلًا عن راشد، رشدي. موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج2، (الرياضيات والعلوم الفيزيائية، ط1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م.
- ² كان روجر بيكون (1214 – 1294م)، أحد أشهر الرهبان الفرنسيين في عصره. كان فيلسوفًا إنجليزيًا دعا إلى إصلاح الدراسة اللاهوتية، وقد ركز بشكل كبير على التجريبية، وتم تقديمه كواحد من أوائل المدافعين عن المنهج العلمي الحديث في الغرب؛ كان على دراية وثيقة بالمنطق والفلسفة الأرسطية، والرياضيات، والبصريات، ومعظمها عبر العالم العربي.
- ³ يوهانس كيبلر (1571 – 1630م) عالم فلك ورياضيات ومنجم وفيلسوف طبيعي ألماني، وهو شخصية رئيسية في الثورة العلمية في القرن السابع عشر، اشتهر بقوانينه المتعلقة بحركة الكواكب، وهو أحد مؤسسي علم الفلك.
- ⁴ فواد سيزكين (1924-2018م): هو التركي الأصل، من كان آنذاك أستاذًا لتاريخ العلوم الطبيعية في جامعة فرانكفورت، درس العلوم الإسلامية وعلوم اللغات والآداب العربية والفارسية والرياضيات (1943-1951م)، أولاً كان أستاذًا في جامعة إسطنبول، وغادر تركيا وجاء إلى ألمانيا (1962م) وعمل محاضرًا زائرًا في إحدى جامعات فرانكفورت، كان آنذاك يحب تاريخ العلوم العربية، واتخذ هذا الموضوع بمثابة أطروحته لنيل درجة الدكتوراه (1965م)، وفي نفس العام نجح في نشر المجلد الأول من كتابه الشهير "تاريخ التراث العربي" (*Geschichte des Arabischen Schrifttums*)، تركت أبحاثه على العلوم العربية بجانب مصادر المعرفة من اليونان.
- ⁵ سيزكين، فؤاد. "إنجازات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية (جامعة فرانكفورت)" الأكاديمية، المغرب، ع29، 2012م، ص: 185.
- ⁶ عواد، سمير. "زيارة لمعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت". بحرين: الوسيط، ع746، تاريخ النشر 20 سبتمبر 2004م، تاريخ الاطلاع: 15 أغسطس 2023م، <http://www.alwasatnews.com>. و"لولا الكويت لما تأسس المعهد"، الكويت: الراي، تاريخ

النشر: 20 يوليو 2011م، وتاريخ الاطلاع: 15 أغسطس 2023م،

<https://www.alraimedia.com/>

⁷ سيزكين، فؤاد. "إنجازات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية (جامعة فرانكفورت) الأكاديمية، المغرب، ع29، 2012م، ص: 183-198.

⁸ النملة، علي. "تجربتي العلمية الذاتية مع فؤاد سيزكين"، الفيصل، <https://www.alfaisalmag.com/?p=16181> تاريخ النشر: 1 يوليو 2019م، وتاريخ الاطلاع: 25 أغسطس 2023م.

⁹ يمكن العثور على وصف تفصيلي للأدوات في كتالوج العلوم والتكنولوجيا في الإسلام I-V، الذي تم نشره باللغتين الألمانية والفرنسية في عام 2003م، وتم نشر ترجمة باللغة الإنجليزية في عام 2011م، وتم نشر كتالوج الآلات الموسيقية في عام 2000م.

¹⁰ سيزكين، فؤاد. "إنجازات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية (جامعة فرانكفورت) الأكاديمية، المغرب، ع29، 2012م، ص: 195.

¹¹ من الصفحة الرئيسية لمعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، https://www.unifrunkfurt.de/58601604/Institut_f/C3/BCr_Geschichte_der_Arabisch_Islamischen_Wissenschaften.

¹² الصاغرجي، مأمون. "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج59، ج3، تموز 1984م، ص: 666.

¹³ من الصفحة الرئيسية لمعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، https://www.unifrunkfurt.de/58601604/Institut_f/C3/BCr_Geschichte_der_Arabisch_Islamischen_Wissenschaften.

¹⁴ الصاغرجي، مأمون. "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج59، ج3، تموز 1984م، ص: 666-668.

المصادر والمراجع

- بدوي، عبد الرحمن. موسوعة المستشرقين، ط2. بيروت: دار العلم للملايين، 1993م.
- زقزوق، محمود حمدي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. القاهرة: دار المعارف، 2008م.
- سنو، عبد الرؤوف. ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين. بيروت: الضرات للنشر والتوزيع، 2007م.

- الندوي، أبو الحسن علي. **الإسلاميات بين كتابة المستشرقين والباحثين المسلمين**، ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986 م.
- هاينن، أنطون. والحلوجي، عبد الستار. **المخطوطات الإسلامية في العالم**، ج1. لندن: مؤسسة الإسلام للتراث الإسلامي، 1991 م.

المجلات والدوريات

- رائد أمير عبد الله. "المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع (1/15)، 2014 م.
- سيزكين، فؤاد. "إنجازات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية (جامعة فرانكفورت) الأكاديمية، ع29، 2012 م.
- الصغري، مامون. "معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت" مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج59، ج3، يوليو، 1984 م.
- فالتر، فايكه. "نشر التراث العربي ودراسته في ألمانيا". مجلة كلية الآداب، تصدر من جامعة بغداد، 1979 م.

المرجع الإلكتروني

- <https://www.uni-frankfurt.de/58601604>

دراسة نماذج المرأة وصورها الإيجابية في الروايات العربية الواقعية

د. اختر عالم *

akhterjnu@gmail.com

الملخص: الفن انعكاس إيجابي لحركة الواقع، هذه المقولة لا تصدق على مضمون الرواية في مصر فحسب، بل تستوعب أيضا تاريخ تطورها، ونهاية الحرب العالمية الثانية وعلى التحديد سنة (1944 م) هي الفاصل في تاريخ الرواية حيث توقف فيها رواد المذهب الرومانسي، وظهر في نفس السنة "مليم الأكبر" لعادل كامل، وفي العام الثاني (1945 م)، ظهر أول عمل لنجيب محفوظ في الرواية الاجتماعية "القاهرة الجديدة" كما شهدت نفس السنة ميلاد كاتبين في التيار الرومانسي الجديد هما محمد عبد الحليم عبد الله وعبد الحميد جودة السحار. وقد أدت الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، وظهور جيل جديد من المفكرين يختلف في مستواه الاجتماعي والفكري عن سابقه، بالإضافة إلى ظهور الفكر الاشتراكي في مصر منذ وقت مبكر، أدى كل هذا إلى الاتجاه العلمي في الفكر والمذهب الواقعي في الأدب، ويجب أن نذكر أن الاتجاه الواقعي في الأدب، قد ولد على استحياء في الواقع المصري بسبب الحساسية المذهبية التي كان يحملها الرجعيون والممثلون للأدب الرسمي لشباب المذهب الجديد. فقد نشأ الاتجاه الواقعي "بفعل طبيعة الحياة العربية ذاتها وبفعل الحركة الإنسانية التاريخية ثانيا" كما قال رفعت السعيد في كتابته عصام الدين حفنى ناصف، أى أن الواقعية نشأت استجابة حتمية للتغير الاجتماعي والفكري داخل الطبقة الوسطى العربية، وتطلع القوي العاملة وصغار الموظفين والطلبة إلى المساهمة في الصراع الاجتماعي والفكري والسياسي. ففي هذا البحث استعرضت نماذج المرأة وصورها الإيجابية في الروايات العربية الواقعية التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين.

كلمات مفتاحية: النماذج، الصور، الواقعي، الفكر الاشتراكي، الإيجابية، شخصية المرأة، الحواجز الطبقيّة.

وبدأ ظهور الاتجاه الواقعي في الرواية حين قام محمد لطفى جمعه بتقديم روايته "في وادي الهجوم" (1905 م) حيث نادى محمد لطفى جمعه في مقدمتها بـ "أن تصوير البشر

* أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، بيودلهي، الهند

كما هم، أفضل بكثير من تصويرهم كما يجب أن يكونوا"¹ وينتهي إلى قضية أدبية سبق بها عصره حين نبه إلى أن "الروايات منقسمة إلى قسمين: الأول رومانتيك أى روايات خيالية والثاني ريالستيك أى روايات حقيقية"².

وأول عمل واقعي في مجال الرواية الواقعية هو: "عاصفة فوق مصر" (1939م) لعصام الدين حنفي ناصف فقد حاول المؤلف في هذه الرواية في نشر الفكر الاشتراكي والمناذاة برفع الظلم الاجتماعي عن العمال والفلاحين، وأهم ما كان يشغله في الرواية إبراز الطريقة غير الإنسانية التي ينمو بها الإقطاعيون في الريف على حساب الفلاحين، الذين لا يجابهون الظلم من الإقطاعيين فحسب بل من مندوبى الحكومة أيضاً، والشخصية النسائية الوحيدة في الرواية هي زينب التي يدور بسببها الصراع بين عبد الخالق أفندي وعطية أفندي ناظر الزراعة في إطار الزواج، فالأول يطلبها لأنه يحبها والثاني لأنه ابن عمها، وقد بهتت صورة المرأة في الرواية لأن الكاتب مشغول عنها بالقضية الإصلاحية التي يصورها وشغل بها طوال عمره.

ونجد المحاولة الأكثر نضجاً في رواية "صرعى البؤس" لأحمد محمد عيش (1940م) والمؤلف لم يتمكن من نشرها إلا بعد الثورة بسنوات (1958م) نطالع في هذه الرواية على مظاهر البؤس الاجتماعي التي يتعرض لها صغار الفلاحين والعمال، ففى الرواية تلقانا صورة المرأة التي تبرزها "فاطمة" واعية تقدمية، ترفض القيود التي تفصل بين البشر، فأحبت فاطمة (ابنة العمدة "الشيخ حسن") "حمدان"، من أجل تحطيم الحواجز الطبقيّة التي لا تسمح لعامل غريب، أن يتزوج بابنة عمدة، وقد كانت إيجابيتها سبباً لا في سعي بطل الرواية حمدان لخطبتها فحسب بل لإجبار والدها على أن يزوجه من أحببت، بعد أن توسط الباشا - الذي لعمل حمدان خفيرا عنده - من أجل إتمام الزواج.

وإذا كان حمدان سلبياً في علاقته بفاطمة، فإنه يبدو إيجابياً في انتقاد الباشا والاعتراض على ما يقوم به من ظلم للفلاحين فيطرده الباشا، وهنا يستغل العمدة الفرصة ويطلب طلاق ابنته، وبعد الطلاق يسجن حمدان زورا، ولكن فاطمة تظل تبحث عن الحقيقة حتى تعرفها، ويدور بينها وبين أبيها صراع، يبرزه هذا الحوار الذي دار بينهما:

- أى شريعة تبيع للأباء وأد بناتهم، استغفر الله بل قتلهن في رائعة النهار.

- قتل؟ وهل أنا قتلتك أيتها المجنونّة؟

- (في ألم وحسرة) ألم تقتلنى (وقد عضت على شفيتها في ثورة وحنق) متى ستقتلنى إذن؟

- إنك لمجنونة، متى قتل الآباء بناتهم؟
 - إني ذاهبة إلى حمدان وسأعائشه على مرأى ومسمع منك ومن ذلك الحكم الخاطئ،
 الذي استصدرته في غفلة مني وفي غفلة من الزمن أيضا.
 - أيتها الفاجرة ماذا تقولين؟
 ثم قام من فوره وأمسك بعنقها محاولاً حنقها، فانزلت من بين يديه ودفعته في عنف
 وسخرية، فبصق في وجهها قائلاً في غضب واشمئزاز:
 - الموت أيسر عندي من ذلك أيتها الفاجرة.
 فصرخت الفتاة مرة أخرى وقالت لأبيها: لن أخشى الموت بعد اليوم"³.
 ففاطمة تنقل انفعالاتها الثورية ضد أبيها إلى نساء القرية، حيث اتخذت معهن من
 حمدان رمزا للبطولة، وتهز حركة النساء القرية وعلى هذا فإن الكاتب لم يلتزم في
 تصويره لشخصية المرأة أو الرجل بحدود الوعي الخاص لكل شخصية في إطار الزمان
 والمكان اللذين قدم الرواية خلالهما، ولعل رغبة المؤلف في أن يبرز أهمية الدور الذي يمكن
 أن تقوم به المرأة في المجتمع هو ما جعله يباليغ في تصوير إيجابيتها ورسم شخصيتها،
 بدرجة خرجت معها الصورة عن حدود النموذج الذي تحاكيه.
 وكذلك يعد عادل كامل بروايته "مليم الأكبر" (1944م) من المؤصلين للاتجاه
 الواقعي في الأدب والفكر الاشتراكي وإنه قدم رواية ناضجة لا تخلو من دعوة اجتماعية
 بالنسبة لقضية المرأة، حين قدم صورة (هانيا) نموذجا جديدا للمرأة.
 وتبدو صورة المرأة وقضيتها عند نجيب محفوظ إيجابية متفاعلة لأنه كاتب لم يهتم
 بأن يقصر تجارب الناس في رواياته على تصوير العواطف فحسب ولكنه ربطها بكافة
 العوامل التي يتأثر بها الفرد في المجتمع وله أكبر الأثر في تطوير الرواية العربية.
 وإذا باحثنا صور المرأة وقضاياها في روايات محفوظ الواقعية خاصة في روايات أربع هي:
 القاهرة الجديدة - خان الخليلي - زقاق المدق - بداية ونهاية. ونجد أن صورة المرأة فيها
 تكاد تكون موازية لحركة الواقع الاجتماعي، وقد شغل نجيب محفوظ أيضا في هذه
 الروايات الأربع بثنائية فكرية بين الدين والعلم، أو بين الإيمان الروحي والاشتراكية
 المادية. انظر إلى هذه الفقرة من رواية "بداية ونهاية" "يا للعجب إن مصر تأكل بنيتها
 بلا رحمة، ومع هذا يقال عنا أننا شعب راض، هذا لعمرى منتهي البؤس، أجل غاية
 البؤس أن تكون يائسا وراضيا، هو الموت نفسه، لولا الفقر لوصلت تعليمي هل في ذلك

شك؟ الجاه والحظ والمهن المحترمة في بلدنا هذه وراثية، لست حاقدا ولكني حزين على نفسي وعلى الملايين، لست فردا ولكنني أمة مظلومة"⁴.

هذا ما يقوله حسين في "بداية ونهاية" الذي استطاع أن يدرك أن قدره البائس ينسحب على الملايين من أبناء شعبه، وهذه الحقيقة تنطبق على الناس في هذه الروايات، فالأبطال الرجال فيها قد أحسوا أزمة الواقع وعبروا عنها قولاً وفعلاً.

فأحمد بدير في "القاهرة الجديدة" يسأل زملاءه طلبة الجامعة عن رأيهم في المرأة، فيجب الأخ المسلم مأمون رضوان: أقول ما قال ربي، فإن رغبت في معرفة أسلوبها الخاص فالمرأة طمأنينة الدنيا، وسبيل وطئ لطمأنينة الآخرة، وأما على طه فإنه يؤمن بالمبادي الاشتراكية يقول: المرأة شريك الرجل في حياته كما يقولون، ولكنها شركة دعامتها ينبغي أن تكون المساواة المطلقة في الحقوق والواجبات"⁵.

وقد انتقلت هذه الفكرة في قضية المرأة إلى رواية "خان الخليلي" وقام بها الكاتب "أن المرأة الحقيقية هي البغي! فهي المرأة الحقيقية وقد جلت عن وجهها قناع الرياء، فلم تعد تشعر بضرورة ادعاء الحب والوفاء والطهر"⁶.

ونجد في "القاهرة الجديدة" إحسان شحاته الفقيرة الساقطة بجوار تحية حمديس: الاستقرائية المتماسكة، ونوال: البرجوازية الصغيرة المحافظة في إطار التقاليد التي يرسمها الوالد وتنفذها الأم بعناية، في مقال حميدة: المجهولة الأصل والمنعدمة الرعاية بين روايتي "خان الخليلي" و"زقاق المدق"، هذا بينما تقدم "بداية ونهاية" نماذج هي اختصار دقيق لصورة الواقع الاجتماعي، حيث نجد "نفيست" بلا أب ولا مال ولا جمال، وبالثاني بلا حصانة أخلاقية، ولذا كانت شهيدة اليأس والفقر، وبهية البرجوازية المحافظة تمثل الوداعة والحنان الظامئ إلى حياة البيت السعيد، وكريمة أحمد بك يسرى الجميلة الاستقرائية، التي يرى حسنين أنها "لم تكن فتاة بقدر ما كانت طبقة وحياء"⁷.

وبرغم اختلاف الروايات التي تتناول هذه النماذج يربطها جميعاً إطار فكري واحد لأن منظور الأديب الفني واحد يعكس صدق تمثيله للواقع، ووضوح رؤيته لجوانب العلاقات الاجتماعية، التي تجمع بين النماذج البشرية المثلثة لقطاع في الحياة، وعلى هذا ذهب بعض النقاد إلى تقسيم صورة المرأة في هذه الروايات إلى ثلاثة نماذج: 1- صورة المرأة

الفقيرة 2- صورة البرجوازية المتوسطة 3- صورة الاستقرائية، نرى أن "إحسان شحاته" تمثل في "القاهرة الجديدة" المرأة الفقيرة و"حميدة" في رواية "زقاق المدق"، و"نفيسة" في "بداية ونهاية" لأن علاقة هؤلاء البطلات جميعا قد انتهت بالقوى الاجتماعية المحيطة بهن إلى السقوط، بسبب قسوة الظروف التي يعيشها الفرد في المجتمع، وتمثل "نوال" في "خان الخليلي"، و"بهية" في "بداية ونهاية"، الفتاة البرجوازية المتوسطة، فتاة الطبقة الوسطى التي كفلت لها الأسباب المادية والاجتماعية عوام الاستمرار والبقاء، وهذا متعمد لإحداث نوع من (المقارنة المقصودة) بين نموذج لم توفرت عوامل البقاء المادي والثبات العاطفي والاستقرار العائلي، وبين نموذج لم تتوفر له هذه الأسباب، ومن ثم سقط ضحية الأزمة بعد أن اكتوى بنارها.

هناك نموذج آخر للمرأة في روايات الواقعية النقدية تمثله "نوال" أهم شخصية نسائية في رواية "خان الخليلي"، لأن الكاتب كان مشغولا بالدرجة الأولى بضياغ البطل وأزمته، إذ عاش في الحياة أربعين عاما بلا حب، وبالحكومة عشرين سنة بلا درجة، ولم يجد السلوى في الدراسة الجامعية أو القراءة الذاتية أو تخفيف أحزان الأسرة، أو في الالتقاء بالناس أو الانعزال عنهم، حتى الحب عجز عن أن يقوم بتجريبية ناجحة فيه.

ويقدم الكاتب "نوال" على أنها فتاة في السادسة عشرة "متوسطة القامة معتدلة القوام رشيقة الفسات على أن وجهها أجمل ما فيها"، وقد تقدمت في دراستها الثانوية، ولكن "ليس العلم ما تنشد ولا المدرسة بالمأوى الذي يهضو إليه فؤادها، وأحلامها لا تفارق البيت، ولا تزال تعد أمها أستاذتها الأولى، وتتلقى عنها فنون الحياة المنزلية من طهى وحيآكة وتطريز، وما رأت في العلم يوما إلا زينة وتحلي بها أنوثتها وحلية تغلى من مهرها، فتركزت حياتها في هدف واحد: القلب أو البيت أو الزواج"⁸. ولم تحاول "نوال" على الرغم من ظروفها المنعمة أن تستفيد من العلم، وظلت تدور في إطار الصورة التقليدية للمرأة، لذلك أحببت الرجل وهو أمل مجهول وعاطفة غامضة، وهذا ما جعل "أحمد راشد" المؤمن بالمبادئ الاشتراكية يصدم حين يلقاها، وينصحها قائلا: "...أحبي العلم كما تحبين الحياة، فهو منها بمثابة العقل من شخص الانسان، وينبغي أن يتغذى به عقلك ويتمثله، كما يتغذى جسمك بالطعام ويتمثله. أين الشوق إلى أسرار

الوجود... أين اللهفة على المعرفة؟... لا يجوز أن يتخلف قلب المرأة عن قلب الرجل في طريق العرفان والمجهول"⁹.

وكذلك "تحية حمديس" في "القاهرة الجديدة"، كيف أثرت الظروف المادية على تكوين المرأة وتحديد مكانتها في المجتمع، "تحية" هذه فتاة متعلمة مثقفة ولكن علمها ليس سلاحا للعمل، لقد أدخلتها الأسرة "كلية بنات الأشراف" حتى لاتعمل بعد أن تحصل على شهادة مثل بقية الناس، وهي مثقفة متحررة تناقش محجوب عبد الدايم في الأمور العامة، وتوافق على أن تذهب معه في رحلة إلى آثار الهرم، وحين حاول محجوب أن يقبلها رفضت، هل هذا لتفتح وتحرر وحصانة أم إزدراء لمحجوب الفقير؟ فيما يبدو أن الحواجز الطبقيّة هي التي جعل تحية تترفع على محجوب وتراه مجنوناً، لذلك بعد أن سارت وحدها بسيارتها "أتبعها عينيه حتى هبطت تحت مستوى البصر، وغابت عن ناظريه تاركة إياه وحيدا عند سفح الهرم..."¹⁰ إن عبارة سفح الهرم لا يمكن أن نأخذها على ظاهرها، إنما هي تعبير مجازي يراد به أن محجوب في أدنى مستوى اجتماعي بينما هي في القمة العاليت.

وكريمة أحمد بك يسرى في "بداية ونهاية" المرأة الاستقرائية، فالمؤلف لا يسميها وإنما يسمي والدها ولا يتعمق في وصفها، وحسنين حين رآها لم ير فيها ما يراه الحبيب في محبوبته، إنما يراه الطفل في لعبة جميلة والمحروم في وجبة شهية، إذ رآها "ذات قامت نحيلة وصدر ناهدة وبشرة نقيّة، وقد أعجله النظر إلى ساقها المدملجتين اللتين الارتفاع والانخفاض، فلم يكذب يتبين وجهها، واختفت وراء جناح الفيلا الأيمن قبل أن يستدرك ما فاتته منها"¹¹.

إن أبطال في روايات محفوظ بعد فشلهم في الحب - باعتباره تجسيدا لكثير مما يبتغون من آمال وسعادة - تمتلكهم رغبة عارمة في التحطيم والهدم، وإذا كان محجوب يريد أن يقذف القاهرة بحجارة الهرم، فإن "أحمد عاكف" بعد فشله في حب "نوال"، ونفس الاحساس تملك "عباس الحلو" بعد أن فقد "حميدة" في رواية "زقاق المدق"، وقريب من هذا ما أحسه حسنين بالخيبة بعد أن رفض أحمد يسرى خطبته لكريمته، ولكن الملاحظ أن ثورة هؤلاء الأبطال كانت مجرد حنق فردي وغضب ذاتي، لذلك لم يكن لسخطهم صدى أو لغضبهم تأثير.

وقد أضاف الدكتور طه وادي إلى هذه النماذج - صورة الأم التي يرى بداية باهته لها في "خان الخليلي" ثم تقوى الصورة في "بداية ونهاية".

لقد كان ظهور نجيب محفوظ، في الأربعينيات من القرن العشرين، نقلة مؤثرة في تاريخ الرواية العربية، إذ استطاع هذا الكاتب العبقرى - خلال النصف الأول من هذا القرن العشرين - أن يخرج هذه الرواية من الإقليمية إلى آفاق العالمية، لأنه نجح في نقل الواقع الاجتماعي المصري، دون أن يقلد تيارا خارجيا، وإن كان استفاد كثيرا بالتقنيات البنائية للرواية. لقد جعل محفوظ من الرواية سجلا اجتماعيا لمصر الحديثة، إذ نقل - بصدق، وبدرجة عالية من الفن - واقع الوعي المصري المعاصر، وتفاصيل الحياة اليومية الاعتيادية في حوارى وأزقة القاهرة المعزية.

وترصد المؤلفات البدائية المبكرة لاهتمام نجيب محفوظ بقضايا المرأة، نجد مقالة كتبها الروائي العربي الكبير في مجلة (السياسة الأسبوعية)، في العام 1930م، وهو بعد في التاسعة عشرة من عمره، ويدعو فيها إلى ضرورة تعليم الفتاة، بينما ينتقد خروج المرأة للعمل في دواوين الحكومة، لأن ذلك يؤدي إلى انحلال الأخلاقيات في تلك الدواوين، ويزيد من حدة مشكلة بطالة الشباب، ويؤدي إلى تفكك الأسرة، والواضح أن الشاب نجيب محفوظ كان متأثرا في آرائه هذه بالفكر الاجتماعي المتحفظ الذي ساد تلك الفترة، كما تدلنا مؤلفاته ونجد إنتاجه يتمثل في ثلاثة تواريخ هامة، أثرت في محفوظ على نحو خاص، وفي الشعب المصري عامة، وهي: ثورة 1919م، فمحفوظ هو ابن هذه الثورة، التي أضرته أساسيات الوعي السياسي والاجتماعي.

وبعد فشل ثورة 1919م، نجح محفوظ في نقل مشاكل الطبقة المتوسطة - وهو ينتمي إليها - من خلال شخصياته الروائية، التي انتقاها بعناية فائقة، ومنها الشخصيات النسائية، فاختار نساء عاديات من تلك الطبقة، يتوفر فيهن الصدق الفني، وكن مطابقات تماما للواقع الاجتماعي، وإن اختلفن من رواية لأخرى، حسب المهمة المطلوبة من كل شخصية على حدة، في خدمة البناء الروائي، ومدى نجاح الكاتب في استخدامها لتوصيل معلومات إلى القارئ، وتجسيد حقائق الأحداث والشخصيات الأخرى، وكان بعض الشخصيات النسائية بمثابة المحور لمعظم روايات نجيب محفوظ.

وقد قام المحللون في الرواية بتحديد السمات العامة لصور المرأة عند أدباء الرومانسية الجدد وعند الأدباء الواقعيين من خلال موقفهم الفكري من قضايا المرأة في المجتمع، "وإذا كان الرومانسيون يصرون في رؤيتهم للواقع والفض عن نظرة جزئية المنهج سلفية

الإدراك، فمن المتوقع أن يكون تصورهم لدور المرأة في الحياة هو نفس الدور التقليدي الذي يحصرها في إطار الأنثى، لا كجنس مقابل، وإنما كنوع أدنى إدراكا للمسؤولية وناقصة عقل ودين¹². لذلك نراها عند عبد الحليم عبد الله "سلعة معروضة افتش في سوقها عما يرضيني. أما الرجل فما كان سلعة قط"¹³، وجودة السحار نجده يصور تعليم الفتاة على أنه سبيل إلى الانحراف والخروج على الآداب كما ذكرت من قبل، والسباعي يرى في "بين الأطلال" "المرأة إذا أحببت فهي تفضل مسح حذاء زوجها على رئاسة الوزارة"¹⁴.

وإذا باحثنا عن الروائيين الواقعيين نجدهم يصرون عن رؤية أكثر إدراكا للواقع، وأشد وعيا بالعوامل المؤثرة فيه، ومن ثم كان تصورهم للمرأة في الواقع والفض أكثر تقدمية، إنها عندهم إنسان متفاعل ذو إرادة حرة وعواطف يجب أن تحترم لذلك كانت الصورة ذات طبيعة ديناميكية متحركة، وهي في حركتها مدركة لجميع العلاقات الاجتماعية التي تتحرك من حولها، وعلى هذا فالمضمون الفكري للرواية والصورة عند الواقعيين أعظم، لأنهما يصدران عن إدراك واع بجميع العوامل المؤثرة في الواقع والفض، إن انعكاس الصورة في الفض ليس انعكاسا سلبيا وإنما هي انعكاس إيجابي يبرز حقيقة ما، بها يعيد الإنسان إدراكه للوجود ورؤيته للواقع، لذلك يذهب نقاد الأدب الواقعيين إلى أنه "لا يوجد شيء يطلق عليه عمل فني، في حين يخلو من أي مضمون أيديولوجي"¹⁵.

في "بعد الغروب" نجد هذا المشهد بين أميرة وعبد العزيز بطلي الرواية: "وما مضت ساعة من الزمن حتى كنا في إحدى الحدائق، حيث انتحينا هناك ناحية نتمتع بالهدوء، وجلسنا متجاورين على كرسي يظلله عريش من الخشب تحنو عليه الأغصان، وكانت الفتنة إلى جوارى لا يفصلها عنى إلا بعد قليل، فتنت رأيتها هم قلبي وكيان وجودي، تفوح من شعرها الحالك رائحة عطرها الشذى الخفيف الذي نفذ إلى خياشيمي، فأعاد إلى ذاكرتي كل موقف من مواقفنا الماضية، ونظرت أميرة إلى الساعة في معصمها ثم نظرت إلى بطرف فاتر كأن فيه بقية سكر، وقالت: كان يجب أن أكون الآن في عيادة الطبيب لو أن الأمور سارت وفق ما دبرته، فقلت: لا تدبير مع المقادير يا أنسة، وما كان يجب أن تكوني هناك ولكن يجب أن تكوني هنا، ثم أخذت أنفاسي طويلا واتجهت إليها بكل ما في، وأردفت أقول: ماذا تتوقعين أن أقول لك؟ هل تستطيعين أن تخمنى موضوع الحديث؟ إخاله لا يخفى على ذكائك.

فأجابتنى بصوت هادئ نافذ النبرة بعد أن صبت على مغناطيس عينيها: وهل تظن موضوع حديثنا من الخفاء بحيث يحتاج إلى تفكير؟ لن أكون مبالغاً إذا قلت: إنه حديث معاد... معاد حقيقة لكنه غير ممل، خضنا فيه بالعيون والجوارح، وإن لم تخض فيه الألسنة إلا مرة واحدة، ولكن... آه.

ثم حولت بصرها وأطرقت قليلاً، ورأيت على ملامحها مسحة من الخوف، فأمسكت كتفها قائلاً لها: أميرة... لا تغضبني إذا قلت لك إن العام الذي قضيت بعض أيامه على قرب منك، كنت فيه أشبه برجل يعيش في قصر مسحور تملؤه المفاجآت والألغاز، فقلبه عرضة في كل يوم إلى هزة عنيفة، أريد أن أعرف سبباً حملك على أن تجشمي قلبك السير في طريق دوار، والسبيل أمامه ممتدة واضحة، ثقي بأني غير خادع ولا كاذب حين أقول: إنك ملكت قلباً بكرة، لمستته فيما مضى أنامل حب لا يزيد على حب الطفل للعبة، أما اليوم فقد عرفت الحب وأدركت لذة الشقاء فيه، وعرفت الدمعة، وعرفت سر امتزاج الأرواح، أنت ضرورة لحياتي فلا أرى الوجود إلا بك، فإذا كان موقفك مني غير موقفي منك، فنقي أن وجه حياتي سيتبدل.

فقالت: أنت تتعجل الحوادث، وهذا مما لا يوافق طبعي، أتريد أن تضع للغيب تصميمًا كما يفعل المهندسون قبل بناء قنطرة أو بيت، وقد قلت إن لا تدبير مع المقادير؟ لا يزعمك يا صديقي أن أصارحك بأنني على الرغم من السعادة التي أحسستها بعد حبك، أراني في حيرة من أمري، ولا أنكر أنني كنت أحميد عن طريقك عامدة ألا أحب، وقد ساعدتني طبيعة قلبي على ما أردت طول هذه المدة...¹⁶.

بينما يدور الحديث في "بعد الغروب" على هذا النحو نجد موقفاً عاطفياً مماثلاً بين "بهية" و"حسنين" في "بداية ونهاية"، حيث يقول لها حسنين:

- يخيل لي في بعض الأحيان أنه لا قلب لك!

فتورد وجهها وخفضت عينيها في حياء ثم رفعتها قائلة في خشونة:

- ما دليل القلب عندك؟

فقال في حماس: تصرح لي بأنك تحبينني، ... وأن..

- وأن...؟

- وأن نتبادل قبلة حارة.

- فقالت بحدة: إذن حقاً لا قلب لي.

- يا عجباً، ألا تحبينني يا بهية!!

- فلاذت بالصمت في ارتباك وضيق.
- ألا تحبينني؟
- فتنهدت قائلة: إذن لماذا تم ما تم؟! فابتل صدره المحترق وهتف برجاء: أحب أن أسمعها بأذني.
- لا تكلفني ما لا أطيق!
- فتنهذ بدوره في شبه يأس، ثم قال بلين: إذا أعياك الكلام فلن تعيبك قبلة.
- يا خبر أسود.
- يا خبر وردى كالشهد! من غير هذه القبلة أموت كمد!
- إذ فليرحمك الله!
- لا تطيقينها؟ لن تكلفك شيئاً، أبقى كما أنت، ثم أتقدم خطوة وأضع شفتي على شفتيك، فتكون الحياة التي ما بعدها حياة.
- أو الفراق الذي ليس بعده تلاق!
- بهية!
- أفندم!
- أنت لا تعنين ما تقولين.
- أعنى ما أقول تماماً.
- ولكنها قبلة وليست جريمة!
- جريمة في نظري.
- ما سمعت هذا قبل الآن.
- ففكرت قليلاً ثم تمتمت: ولكنى سمعته كثيراً.
- أين؟
- فعاودها التفكير وترددت ملياً، ثم قالت بصراحة وسذاجة:
- ألم تقرأ ما تنشره الصباح عن فتيات مهجورات لا ستهتارهن؟ ألا تسمع الراديو؟ ففغر فاه وندت عنه ضحكة ثم صاح: من يقول إن القبلة استهتار؟ ألم تقرئني ما قال المنفلوطي في القبلة وهو الشيخ المعمم؟ إنك تحرمين على نفسك ما أحل الحب الطاهر لنا، الصباح؟ الراديو؟ كلام فارغ!
- فرمقته بريية وحذر وقالت: لا تضحك مني، هو الحق، قالت لي أمي مرة "إن الفتاة التي تتشبه بالعشاق كما يظهرون في السينما فتاة ساقطة خائبة الأمل".

بنت الكلب! أهي التي قالت لك؟ هذه القصيرة الماكرة، أفسدتها على وأفسدت حياتنا، إن الغيظ يقتلني، ماذا أفدت من الخطبة التي تجرعت بسببها تقريرا ولوما مرا؟، فتاتي عنيدة مجنونة، السبب أمها بنت الكلب "حمالة الحطب" 17.

يبدو من الحوار في الروايتين صور المرأة وقضاياها في المجتمع المصري حيث أشارت "بهية" إلى حوادث يومية نشرت في الراديو وأفادت الصحف والمجلات، بأن المرأة تواجه في المجتمع المصري التقاليد البالية، وفقدان الاستقلال العاطفي والحرية الذاتية، فقد نرى عند محفوظ قضايا المرأة المماثلة كما وجدناها عند الروائيين الآخرين المذكورين من القضايا النسائية.

الخاتمة: يفيد هذا البحث دراسة عدة روايات عربية واقعية، واستعرضت فيه نماذج المرأة التي أستخدمت كشخصيات متنوعة في الروايات العربية الواقعية والتي ظهرت في النصف الأول من القرن الماضي فقد عالجت عدة شخصيات مع أدوارها المختلفة التي لعبتها في الروايات المذكورة. باحثت عن الروائيين الواقعيين أجدهم يصرون عن رؤية أكثر إدراكا للواقع، وأشد وعيا بالعوامل المؤثرة فيه، ومن ثم كان تصورهم للمرأة في الواقع والفض أكثر تقدمية، إنها عندهم إنسان متفاعل ذو إرادة حرة وعواطف يجب أن تحترم لذلك كانت الصورة ذات طبيعة ديناميكية متحركة، وهي في حركتها مدركة لجميع العلاقات الاجتماعية التي تتحرك من حولها، وعلى هذا فالمضمون الفكري للرواية والصورة عند الواقعيين أعظم، لأنهما يصدران عن إدراك واع بجميع العوامل المؤثرة في الواقع والفض، إن انعكاس الصورة في الفضا ليس انعكاسا سلبيا وإنما هي انعكاس إيجابي يبرز حقيقة ما، بها يعيد الإنسان إدراكه للوجود ورؤيته للواقع.

الهوامش

- 1- محمد لطفي جمعه: في وأدى الهموم، ص: المقدمة، مؤسسة هنداوي، عام 2014.
- 2- المرجع نفسه، ص: المقدمة.
- 3- أحمد عيش: صرعى البؤس: سلسلة الألف كتاب العدد: 178، ص: 73 نقلا عن صورة المرأة في الرواية العربي المعاصرة في مصر الدكتور طه وادي: ص: 211-213، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1994م.
- 4- نجيب محفوظ. بداية ونهاية: ص: 199، القاهرة، مكتبة مصر، 1979م.
- 5- المرجع نفسه، ص: 7-8.
- 6- نجيب محفوظ: خان الخليلي: ص: 40، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1972م.

- 2- نجيب محفوظ: بداية ونهاية: ص: 274، القاهرة، مكتبة مصر، 1979 م.
- 8- نجيب محفوظ: خان الخليلي: ص: 143
- 9- المرجع نفسه، ص، 144 .
- 10- نجيب محفوظ: القاهرة الجديدة: ص 77 ط ، القاهرة، مكتبة مصر، 1979 م.
- 11- نجيب محفوظ: بداية ونهاية: ص 244
- 12- الدكتور طه وادي: صورة المرأة في الرواية العربية المعاصر في مصر: ص 248
- 13- عبدالحليم عبدالله: لقيطة: ص 242، مكتبة مصر، القاهرة، 1989 م.
- 14- السباعي: بين الاطلال: ص 99، مكتبة مصر، 1959 م.
- 15- بايخانوف: الأدب بين المادية والمثالية: ترجمة حامد حمداي: ص: 3، مكتبة المعارف، بيروت، 1956 م
- 16- بعد الغروب: محمد عبد الحليم عبد الله: ص: 179، مكتبة مصر، 1949 م.
- 17- نجيب محفوظ: بداية ونهاية: ص: 108 .

ISSN: 2348-2613

No. 9-2022

Dirasat Arabia
(Arabic Studies)
Annual Refereed Journal
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, JNU, New Delhi-110067

Editor in Chief: Prof. Rizwanur Rahman

Chairperson, Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi-110067

Editorial Board	Editorial Advisory Committee
<p>Prof. Mujeebur Rahman Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India</p> <p>Prof. Rizwanur Rahman Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India</p> <p>Dr. Ubaidur Rahman Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India</p> <p>Dr. Md. Qutbuddin Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India</p> <p>Dr. Khurshid Imam Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India</p> <p>Dr. Md. Akram Nawaz Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India</p> <p>Dr. Mohammad Ajmal Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India</p> <p>Dr. Akhtar Alam Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India</p> <p>Dr. Zar Nigar Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India</p>	<p>Prof. Khaldoun Saeed Sobh University of Dmascus, Syria</p> <p>Prof. Gelal Saeed Henawi Cairo University, Egypt</p> <p>Prof. Dr. Sanaa Shalan University of Jordan, Writer and Critic</p> <p>Prof. Anisur Rahman Manzurul Haq Al-Madina Global University, Malaysia</p> <p>Dr. Wafa Abdur Razzaq Prominent Novelist from London</p> <p>Prof. A.Y. Lodhi Uppsala University, Sweden</p> <p>Prof. Ahmad Farhat Arab Thought Foundation, Beirut, Lebanon</p> <p>Prof. Ahmed Ali Ibrahim Department of Arabic, University of Fallujah, Iraq</p> <p>Prof. Tarek Tabet Department of Arabic Language & Literature, University Hadji Lakhdar, Batna, Algeria</p> <p>Prof. Amine Masreni Department of Arabic Language and Literature, Tilmsan University, Algeria</p>

Published by:

Centre of Arabic & African Studies
School of Language, Literature & Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
dirasatarabiajnu2014@gmail.com

ISSN: 2348-2613
No. 9-2022

Dirasat Arabia

(Arabic Studies)

A peer reviewed Journal of Centre of Arabic and African Studies, School of
Language, Literature & Culture Studies, Jawaharlal Nehru University, New
Delhi-110067, No 9, March 2022

ISSN: 2348-2613
No. 9-2022



Dirasat Arabia

(ARABIC STUDIES)

A peer reviewed Journal No 9, March 2022

**Centre of Arabic and African Studies,
School of Language, Literature & Culture Studies,
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067**